نُخَبُ المُلَحِ

جمعها الاب يوحنا بلو والاب افوستينوس روده
من الرهبنة اليسوعية

الجزءُ الاول

١

وَهُوَ يَشْتَمِلُ عَلَى حِكَايَاتٍ أَدَبِيَّةٍ

المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين

Elsie Jeffery

Mon. 11 a.m.

1954

COLUMBIA UNIVERSITY
THE
LIBRARIES
IN THE CITY OF NEW YORK

نخب الملح

جمعها الاب يوحنا بلو والاب اغوستينوس رودَه
من الرهبنة اليسوعية

الجزء الاول

القسم الاول

وَهُوَ يَشْتَمِلُ عَلَى حِكَايَاتٍ أَدَبِيَّةٍ

المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين
في بيروت سنة ١٩١٣
برخصة مجلس معارف ولاية بيروت الجليلة ٣٩

Butlstax
PJ
7601
.B4

مِنْ أَمْثَالِ لُقْمَانَ الْحَكِيمِ

أَسَدٌ وَثَوْرَانِ

أَسَدٌ مَرَّةً خَرَجَ عَلَى ثَوْرَيْنِ . فَاجْتَمَعَا جَمِيعًا وَكَانَا يَنْطَحَانِهِ بِقُرُونِهِمَا . وَلَا يُمَكِّنَانِهِ مِنَ الدُّخُولِ بَيْنَهُمَا . فَانْفَرَدَ بِأَحَدِهِمَا وَخَدَعَهُ وَوَعَدَهُ أَلَّا يُعَارِضَهُ إِنْ تَخَلَّى عَنْ صَاحِبِهِ . فَلَمَّا افْتَرَقَا افْتَرَسَهُمَا جَمِيعًا

مَغْزَاهُ

أَنَّ مَدِينَتَيْنِ ، إِذَا اتَّفَقَ عَلَى رَأْيٍ وَاحِدٍ أَهْلُهُمَا . فَإِنَّهُ لَا يُمَكَّنُ مِنْهُمَا عَدُوٌّ . فَإِذَا افْتَرَقَا هَلَكَا جَمِيعًا

غَزَالٌ

غَزَالٌ مَرَّةً عَطِشَ فَأَتَى إِلَى عَيْنِ مَاءٍ يَشْرَبُ . فَنَظَرَ خَيَالَهُ فِي الْمَاءِ فَخَزِنَ لِدِقَّةِ قَوَائِمِهِ وَسُرَّ وَابْتَهَجَ لِعِظَمِ قُرُونِهِ وَكِبَرِهَا . وَفِي الْحَالِ خَرَجَ عَلَيْهِ الصَّيَّادُونَ فَانْهَزَمَ مِنْهُمْ . فَأَمَّا وَهُوَ فِي السَّهْلِ فَلَمْ يُدْرِكُوهُ فَلَمَّا دَخَلَ فِي الْجَبَلِ وَعَبَرَ بَيْنَ الشَّجَرِ لَحِقَهُ الصَّيَّادُونَ وَقَتَلُوهُ ، فَقَالَ عِنْدَ مَوْتِهِ : الْوَيْلُ لِي أَنَا الْمِسْكِينَ . أَلَّذِي ازْدَرَيْتُهُ هُوَ خَلَّصَنِي . وَالَّذِي رَجَوْتُهُ أَهْلَكَنِي

أَسَدٌ وَثَعْلَبٌ

أَسَدٌ شَاخَ وَضَعُفَ . فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْوُحُوشِ فَأَرَادَ أَنْ يَحْتَالَ لِنَفْسِهِ فِي الْمَعِيشَةِ . فَتَمَارَضَ وَأَلْقَى نَفْسَهُ فِي

بَعْضِ ٱلْمَغَايِرِ . وَكَانَ كُلَّمَا أَتَاهُ زَائِرٌ مِنَ ٱلْوُحُوشِ يَعُودُهُ ٱفْتَرَسَهُ دَاخِلَ ٱلْمَغَارَةِ وَأَكَلَهُ . وَأَتَى ٱلثَّعْلَبُ . وَوَقَفَ عَلَى بَابِ ٱلْمَغَارَةِ مُسَلِّمًا عَلَيْهِ قَائِلًا لَهُ : كَيْفَ حَالُكَ يَا سَيِّدَ ٱلْوُحُوشِ . فَقَالَ لَهُ ٱلْأَسَدُ : مَالَكَ لَا تَدْخُلُ يَا أَبَا ٱلْحُصَيْنِ : فَقَالَ لَهُ ٱلثَّعْلَبُ : يَا سَيِّدُ . قَدْ كُنْتُ عَوَّلْتُ عَلَى هٰذَا غَيْرَ أَنِّي أَرَى عِنْدَكَ آثَارَ أَقْدَامٍ كَثِيرٍ (١) قَدْ دَخَلُوا . وَلَا أَرَى أَنْ خَرَجَ مِنْهُمْ أَحَدٌ

مَغْزَاهُ

أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ لَا يَأْتِيَ أَمْرًا . إِلَّا بَعْدَ أَنْ يُفَكِّرَ فِيهِ وَيُمَيِّزَهُ

أَسَدٌ وَإِنْسَانٌ

أَسَدٌ وَإِنْسَانٌ ٱصْطَحَبَا مَرَّةً عَلَى ٱلطَّرِيقِ . فَجَعَلَا يَتَشَاجَرَانِ بِٱلْكَلَامِ عَلَى ٱلْقُوَّةِ وَشِدَّةِ ٱلْبَأْسِ . فَجَعَلَ ٱلْأَسَدُ يُطْنِبُ فِي شِدَّتِهِ وَبَأْسِهِ . فَنَظَرَ ٱلْإِنْسَانُ عَلَى حَائِطٍ صُورَةَ رَجُلٍ وَهُوَ يَخْنُقُ أَسَدًا . فَضَحِكَ ٱلْإِنْسَانُ . فَقَالَ لَهُ ٱلْأَسَدُ : لَوْ أَنَّ ٱلسِّبَاعَ مُصَوِّرُونَ مِثْلَ بَنِي آدَمَ . لَمَا قَدَرَ ٱلْإِنْسَانُ يَخْنُقُ سَبُعًا بَلْ كَانَ ٱلسَّبُعُ يَخْنُقُ ٱلْإِنْسَانَ

مَغْزَاهُ

أَنَّهُ مَا يُزَكِّي ٱلْإِنْسَانُ بِشَهَادَةِ أَهْلِ بَيْتِهِ

---

(١) كَثِيرٍ نعت لمحذوفٍ يُقدَّر بحسب المقام والمراد هنا خلق كثير

غَزَالٌ وَأَسَدٌ

غَزَالٌ مِنْ خَوْفِهِ مِنَ ٱلصَّيَّادِينَ ٱنْهَزَمَ إِلَى مَغَارَةٍ . فَدَخَلَ إِلَيْهِ ٱلْأَسَدُ فَٱفْتَرَسَهُ فِيهَا . فَقَالَ فِي نَفْسِهِ : ٱلْوَيْلُ لِي أَنَا ٱلشَّقِيَّ لِأَنِّي هَرَبْتُ مِنَ ٱلنَّاسِ . فَوَقَعْتُ فِي يَدِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَأْسًا

مَغْزَاهُ

أَنَّ كَثِيرًا يُفِرُّونَ مِنْ بَلَاءٍ فَيَقَعُونَ فِي بَلَاءٍ أَعْظَمَ

غَزَالٌ وَثَعْلَبٌ

غَزَالٌ مَرَّةً عَطِشَ فَوَرَدَ عَيْنَ مَاءٍ لِيَشْرَبَ . وَكَانَ ٱلْمَاءُ فِي جُبٍّ عَمِيقٍ ، ثُمَّ إِنَّهُ حَاوَلَ ٱلطُّلُوعَ فَلَمْ يَقْدِرْ . فَنَظَرَهُ ٱلثَّعْلَبُ فَقَالَ لَهُ أَسَأْتَ يَا أَخِي . إِذْ لَمْ تُمَيِّزْ صُدُورَكَ قَبْلَ وُرُودِكَ

مَغْزَاهُ

مَنْ جَدَّ بِهِ ٱلطَّمَعُ عَلَى أَنْ يَأْتِيَ أَمْرًا دُونَ تَرَوٍّ فِيهِ . لَمْ يَأْمَنْ غَائِلَتَهُ

أَرْنَبٌ وَلَبُوَةٌ

أَرْنَبٌ مَرَّةً ٱجْتَازَتْ بِلَبُوَةٍ وَقَالَتْ لَهَا : أَنَا أُنْتِجُ فِي كُلِّ سَنَةٍ أَوْلَادًا كَثِيرَةً وَأَنْتِ إِنَّمَا تَلِدِينَ فِي عُمْرِكِ كُلِّهِ فَذًّا أَوْ زَوًّا : فَقَالَتْ لَهَا ٱللَّبُوَةُ : صَدَقْتِ غَيْرَ أَنَّهُ وَإِنْ يَكُنْ وَاحِدًا فَهُوَ سَبُعٌ

مَغْزَاهُ

لَيْسَ ٱلِٱعْتِمَادُ عَلَى ٱلْكَثْرَةِ وَإِنَّمَا هُوَ عَلَى ٱلْمُفِيدِ

إِمْرَأَةٌ وَدَجَاجَةٌ

إِمْرَأَةٌ كَانَ لَهَا دَجَاجَةٌ تَبِيضُ فِي كُلِّ يَوْمٍ بَيْضَةً فِضَّةً. فَقَالَتْ فِي نَفْسِهَا: إِنْ أَنَا كَثَّرْتُ عَلَفَهَا بَاضَتْ بَيْضَتَيْنِ. فَلَمَّا فَعَلَتْ ذٰلِكَ ٱنْشَقَّتْ حَوْصَلَةُ ٱلدَّجَاجَةِ فَمَاتَتْ

مَغْزَاهُ

أَنَّ كَثِيرًا بِسَبَبِ طَمَعِهِمْ يَخْسَرُونَ رَأْسَ مَالِهِمْ

بَعُوضَةٌ وَثَوْرٌ

بَعُوضَةٌ يَعْنِي نَامُوسَةً وَقَفَتْ عَلَى قَرْنِ ثَوْرٍ وَظَنَّتْ أَنَّهَا ثَقَّلَتْ عَلَيْهِ. فَقَالَتْ لَهُ: إِنْ كُنْتُ قَدْ بَهَظْتُكَ فَأَعْلِمْنِي حَتَّى أَطِيرَ عَنْكَ: فَقَالَ لَهَا ٱلثَّوْرُ: يَا هٰذِهِ. مَا شَعَرْتُ بِنُزُولِكِ حَتَّى يُرِيحَنِي فِرَاقُكِ

مَغْزَاهُ

مَنْ يَطْلُبُ أَنْ يَجْعَلَ لَهُ ذِكْرًا وَمَجْدًا وَهُوَ حَقِيرٌ يَلْقَى ٱلْهَوَانَ

بُسْتَانِيٌّ

بُسْتَانِيٌّ كَانَ يَوْمًا يُنَقِّي ٱلْبَقْلَ. فَقِيلَ لَهُ: لِمَاذَا ٱلْبَقْلُ ٱلْبَرِّيُّ بَهِيُّ ٱلْمَنْظَرِ وَهُوَ غَيْرُ مَخْدُومٍ وَمُنْبَتٍ: فَقَالَ: لِأَنَّهُ تُرَبِّيهِ أُمُّهُ. وَغَيْرُهُ تُرَبِّيهِ رَبِيبَتُهُ

مَغْزَاهُ

أَنَّ تَرْبِيَةَ ٱلْأُمِّ أَكْثَرُ تَأْثِيرًا فِي وَلَدِهَا مِنْ غَيْرِهَا

إِنْسَانٌ وَفَرَسٌ

إِنْسَانٌ كَانَ لَهُ فَرَسٌ يَرْكَبُهَا وَهِيَ حَامِلٌ. وَفِيمَا هُوَ فِي بَعْضِ ٱلطَّرِيقِ إِذْ أُنْتِجَتْ لَهُ مُهْرًا. فَتَبِعَ أُمَّهُ غَيْرَ بَعِيدٍ. ثُمَّ وَقَفَ وَقَالَ لِصَاحِبِهِ: تَرَانِي صَغِيرًا لَا أَسْتَطِيعُ ٱلْمَشْيَ. وَقَدْ مَضَيْتَ وَتَرَكْتَنِي هٰهُنَا. فَإِنْ أَنْتَ أَخَذْتَنِي مَعَكَ وَرَبَّيْتَنِي إِلَى أَنْ أَقْوَى حَمَلْتُكَ عَلَى ظَهْرِي وَأَوْصَلْتُكَ إِلَى حَيْثُ تَشَاءُ

مَغْزَاهُ

أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ نَرْفُقَ بِمَنْ يَسْتَغِيثُونَنَا وَهُمْ غَيْرُ قَادِرِينَ

إِنْسَانٌ وَخِنْزِيرٌ

إِنْسَانٌ مَرَّةً حَمَلَ عَلَى بَهِيمَةٍ لَهُ كَبْشًا وَعَنْزًا وَخِنْزِيرًا. وَقَصَدَ بِهَا ٱلْمَدِينَةَ لِيَبِيعَ ٱلْجَمِيعَ. أَمَّا ٱلْكَبْشُ وَٱلْعَنْزُ فَلَمْ يَكُونَا يُؤْذِيَانِ ٱلْبَهِيمَةَ. وَأَمَّا ٱلْخِنْزِيرُ فَإِنَّهُ كَانَ يَغْرِضُ دَائِمًا وَلَا يَهْدَأُ. فَقَالَ لَهُ ٱلْإِنْسَانُ: يَا شَرَّ ٱلْوُحُوشِ. مَالِي أَرَى ٱلْكَبْشَ وَٱلْعَنْزَ سَاكِتَيْنِ لَا يَضْطَرِبَانِ. وَأَنْتَ لَا تَهْدَأُ وَلَا تَسْتَقِرُّ: فَقَالَ لَهُ ٱلْخِنْزِيرُ: كُلٌّ يَعْرِفُ شَأْنَهُ. أَنَا أَعْلَمُ أَنَّ ٱلْكَبْشَ لِصُوفِهِ. وَٱلْعَنْزَ لِلَبَنِهَا. وَأَنَا ٱلشَّقِيَّ فَلَا صُوفَ لِي وَلَا لَبَنَ فَمَا يَكُونُ بَعْدَ وُصُولِي إِلَى ٱلْمَدِينَةِ إِلَّا إِرْسَالِي إِلَى ٱلْمَسْلَخِ

مَغْزَاهُ

أَنَّ ٱلَّذِينَ يَغْرَقُونَ فِي ٱلْخَطَايَا ٱلَّتِي قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ يَعْلَمُونَ سُوءَ مُنْقَلَبِهِمْ

سُلَحْفَاةٌ وَأَرْنَبٌ

سُلَحْفَاةٌ وَأَرْنَبٌ تَسَابَقَا مَرَّةً. وَجَعَلَا الْحَدَّ بَيْنَهُمَا الْجَبَلَ يَسْتَبِقَانِ إِلَيْهِ. أَمَّا الْأَرْنَبُ فَلِمَا يَعْلَمُ مِنْ نَفْسِهِ مِنَ الْخِفَّةِ فِي الْجَرْيِ تَوَانَى فِي الطَّرِيقِ وَنَامَ. وَأَمَّا السُّلَحْفَاةُ فَلِعِلْمِهَا بِثِقَلِ حَرَكَتِهَا لَمْ تَكُنْ لِتَسْتَقِرَّ وَلَا تَتَوَانَى فِي الْمَسِيرِ حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى الْجَبَلِ قَبْلَهُ. وَعِنْدَمَا اسْتَيْقَظَ مِنْ نَوْمِهِ. وَجَدَهَا قَدْ سَبَقَتْ فَنَدِمَ حَيْثُ لَا تَنْفَعُ النَّدَامَةُ

مَغْزَاهُ

لَا يَنْبَغِي لِلْقَوِيِّ أَنْ يَتَّكِلَ عَلَى مَا عِنْدَهُ مِنَ الْقُوَّةِ وَيُغْفِلَ أَمْرَهُ. فَيَفْشَلَ وَيَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ

ذِئْبٌ

ذِئْبٌ مَرَّةً اخْتَطَفَ خِنْوَصًا. وَفِيمَا هُوَ ذَاهِبٌ بِهِ لَقِيَهُ الْأَسَدُ فَأَخَذَهُ مِنْهُ. فَقَالَ الذِّئْبُ فِي نَفْسِهِ: لَا غَرْوَ أَنْ يَكُونَ الْغَاصِبُ مَغْصُوبًا. فَإِنَّ الْبَغْيَ مَصْرَعُهُ وَخِيمٌ

مَغْزَاهُ

أَنَّ مَا يُكْتَسَبُ مِنَ الظُّلْمِ لَا يَدُومُ لِصَاحِبِهِ. وَإِنْ دَامَ فَلَا يَتَهَنَّأُ بِهِ. كَمَا وَرَدَ: مَنْ أَصَابَ مَالًا مِنْ مَهَاوِشَ. أَذْهَبَهُ اللهُ فِي نَهَابِرَ

الْعَوْسَجُ

الْعَوْسَجُ قَالَ مَرَّةً لِلْبُسْتَانِيِّ: لَوْ أَنَّ لِي مَنْ يَهْتَمُّ بِي وَيَنْصُبُنِي وَيَسْقِينِي وَيَخْدُمُنِي. لَاشْتَهَتْنِي الْمُلُوكُ وَنَظَرُوا مِنْ زَهْرِي وَثَمَرِي

فَأَخَذَهُ وَغَرَسَهُ فِي أَجْوَدِ مَحَلٍّ فِي ٱلْبُسْتَانِ . وَصَارَ يَسْقِيهِ كُلَّ يَوْمٍ دُفْعَتَيْنِ . فَنَشَأَ وَقَوِيَ . وَتَفَرَّعَتْ أَغْصَانُهُ عَلَى جَمِيعِ ٱلشَّجَرِ . ٱلَّتِي حَوْلَهُ وَأَصْلَتْ عُرُوقُهُ فِي ٱلْأَرْضِ . حَتَّى ٱمْتَلَأَ ٱلْبُسْتَانُ مِنْهُ وَمِنْ كَثْرَةِ شَوْكِهِ . فَلَمْ يَعُدْ أَحَدٌ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَفَرَّجَ فِيهِ

مَغْزَاهُ

مَنْ يُجَاوِرُ إِنْسَانَ سُوءٍ فَإِنَّهُ كُلَّمَا أَكْرَمْتَهُ كَثُرَتْ شُرُورُهُ وَتَمَرَّدَ كَمَا قَالَ ٱلشَّاعِرُ : وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ ٱللَّئِيمَ تَمَرَّدَا

صَبِيٌّ

صَبِيٌّ رَمَى بِنَفْسِهِ مَرَّةً فِي نَهْرٍ . وَلَمْ يَكُنْ يُحْسِنُ ٱلسِّبَاحَةَ . فَأَشْرَفَ عَلَى ٱلْغَرَقِ . فَٱسْتَعَانَ بِرَجُلٍ عَابِرٍ فِي ٱلطَّرِيقِ . فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ وَجَعَلَ يُلُومُهُ عَلَى نُزُولِهِ إِلَى ٱلنَّهْرِ . فَقَالَ ٱلصَّبِيُّ : يَا هٰذَا . خَلِّصْنِي أَوَّلًا مِنَ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ لُمْنِي

مَغْزَاهُ

إِذَا وَقَعَ صَدِيقُكَ فِي شِدَّةٍ نَجِّهِ وَخَلِّصْهُ أَوَّلًا ثُمَّ لُمْهُ

صَبِيٌّ وَعَقْرَبٌ

صَبِيٌّ مَرَّةً كَانَ يَصِيدُ ٱلْجَرَادَ . فَنَظَرَ عَقْرَبًا فَظَنَّهَا جَرَادَةً . فَمَدَّ يَدَهُ لِيَأْخُذَهَا ثُمَّ تَبَاعَدَ عَنْهَا . فَقَالَتْ لَهُ : لَوْ أَنَّكَ قَبَضْتَنِي بِيَدِكَ لَتَخَلَّيْتَ عَنْ صَيْدِ ٱلْجَرَادِ

مَغْزَاهُ

أَنَّ سَبِيلَ الْإِنْسَانِ أَنْ يُمَيِّزَ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ . وَيُدَبِّرَ لِكُلِّ شَيْءٍ تَدْبِيرًا عَلَى حِدَتِهِ

حَمَامَةٌ

حَمَامَةٌ مَرَّةً عَطِشَتْ . فَأَقْبَلَتْ تَحُومُ حَوْلَ حَائِطٍ فِي طَلَبِ الْمَاءِ . فَنَظَرَتْ عَلَيْهِ صُورَةَ صَحِيفَةٍ مَمْلُوءَةٍ مَاءً . فَطَارَتْ بِسُرْعَةٍ وَضَرَبَتْ نَفْسَهَا عَلَى تِلْكَ الصُّورَةِ فَانْشَقَّتْ حَوْصَلَتُهَا . فَقَالَتِ : الْوَيْلُ لِي . فَإِنِّي لَمْ أَتَرَوَّ فِي الصَّحِيحِ وَالْمُفْتَعَلِ . وَأَفْرُقْ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ . حَتَّى جَلَبْتُ الْمَنِيَّةَ لِرُوحِي بِيَدِي

مَغْزَاهُ

أَنَّ الْمُسْتَعْجِلَ لَا يَسْلَمُ مِنْ تَبِعَةِ عَجَلَتِهِ وَأَنَّ الْحَزْمَ فِي التَّأَنِّي

حَدَّادٌ وَكَلْبٌ

حَدَّادٌ كَانَ لَهُ كَلْبٌ دَأْبُهُ التَّوَانِي وَالرُّقَادُ مَا دَامَ الْحَدَّادُ عَامِلًا . فَإِذَا رَفَعَ الْعَمَلَ وَجَلَسَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ لِيَأْكُلُوا اسْتَيْقَظَ الْكَلْبُ . فَقَالَ لَهُ الْحَدَّادُ : يَا كَلْبَ السُّوءِ . مَالِي أَرَى صَوْتَ الْمَطَارِقِ الَّتِي تُزَعْزِعُ الْأَرْضَ لَا يُنَبِّهُكَ . وَحِسَّ الْمِضْغِ الْخَفِيَّ تَسْمَعُهُ فَيُوقِظُكَ

مَغْزَاهُ

أَنَّ الْغَبِيَّ يَتَقَاعَسُ عَنِ الْوَعْظِ . وَإِذَا سَمِعَ اللَّهْوَ انْصَبَّ إِلَيْهِ

أَلْبَطْنُ وَالرِّجْلَانِ

أَلْبَطْنُ وَالرِّجْلَانِ تَخَاصَمُوا عَلَى أَيِّهِمْ يَحْمِلُ الْجِسْمَ . فَقَالَتْ الرِّجْلَانِ : نَحْنُ بِقُوَّتِنَا نَحْمِلُهُ : فَقَالَ الْجَوْفُ : إِذَا أَنَا لَمْ أُغْذِ مِنَ الطَّعَامِ . فَلَا تَسْتَطِيعَانِ الْمَشْيَ . فَضْلًا عَنْ أَنْ تُقِلَّا شَيْئًا

مَغْزَاهُ

مَنْ يَتَوَلَّ أَمْرًا فَإِنْ لَمْ يَعْضُدْهُ مَنْ هُوَ أَرْفَعُ مِنْهُ يَفْشَلْ

أَلشَّمْسُ وَالرِّيحُ

أَلشَّمْسُ وَالرِّيحُ تَخَاصَمَتَا عَلَى أَيِّهِمَا يَقْدِرُ أَنْ يُجَرِّدَ الْإِنْسَانَ ثِيَابَهُ . فَاشْتَدَّتِ الرِّيحُ فِي هُبُوبِهَا وَعَصَفَتْ جِدًّا . فَكَانَ الْإِنْسَانُ كُلَّمَا تَزَايَدَ هُبُوبُهَا ضَمَّ إِلَيْهِ ثِيَابَهُ وَالْتَفَّ بِهَا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ . فَلَمَّا ارْتَفَعَ النَّهَارُ وَاشْتَدَّ الْحَرُّ . خَلَعَ ثِيَابَهُ وَحَمَلَهَا عَلَى كَتِفِهِ

مَغْزَاهُ

مَنْ كَانَ عِنْدَهُ الِاتِّضَاعُ وَدَمَاثَةُ الْأَخْلَاقِ . نَالَ مِنْ صَاحِبِهِ مَا يُرِيدُ

دِيكَانِ

دِيكَانِ كَانَا يَتَقَاتَلَانِ عَلَى قُهْوَرٍ . فَغَلَبَ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ . أَمَّا الْمَغْلُوبُ فَمَضَى مِنْ وَقْتِهِ إِلَى مَأْوَاهُ . وَأَمَّا الْغَالِبُ فَصَعِدَ فَوْقَ السَّطْحِ . وَجَعَلَ يُصَفِّقُ بِجَنَاحَيْهِ وَيَصِيحُ وَيَفْتَخِرُ . فَبَصُرَ بِهِ بَعْضُ الْجَوَارِحِ فَانْقَضَّ إِلَيْهِ وَاخْتَطَفَهُ

مَغْزَاهُ

أَنَّ الِافْتِخَارَ بِالْقُوَّةِ رُبَّمَا أَوْقَعَ صَاحِبَهُ فِي تَهْلُكَةٍ لَا مَنَاصَ لَهُ مِنْهَا

ذِئَابٌ

ذِئَابٌ أَصَابُوا جُلُودَ بَقَرٍ فِي مَسِيلٍ فِيهِ مَاءٌ وَلَيْسَ عِنْدَهُ أَحَدٌ. فَاتَّفَقُوا عَلَى أَكْلِهَا جَمِيعًا. وَأَنَّهُمْ يَشْرَبُونَ الْمَاءَ كُلَّهُ حَتَّى يَصِلُوا إِلَى الْجُلُودِ. فَمِنْ كَثْرَةِ مَا شَرِبُوا انْفَقَئُوا. وَمَاتُوا قَبْلَ أَنْ يَبْلُغُوا أَرَبَهُمْ (١)

مَغْزَاهُ

مَنْ كَانَ قَلِيلَ الرَّأْيِ. عَمِلَ مَا كَانَتْ عَاقِبَتُهُ وَبَالًا عَلَيْهِ

أَلْوَزُّ وَالْخُطَّافُ

أَلْوَزُّ وَالْخُطَّافُ تَشَارَكَا فِي الْمَعِيشَةِ. فَكَانَ مَرْعَاهُمَا كِلَيْهِمَا فِي مَحَلٍّ وَاحِدٍ. فَمَرَّ بِهِمَا الصَّيَّادُونَ يَوْمًا فَمَا كَانَ مِنَ الْخُطَّافِ إِلَّا أَنْ طَارَ وَسَلِمَ. فَأَمَّا أَلْوَزُّ فَأُدْرِكَ وَذُبِحَ

مَغْزَاهُ

مَنْ عَاشَرَ مَنْ لَا يُشَاكِلُهُ. أَحَاقَ بِهِ السُّوءُ

بَطَّةٌ وَضَوْءُ كَوْكَبٍ

بَطَّةٌ رَأَتْ فِي الْمَاءِ ضَوْءَ كَوْكَبٍ فَظَنَّتْهُ سَمَكَةً. فَحَاوَلَتْ أَنْ تَصِيدَهَا. فَلَمَّا جَرَّبَتْ ذَلِكَ مِرَارًا عَلِمَتْ أَنَّهُ لَيْسَ بِشَيْءٍ يُصَادُ.

---

(١) أَضْمَرَ الذِّئَابَ بِضَمِيرِ الْعُقَلَاءِ لِأَنَّهُ نَزَّلَهَا مَنْزِلَتَهُمْ إِذْ هِيَ كِنَايَةٌ عَنْهُمْ وَقِسْ عَلَى ذَلِكَ مَا أَشْبَهَهُ

فتركته . ثم رأت في غد ذلك اليوم سمكة . فظنتها مثل الذي رأته بالأمس . فتركتها

مغزاه

أنه ينبغي للإنسان أن يميز بين الحق والباطل . ولا يوقع أحدهما موقع الآخر

نخب

من الكتاب المعروف بألف ليلة وليلة

حكاية الملك جليعاد

وابنه

زعموا أنه كان في قديم الزمان وسالف العصر والأوان ملك في بلاد الهند . وكان ملكا عظيما طويل القامة . حسن الصورة . حسن الخلق كريم الطبائع محسنا للفقراء محبا للرعية وللجميع أهل دولته . وكان اسمه جليعاد . وكان تحت يده في مملكته اثنان وسبعون ملكا . ولبلاده ثلثمائة وخمسون قاضيا . وكان له سبعون وزيرا وقد جعل على كل عشرة من عسكره رئيسا . وكان أكبر وزرائه شخصا يقال له شماس . وكان عمره اثنتين وعشرين سنة . وكان حسن الخلق والطباع لطيفا في كلامه . لبيبا في جوابه . حاذقا في جميع أموره . حكيما مدبرا رئيسا مع صغر سنه . عارفا بكل حكمة

وَأَدَبٍ . وَكَانَ ٱلْمَلِكُ يُحِبُّهُ مَحَبَّةً عَظِيمَةً وَيَمِيلُ إِلَيْهِ لِمَعْرِفَتِهِ بِٱلْفَصَاحَةِ وَٱلْبَلَاغَةِ وَأَحْوَالِ ٱلسِّيَاسَةِ . وَلَمَّا أَعْطَاهُ ٱللهُ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَخَفْضِ ٱلْجَنَاحِ لِلرَّعِيَّةِ . وَكَانَ ذٰلِكَ ٱلْمَلِكُ عَادِلًا فِي مَمْلَكَتِهِ حَافِظًا لِرَعِيَّتِهِ مُوَاصِلًا كَبِيرَهُمْ وَصَغِيرَهُمْ بِٱلْإِحْسَانِ . وَمَا يَلِيقُ بِهِمْ مِنَ ٱلرِّعَايَةِ وَٱلْعَطَايَا وَٱلْأَمَانِ وَٱلطُّمَأْنِينَةِ . وَمُحَقِّقًا لِلْخَرَاجِ عَنْ كَامِلِ ٱلرَّعِيَّةِ . وَكَانَ مُحِبًّا لَهُمْ كَبِيرًا وَصَغِيرًا . وَمُعَامِلًا لَهُمْ بِٱلْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ وَٱلشَّفَقَةِ عَلَيْهِمْ . وَأَتَى بِحُسْنِ سِيرَتِهِ بَيْنَهُمْ بِمَا لَمْ يَأْتِ بِهِ أَحَدٌ قَبْلَهُ . وَمَعَ هٰذَا كُلِّهِ لَمْ يَرْزُقْهُ ٱللهُ تَعَالَى وَلَدًا . فَشَقَّ ذٰلِكَ عَلَيْهِ وَعَلَى أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ . فَٱتَّفَقَ أَنَّ ٱلْمَلِكَ كَانَ مُضْطَجِعًا فِي لَيْلَةٍ مِنَ ٱللَّيَالِي وَهُوَ مَشْغُولُ ٱلْفِكْرِ فِي عَاقِبَةِ أَمْرِ مَمْلَكَتِهِ . ثُمَّ غَلَبَ عَلَيْهِ ٱلنَّوْمُ فَرَأَى فِي مَنَامِهِ كَأَنَّهُ يَصُبُّ مَاءً فِي أَصْلِ شَجَرَةٍ وَحَوْلَ تِلْكَ ٱلشَّجَرَةِ أَشْجَارٌ كَثِيرَةٌ وَإِذَا بِنَارٍ قَدْ خَرَجَتْ مِنْ تِلْكَ ٱلشَّجَرَةِ وَأَحْرَقَتْ جَمِيعَ مَا كَانَ حَوْلَهَا مِنَ ٱلْأَشْجَارِ . فَعِنْدَ ذٰلِكَ ٱنْتَبَهَ ٱلْمَلِكُ مِنْ مَنَامِهِ فَزِعًا وَٱسْتَدْعَى أَحَدَ غِلْمَانِهِ وَقَالَ لَهُ : ٱذْهَبْ بِسُرْعَةٍ وَأْتِنِي بِشَمَّاسِ ٱلْوَزِيرِ عَاجِلًا : فَذَهَبَ ٱلْغُلَامُ إِلَى شَمَّاسٍ وَقَالَ لَهُ : إِنَّ ٱلْمَلِكَ يَدْعُوكَ فِي هٰذِهِ ٱلسَّاعَةِ لِأَنَّهُ ٱنْتَبَهَ مِنْ نَوْمِهِ مَرْعُوبًا . فَأَرْسَلَنِي إِلَيْكَ لِتَحْضُرَ عِنْدَهُ عَاجِلًا : فَلَمَّا سَمِعَ شَمَّاسُ كَلَامَ ٱلْغُلَامِ قَامَ مِنْ وَقْتِهِ وَسَاعَتِهِ وَتَوَجَّهَ إِلَى ٱلْمَلِكِ وَدَخَلَ عَلَيْهِ . فَرَآهُ قَاعِدًا عَلَى فِرَاشِهِ . فَسَجَدَ بَيْنَ يَدَيْهِ دَاعِيًا لَهُ بِدَوَامِ ٱلْعِزِّ وَٱلنِّعَمِ . وَقَالَ : لَا أَحْزَنَكَ ٱللهُ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ مَا ٱلَّذِي أَقْلَقَكَ فِي هٰذِهِ ٱللَّيْلَةِ وَمَا سَبَبُ

طَلَبِكَ إِيَّايَ بِسُرْعَةٍ: فَأَذِنَ لَهُ ٱلْمَلِكُ بِٱلْجُلُوسِ فَجَلَسَ . وَصَارَ يَقُصُّ عَلَيْهِ مَا رَأَى قَائِلًا: إِنِّي رَأَيْتُ فِي لَيْلَتِي هٰذِهِ مَنَامًا أَهَالَنِي. وَهُوَ كَأَنِّي أَصُبُّ مَاءً فِي أَصْلِ شَجَرَةٍ وَحَوْلَ تِلْكَ ٱلشَّجَرَةِ أَشْجَارٌ كَثِيرَةٌ. فَبَيْنَمَا أَنَا فِي هٰذِهِ ٱلْحَالَةِ . وَإِذَا بِنَارٍ خَرَجَتْ مِنْ أَصْلِ تِلْكَ ٱلشَّجَرَةِ وَأَحْرَقَتْ جَمِيعَ مَا حَوْلَهَا مِنَ ٱلْأَشْجَارِ. فَفَزِعْتُ مِنْ ذٰلِكَ وَأَخَذَنِي ٱلرُّعْبُ فَٱنْتَبَهْتُ عِنْدَ ذٰلِكَ وَأَرْسَلْتُ دَعْوَتَكَ لِكَثْرَةِ مَعْرِفَتِكَ وَتَعْبِيرِكَ لِلرُّؤْيَا . وَلِمَا أَعْلَمُهُ مِنِ ٱتِّسَاعِ عِلْمِكَ وَغَزَارَةِ فَهْمِكَ

فَأَطْرَقَ شَمَّاسٌ رَأْسَهُ سَاعَةً ثُمَّ تَبَسَّمَ . فَقَالَ لَهُ ٱلْمَلِكُ: مَا رَأَيْتَ يَا شَمَّاسُ أَصْدُقْنِي ٱلْخَبَرَ وَلَا تُخْفِ عَنِّي شَيْئًا: فَأَجَابَهُ شَمَّاسٌ وَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ: إِنَّ ٱللهَ تَعَالَى خَوَّلَكَ وَأَقَرَّ عَيْنَكَ . وَأَمْرُ هٰذِهِ ٱلرُّؤْيَا يَأُولُ إِلَى خَيْرٍ . وَهُوَ أَنَّ ٱللهَ تَعَالَى يَرْزُقُكَ وَلَدًا ذَكَرًا . يَكُونُ وَارِثًا لِلْمُلْكِ عَنْكَ مِنْ بَعْدِ طَوِيلِ عُمْرِكَ . غَيْرَ أَنَّهُ يَكُونُ فِيهِ شَيْءٌ لَا أُحِبُّ تَفْسِيرَهُ فِي هٰذَا ٱلْوَقْتِ لِأَنَّهُ غَيْرُ مُوَافِقٍ لِتَفْسِيرِهِ: فَفَرِحَ ٱلْمَلِكُ بِذٰلِكَ فَرَحًا عَظِيمًا . وَزَادَ سُرُورُهُ وَذَهَبَ عَنْهُ فَزَعُهُ وَطَابَتْ نَفْسُهُ . وَقَالَ: إِنْ كَانَ ٱلْأَمْرُ كَذٰلِكَ مِنْ حُسْنِ تَأْوِيلِ هٰذَا ٱلْمَنَامِ. فَكَمِّلْ لِي تَأْوِيلَهُ إِذَا جَاءَ ٱلْوَقْتُ ٱلْمُوَافِقُ لِكَمَالِ تَأْوِيلِهِ . لِأَجْلِ أَنْ يَكْمُلَ فَرَحِي . لِأَنِّي لَا أَبْتَغِي بِذٰلِكَ غَيْرَ رِضَى ٱللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: فَلَمَّا رَأَى شَمَّاسٌ مِنَ ٱلْمَلِكِ أَنَّهُ مُصَمِّمٌ عَلَى تَمَامِ تَفْسِيرِهِ . ٱحْتَجَّ لَهُ بِحُجَّةٍ دَفَعَ عَنْ نَفْسِهِ . فَعِنْدَ ذٰلِكَ دَعَا ٱلْمَلِكُ بِٱلْمُنَجِّمِينَ وَجَمِيعِ ٱلْمُعَبِّرِينَ لِلْأَحْلَامِ ٱلَّذِينَ فِي

مملكته . فحضروا جميعاً بين يديه وقص عليهم ذلك المنام . وقال لهم : أريد منكم أن تخبروني بصحة تفسيره : فتقدم واحد منهم وأخذ إذناً من الملك بالكلام . فلما أذن له قال : اعلم أيها الملك أن وزيرك شماساً ليس بعاجز عن تفسير ذلك وإنما هو احتشم منك وسكن روعك ولم يظهر لك جميع التأويل بالكلية . ولكن إذا أذنت لي بالكلام تكلمت . فقال له الملك : تكلم أيها المفسر بلا احتشام واصدق في كلامك : فقال المفسر : اعلم أيها الملك . أنه يظهر منك غلام يكون وارثاً لملكك عنك بعد طويل حياتك . ولكنه لا يسير في الرعية بسيرك بل يخالف رسومك ويجور على رعيتك ويصيبه ما أصاب الفأر مع السنور فاستعاذ بالله تعالى . فقال الملك : وما حكاية السنور والفأر

(حكاية السنور والفار)

فقال المفسر : أطال الله عمر الملك . إن السنور وهو القط . سرح ليلة من الليالي إلى شيء يفترسه في بعض الغيطان . فما وجد شيئاً . وضعف من شدة البرد والمطر الذي صار في تلك الليلة فأخذ يحتال لنفسه بشيء يفوز به . فبينما هو دائر على تلك الحالة . إذ رأى وكراً في أسفل شجرة فدنا منه وصار يشمشم ويدندن حتى أحس بأن داخل الوكر فأراً . فحاوله وهم بالدخول عليه لكي يأخذه . فلما أحس به الفأر أعطاه قفاه وصار يزحف على يديه ورجليه لكي

يَسُدَّ بَابَ ٱلْوَكْرِ عَلَيْهِ. فَعِنْدَ ذٰلِكَ صَارَ ٱلسِّنَّوْرُ يُصَوِّتُ صَوْتًا ضَعِيفًا وَيَقُولُ لَهُ: لِمَ تَفْعَلُ ذٰلِكَ يَا أَخِي. وَأَنَا مُلْتَجِئٌ إِلَيْكَ لِتَفْعَلَ مَعِي رَحْمَةً بِأَنْ تُقِرَّنِي فِي وَكْرِكَ هٰذِهِ ٱللَّيْلَةَ. لِأَنِّي ضَعِيفُ ٱلْحَالِ مِنْ كِبَرِ سِنِّي وَذَهَابِ قُوَّتِي. وَلَسْتُ أَقْدِرُ عَلَى ٱلْحَرَكَةِ. وَقَدْ تَوَغَّلْتُ فِي هٰذَا ٱلْغَيْطِ هٰذِهِ ٱللَّيْلَةَ. وَكَمْ مَرَّةٍ دَعَوْتُ بِٱلْمَوْتِ عَلَى نَفْسِي لِكَيْ أَسْتَرِيحَ وَهَا أَنَا عَلَى بَابِكَ طَرِيحٌ مِنَ ٱلْبَرْدِ وَٱلْمَطَرِ. وَأَسْأَلُكَ بِٱللّٰهِ مِنْ صَدَقَتِكَ أَنْ تَأْخُذَ بِيَدِي وَتُدْخِلَنِي عِنْدَكَ وَتُؤْوِيَنِي فِي دِهْلِيزِ وَكْرِكَ. لِأَنِّي غَرِيبٌ وَمِسْكِينٌ. وَقَدْ قِيلَ: مَنْ آوَى بِمَنْزِلِهِ غَرِيبًا مِسْكِينًا كَانَ مَأْوَاهُ ٱلْجَنَّةَ يَوْمَ ٱلدِّينِ فَأَنْتَ يَا أَخِي حَقِيقٌ بِأَنْ تَكْسِبَ أَجْرِي. وَتَأْذَنَ لِي فِي أَنْ أَبِيتَ عِنْدَكَ هٰذِهِ ٱللَّيْلَةَ إِلَى ٱلصَّبَاحِ ثُمَّ أَرُوحُ إِلَى حَالِ سَبِيلِي: فَلَمَّا سَمِعَ ٱلْفَأْرُ كَلَامَ ٱلسِّنَّوْرِ. قَالَ لَهُ: كَيْفَ تَدْخُلُ وَكْرِي وَأَنْتَ لِي عَدُوٌّ بِٱلطَّبْعِ وَمَعَاشُكَ مِنْ لَحْمِي. وَأَخَافُ أَنْ تَغْدُرَ بِي. لِأَنَّ ذٰلِكَ مِنْ شِيمَتِكَ. لِأَنَّهُ لَا عَهْدَ لَكَ. وَقَدْ قِيلَ: لَا يَنْبَغِي ٱلْأَمَانُ لِلْفَقِيرِ عَلَى ٱلْمَالِ وَلَا لِلنَّارِ عَلَى ٱلْحَطَبِ وَلَيْسَ بِوَاجِبٍ عَلَيَّ أَنْ أَسْتَأْمِنَكَ عَلَى نَفْسِي وَقَدْ قِيلَ: عَدَاوَةُ ٱلطَّبْعِ كُلَّمَا ضَعُفَ صَاحِبُهَا كَانَتْ أَقْوَى: فَأَجَابَ ٱلسِّنَّوْرُ قَائِلًا بِأَخْمَدِ صَوْتٍ وَأَسْوَإِ حَالٍ: إِنَّ ٱلَّذِي قُلْتَهُ مِنَ ٱلْمَوَاعِظِ. وَلَسْتُ أُنْكِرُ عَلَيْكَ. وَلٰكِنْ أَسْأَلُكَ ٱلصَّفْحَ عَمَّا مَضَى مِنَ ٱلْعَدَاوَةِ ٱلطَّبِيعِيَّةِ ٱلَّتِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ لِأَنَّهُ قَدْ قِيلَ: مَنْ صَفَحَ عَنْ مَخْلُوقٍ مِثْلِهِ صَفَحَ خَالِقُهُ عَنْهُ. وَقَدْ كُنْتُ قَبْلَ ذٰلِكَ عَدُوًّا

لَكَ رِهَا أَنَا ٱلْيَوْمَ طَالِبُ صَدَاقَتَكَ . وَقَدْ قِيلَ : إِذَا أَرَدْتَ أَنْ يَكُونَ عَدُوُّكَ صَدِيقًا لَكَ فَٱفْعَلْ مَعَهُ خَيْرًا . وَأَنَا يَا أَخِي أُعْطِيكَ عَهْدَ ٱللهِ وَمِيثَاقَهُ أَنِّي لَا أَضُرُّكَ أَبَدًا . وَمَعَ هٰذَا لَيْسَ لِي قُدْرَةٌ عَلَى ذٰلِكَ فَثِقْ بِٱللهِ وَٱفْعَلْ خَيْرًا . وَٱقْبَلْ عَهْدِي وَمِيثَاقِي : فَقَالَ ٱلْفَأْرُ : كَيْفَ أَقْبَلُ عَهْدَ مَنْ تَأَسَّسَتِ ٱلْعَدَاوَةُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ . وَعَادَاتُهُ أَنْ يَغْدُرَ بِي . وَلَوْ كَانَتِ ٱلْعَدَاوَةُ بَيْنَنَا عَلَى شَيْءٍ مِنَ ٱلْأَشْيَاءِ غَيْرِ ٱلدَّمِ لَهَانَ عَلَيَّ ذٰلِكَ . وَلٰكِنَّهَا عَدَاوَةٌ طَبِيعِيَّةٌ بَيْنَ ٱلْأَرْوَاحِ . وَقَدْ قِيلَ مَنِ ٱسْتَأْمَنَ عَدُوَّهُ عَلَى نَفْسِهِ كَانَ كَمَنْ أَدْخَلَ يَدَهُ فِي فَمِ ٱلْأَفْعَى : فَقَالَ ٱلسِّنَّوْرُ وَهُوَ مُمْتَلِئٌ غَيْظًا : قَدْ ضَاقَ صَدْرِي وَضَعُفَتْ نَفْسِي . وَهَا أَنَا فِي ٱلنَّزْعِ وَعَنْ قَلِيلٍ أَمُوتُ عَلَى بَابِكَ وَيَبْقَى إِثْمِي عَلَيْكَ لِأَنَّكَ قَادِرٌ عَلَى نَجَاتِي مِمَّا أَنَا فِيهِ . وَهٰذَا آخِرُ كَلَامِي مَعَكَ : فَحَصَلَ لِلْفَأْرِ خَوْفٌ مِنَ ٱللهِ تَعَالَى . وَنَزَلَتْ فِي قَلْبِهِ ٱلرَّحْمَةُ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ : مَنْ أَرَادَ ٱلْمَعُونَةَ مِنَ ٱللهِ تَعَالَى عَلَى عَدُوِّهِ فَلْيَصْنَعْ مَعَهُ رَحْمَةً وَخَيْرًا . وَأَنَا مُتَوَكِّلٌ عَلَى ٱللهِ فِي هٰذَا ٱلْأَمْرِ وَأُنْقِذُ هٰذَا ٱلسِّنَّوْرَ مِنْ هٰذَا ٱلْهَلَاكِ لِأَكْسِبَ أَجْرَهُ : فَعِنْدَ ذٰلِكَ خَرَجَ ٱلْفَأْرُ إِلَى ٱلسِّنَّوْرِ وَأَدْخَلَهُ فِي وَكْرِهِ سَحْبًا . فَأَقَامَ عِنْدَهُ إِلَى أَنِ ٱشْتَدَّ وَٱسْتَرَاحَ وَتَعَافَى قَلِيلًا . فَصَارَ يَتَأَسَّفُ عَلَى ضُعْفِهِ وَذَهَابِ قُوَّتِهِ وَقِلَّةِ أَصْدِقَائِهِ . فَصَارَ ٱلْفَأْرُ يَتَرَقَّبُ بِهِ وَيَأْخُذُ بِخَاطِرِهِ وَيَتَقَرَّبُ مِنْهُ وَيَسْعَى حَوْلَهُ . فَأَمَّا ٱلسِّنَّوْرُ فَإِنَّهُ زَحَفَ إِلَى ٱلْوَكْرِ حَتَّى مَلَكَ ٱلْمَخْرَجَ خَوْفًا أَنْ يَخْرُجَ مِنْهُ ٱلْفَأْرُ . فَلَمَّا أَرَادَ ٱلْخُرُوجَ قَرُبَ مِنَ

السِّنَّوْرِ عَلَى عَادَتِهِ . فَلَمَّا صَارَ قَرِيبًا مِنْهُ قَبَضَ عَلَيْهِ وَأَخَذَهُ بَيْنَ أَظَافِيرِهِ وَصَارَ يَعَضُّهُ وَيَنْثُرُهُ وَيَأْخُذُهُ فِي فَمِهِ وَيَرْفَعُهُ عَنِ الْأَرْضِ وَيَرْمِيهِ وَيَجْرِي وَرَاءَهُ وَيَنْهَشُهُ وَيُعَذِّبُهُ . فَعِنْدَ ذٰلِكَ اسْتَغَاثَ الْفَأْرُ وَطَلَبَ الْخَلَاصَ مِنَ اللهِ . وَجَعَلَ يُعَاتِبُ السِّنَّوْرَ وَيَقُولُ : أَيْنَ الْعَهْدُ الَّذِي عَاهَدْتَنِي بِهِ . وَأَيْنَ أَقْسَامُكَ الَّتِي أَقْسَمْتَ بِهَا . أَهٰذَا جَزَائِي مِنْكَ . وَقَدْ أَدْخَلْتُكَ وَكْرِي وَاسْتَأْمَنْتُكَ عَلَى نَفْسِي . وَلٰكِنْ صَدَقَ مَنْ قَالَ : مَنْ أَخَذَ عَهْدًا مِنْ عَدُوِّهِ لَا يَبْتَغِي لِنَفْسِهِ نَجَاةً . وَمَنْ قَالَ : مَنْ سَلَّمَ نَفْسَهُ لِعَدُوِّهِ كَانَ مُسْتَوْجِبًا لِنَفْسِهِ الْهَلَاكَ . وَلٰكِنْ تَوَكَّلْتُ عَلَى خَالِقِي فَهُوَ الَّذِي يُخَلِّصُنِي مِنْكَ : فَبَيْنَمَا هُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ مَعَ السِّنَّوْرِ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَهْجُمَ عَلَيْهِ وَيَفْتَرِسَهُ . إِذَا بِرَجُلِ صَيَّادٍ مَعَهُ كِلَابٌ جَارِحَةٌ مُعَوَّدَةٌ عَلَى الصَّيْدِ . فَمَرَّ مِنْهَا كَلْبٌ عَلَى بَابِ الْوَكْرِ فَسَمِعَ فِيهِ مَعْرَكَةً كَبِيرَةً فَظَنَّ أَنَّ فِيهِ ثَعْلَبًا يَفْتَرِسُ شَيْئًا . فَانْدَفَعَ الْكَلْبُ مُنْحَدِرًا لِيَصْطَادَهُ فَصَادَفَ السِّنَّوْرَ فَجَذَبَهُ إِلَيْهِ . فَلَمَّا وَقَعَ السِّنَّوْرُ بَيْنَ يَدَيِ الْكَلْبِ انْتَهَى بِنَفْسِهِ وَأَطْلَقَ الْفَأْرَ حَيًّا لَيْسَ فِيهِ جُرْحٌ . وَأَمَّا هُوَ فَإِنَّهُ خَرَجَ بِهِ الْكَلْبُ الْجَارِحُ بَعْدَ أَنْ قَطَّعَ عَصَبَهُ وَرَمَاهُ مَيِّتًا . وَصَدَقَ فِي حَقِّهِمَا قَوْلُ مَنْ قَالَ : مَنْ رَحِمَ رُحِمَ آجِلًا . وَمَنْ ظَلَمَ ظُلِمَ عَاجِلًا

هٰذَا مَا جَرَى لَهُمَا أَيُّهَا الْمَلِكُ . فَلِذٰلِكَ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَنْقُضَ عَهْدَ مَنِ اسْتَأْمَنَهُ . وَمَنْ غَدَرَ وَخَانَ يَحْصُلُ لَهُ مِثْلُ مَا حَصَلَ لِلسِّنَّوْرِ .

لِأَنَّهُ كَمَا يَدِينُ ٱلْفَتَى يُدَانُ وَمَنْ يَرْجِعْ إِلَى ٱلْخَيْرِ يَنَلِ ٱلثَّوَابَ. وَلٰكِنْ لَا تَحْزَنْ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ وَلَا يَشُقُّ عَلَيْكَ ذٰلِكَ. لِأَنَّ وَلَدَكَ بَعْدَ ظُلْمِهِ وَعَسْفِهِ رُبَّمَا يَعُودُ إِلَى حُسْنِ سِيرَتِكَ. وَإِنَّ هٰذَا ٱلْعَالِمَ ٱلَّذِي هُوَ وَزِيرُكَ شَمَّاسٌ أَحَبَّ أَنْ يُكْتِمَ عَلَيْكَ شَيْئًا فِيمَا رَمَزَهُ إِلَيْكَ. وَذٰلِكَ رُشْدٌ مِنْهُ لِأَنَّهُ قَدْ قِيلَ: أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ خَوْفًا أَوْسَعُهُمْ عِلْمًا وَأَغْبَطُهُمْ خَيْرًا: فَأَذْعَنَ ٱلْمَلِكُ عِنْدَ ذٰلِكَ وَأَمَرَ لَهُمْ بِإِكْرَامٍ جَزِيلٍ. ثُمَّ صَرَفَهُمْ وَقَامَ وَدَخَلَ مَكَانَهُ وَصَارَ يَتَفَكَّرُ فِي عَاقِبَةِ أَمْرِهِ. وَسَلَّمَ أَمْرَهُ إِلَى ٱللهِ ٱلَّذِي فِي يَدِهِ جَمِيعُ ٱلْأُمُورِ. فَلَمْ يَمْضِ زَمَانٌ كَثِيرٌ إِلَّا أَتَتْهُ ٱلْبُشْرَى بِتَحْقِيقِ أَمَلِهِ فَقَالَ: صَدَقَتْ رُؤْيَايَ وَٱللهُ ٱلْمُسْتَعَانُ: ثُمَّ إِنَّهُ دَعَا بِبَعْضِ ٱلْغِلْمَانِ وَأَرْسَلَهُ لِيُحْضِرَ شَمَّاسًا. فَلَمَّا حَدَّثَهُ ٱلْمَلِكُ بِمَا صَارَ مِنْ حَمْلِ زَوْجَتِهِ وَهُوَ فَرْحَانُ قَائِلًا: قَدْ صَدَقَتْ رُؤْيَايَ وَٱتَّصَلَ رَجَائِي فَلَعَلَّ ذٰلِكَ ٱلْحَمْلَ يَكُونُ وَلَدًا ذَكَرًا وَيَكُونُ وَارِثًا لِمُلْكِي. فَمَا تَقُولُ يَا شَمَّاسُ فِي ذٰلِكَ: فَسَكَتَ شَمَّاسُ وَلَمْ يَنْطِقْ بِجَوَابٍ. فَقَالَ لَهُ ٱلْمَلِكُ: مَالِي أَرَاكَ لَا تَفْرَحُ لِفَرَحِي وَلَا تَرُدُّ لِي جَوَابًا. يَا تُرَى هَلْ أَنْتَ كَارِهٌ لِهٰذَا ٱلْأَمْرِ يَا شَمَّاسُ: فَسَجَدَ عِنْدَ ذٰلِكَ شَمَّاسُ بَيْنَ يَدَيِ ٱلْمَلِكِ وَقَالَ: أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ أَطَالَ ٱللهُ عُمْرَكَ. مَا ٱلَّذِي يَنْفَعُ ٱلْمُسْتَظِلَّ بِشَجَرَةٍ إِذَا كَانَتِ ٱلنَّارُ تَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا لَذَّةُ شَارِبِ ٱلْخَمْرِ ٱلصَّافِي إِذَا حَصَلَ لَهُ بِهَا ٱلشَّرَقُ. وَمَا فَائِدَةُ ٱلنَّاهِلِ مِنَ ٱلْمَاءِ ٱلْعَذْبِ ٱلْبَارِدِ إِذَا غَرِقَ فِيهِ. وَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ لِلهِ وَلَكَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ. وَلٰكِنْ قَدْ قِيلَ: ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ لَا يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ

أَنْ يَتَكَلَّمَ فِي شَأْنِهَا إِلَّا إِذَا تَمَّتْ: اَلْمُسَافِرُ حَتَّى يَرْجِعَ مِنْ سَفَرِهِ. وَالَّذِي فِي الْحَرْبِ حَتَّى يَقْهَرَ عَدُوَّهُ. وَالْمَرْأَةُ الْحَامِلُ حَتَّى تَضَعَ حَمْلَهَا. فَاعْلَمْ أَيُّهَا الْمَلِكُ أَنَّ الْمُتَكَلِّمَ بِشَأْنِ شَيْءٍ لَمْ يَتِمَّ مِثْلُ النَّاسِكِ الْمُدْفُوقِ عَلَى رَأْسِهِ السَّمْنُ: فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: وَكَيْفَ حِكَايَةُ النَّاسِكِ وَمَا جَرَى لَهُ

(حكاية الناسك وما جرى له)

فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ. إِنَّهُ كَانَ نَاسِكٌ عِنْدَ شَرِيفٍ مِنْ أَشْرَافِ بَعْضِ الْمُدُنِ. وَكَانَ لِلنَّاسِكِ جَرَايَةٌ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ رِزْقِ ذٰلِكَ الشَّرِيفِ. وَهِيَ: ثَلٰثَةُ أَرْغِفَةٍ مَعَ قَلِيلٍ مِنَ السَّمْنِ وَالْعَسَلِ. وَكَانَ السَّمْنُ فِي ذٰلِكَ الْبَلَدِ غَالِيًا. وَكَانَ النَّاسِكُ يَجْمَعُ الَّذِي يَجِيءُ إِلَيْهِ فِي جَرَّةٍ عِنْدَهُ حَتَّى مَلَأَهَا وَعَلَّقَهَا فَوْقَ رَأْسِهِ خَوْفًا وَاحْتِرَاسًا. فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ لَيْلَةٍ مِنَ اللَّيَالِي جَالِسٌ عَلَى فِرَاشِهِ وَعَصَاهُ فِي يَدِهِ. إِذْ عَرَضَ لَهُ فِكْرٌ فِي أَمْرِ السَّمْنِ وَغَلَائِهِ. فَقَالَ فِي نَفْسِهِ: يَنْبَغِي أَنْ أَبِيعَ هٰذَا السَّمْنَ الَّذِي عِنْدِي جَمِيعَهُ. وَأَشْتَرِيَ بِثَمَنِهِ نَعْجَةً وَأُشَارِكَ عَلَيْهَا أَحَدًا مِنَ الْفَلَّاحِينَ. فَإِنَّهَا فِي أَوَّلِ عَامٍ تَلِدُ ذَكَرًا وَأُنْثَى. وَثَانِي عَامٍ تَلِدُ أُنْثَى وَذَكَرًا. وَلَا تَزَالُ هٰذِهِ الْغَنَمُ تَتَوَالَدُ ذُكُورًا وَإِنَاثًا حَتَّى تَصِيرَ شَيْئًا كَثِيرًا. وَأَقْسِمُ حِصَّتِي بَعْدَ ذٰلِكَ وَأَبِيعُ مَا شِئْتُ. وَأَشْتَرِي الْأَرْضَ الْفُلَانِيَّةَ وَأُنْشِئُ فِيهَا غَيْطًا وَأَبْنِي فِيهَا قَصْرًا عَظِيمًا وَأَقْنِي ثِيَابًا وَمَلْبُوسًا. وَأَشْتَرِي عَبِيدًا وَجَوَارِيَ وَأَتَزَوَّجُ بِنْتَ التَّاجِرِ

ٱلْفُلَانِيِّ وَأَعْمَلُ عُرْسًا مَا صَارَ مِثْلُهُ قَطُّ. وَأَذْبَحُ ٱلذَّبَائِحَ وَأَعْمَلُ ٱلْأَطْعِمَةَ ٱلْفَاخِرَةَ وَٱلْحُلْوَيَاتِ ٱلْمُلَبَّسَاتِ وَغَيْرَهَا. وَأَجْمَعُ فِيهِ أَهْلَ ٱلْمَلَاعِبِ وَأَرْبَابَ ٱلْفُنُونِ وَآلَاتِ ٱلسَّمَاعِ وَأُجَهِّزُ ٱلْأَزْهَارَ وَٱلْمَشْمُومَاتِ وَأَصْنَافَ ٱلرَّيَاحِينِ وَأَدْعُو ٱلْأَغْنِيَاءَ وَٱلْفُقَرَاءَ وَٱلْعُلَمَاءَ وَٱلرُّؤَسَاءَ وَأَرْبَابَ ٱلدَّوْلَةِ. وَكُلُّ مَنْ طَلَبَ شَيْئًا أَحْضَرْتُهُ إِلَيْهِ. وَأُجَهِّزُ أَنْوَاعَ ٱلْمَآكِلِ وَٱلْمَشَارِبِ. وَأُطْلِقُ مُنَادِيًا يُنَادِي. مَنْ يَطْلُبُ شَيْئًا يَنَالُهُ. وَبَعْدَ ذٰلِكَ تَحْمِلُ زَوْجَتِي وَتَلِدُ غُلَامًا ذَكَرًا. فَأَفْرَحُ بِهِ وَأَعْمَلُ لَهُ ٱلْوَلَائِمَ وَأُرَبِّيهِ فِي ٱلدَّلَالِ. وَأُعَلِّمُهُ ٱلْحِكْمَةَ وَٱلْأَدَبَ وَٱلْحِسَابَ وَأَشْهَرُ ٱسْمَهُ بَيْنَ ٱلنَّاسِ. وَأَفْتَخِرُ بِهِ عِنْدَ أَرْبَابِ ٱلْمَجَالِسِ. وَآمُرُهُ بِٱلْمَعْرُوفِ فَلَا يُخَالِفُنِي وَأَنْهَاهُ عَنِ ٱلْفَاحِشَةِ وَٱلْمُنْكَرِ. وَأُوصِيهِ بِٱلتَّقْوَى وَفِعْلِ ٱلْخَيْرِ. وَأُعْطِيهِ ٱلْعَطَايَا ٱلْحَسَنَةَ ٱلسَّنِيَّةَ. فَإِنْ رَأَيْتُهُ لَزِمَ ٱلطَّاعَةَ زِدْتُهُ عَطَايَا صَالِحَةً. وَإِنْ رَأَيْتُهُ مَالَ إِلَى ٱلْمَعْصِيَةِ أَنْزِلُ عَلَيْهِ بِهٰذِهِ ٱلْعَصَا وَرَفَعَهَا لِيَضْرِبَ بِهَا وَلَدَهُ فَأَصَابَتْ جَرَّةَ ٱلسَّمْنِ ٱلَّتِي فَوْقَ رَأْسِهِ فَكَسَرَتْهَا. فَعِنْدَ ذٰلِكَ نَزَلَتْ بِشُقَافَتِهَا عَلَيْهِ وَسَاحَ ٱلسَّمْنُ عَلَى رَأْسِهِ وَلِثِيَابِهِ وَلِحْيَتِهِ وَصَارَ عِبْرَةً. فَلِأَجْلِ ذٰلِكَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ. لَا يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَتَكَلَّمَ عَلَى شَيْءٍ قَبْلَ أَنْ يَصِيرَ

فَقَالَ لَهُ ٱلْمَلِكُ: لَقَدْ صَدَقْتَ فِيمَا قُلْتَ. وَنِعْمَ ٱلْوَزِيرُ أَنْتَ. لِكَوْنِكَ بِٱلصِّدْقِ نَطَقْتَ. وَبِٱلْخَيْرِ أَشَرْتَ. وَلَقَدْ صَارَتْ رُتْبَتُكَ عِنْدِي عَلَى مَا تُحِبُّ وَلَمْ تَزَلْ مَقْبُولًا. فَسَجَدَ شَمَّاسُ لِلّٰهِ وَلِلْمَلِكِ وَدَعَا

لَهُ بِدَوَامِ ٱلنِّعَمِ وَقَالَ لَهُ: أَدَامَ ٱللهُ أَيَّامَكَ وَأَعْلَى شَأْنَكَ. وَٱعْلَمْ أَنِّي لَسْتُ أَكْتُمُ عَنْكَ شَيْئًا لَا فِي ٱلسِّرِّ وَلَا فِي ٱلْعَلَانِيَةِ وَرِضَاكَ رِضَايَ وَغَضَبُكَ غَضَبِي وَلَيْسَ لِي فَرَحٌ إِلَّا بِفَرَحِكَ وَلَا يُمْكِنُنِي أَنْ أَبِيتَ وَأَنْتَ سَاخِطٌ عَلَيَّ. لِأَنَّ ٱللهَ تَعَالَى رَزَقَنِي كُلَّ خَيْرٍ بِإِكْرَامِكَ إِيَّايَ. فَأَسْأَلُ ٱللهَ تَعَالَى أَنْ يَحْرُسَكَ بِمَلَائِكَتِهِ. وَيُحْسِنَ ثَوَابَكَ عِنْدَ لِقَائِهِ. فَٱبْتَهَجَ ٱلْمَلِكُ عِنْدَ ذٰلِكَ. ثُمَّ قَامَ شَمَّاسٌ وَٱنْصَرَفَ مِنْ عِنْدِ ٱلْمَلِكِ

ثُمَّ بَعْدَ مُدَّةٍ وَضَعَتْ زَوْجَةُ ٱلْمَلِكِ غُلَامًا ذَكَرًا. فَنَهَضَ ٱلْمُبَشِّرُونَ إِلَى ٱلْمَلِكِ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ فَفَرِحَ بِذٰلِكَ فَرَحًا شَدِيدًا. وَشَكَرَ ٱللهَ شُكْرًا جَزِيلًا وَقَالَ: ٱلْحَمْدُ لِلهِ ٱلَّذِي رَزَقَنِي وَلَدًا بَعْدَ ٱلْيَأْسِ وَهُوَ ٱلشَّفُوقُ ٱلرَّؤُفُ عَلَى عِبَادِهِ: ثُمَّ إِنَّ ٱلْمَلِكَ كَتَبَ إِلَى سَائِرِ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ لِيُعْلِمَهُمْ بِٱلْخَبَرِ وَيَدْعُوهُمْ إِلَى مَنْزِلِهِ. فَحَضَرَ لَهُ ٱلْأُمَرَاءُ وَٱلرُّؤَسَاءُ وَٱلْعُلَمَاءُ وَأَرْبَابُ ٱلدَّوْلَةِ ٱلَّذِينَ تَحْتَ أَمْرِهِ. هٰذَا مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ ٱلْمَلِكِ

وَأَمَّا مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ وَلَدِهِ. فَإِنَّهُ قَدْ دَقَّتْ لَهُ ٱلْبَشَائِرُ وَٱلْأَفْرَاحُ فِي سَائِرِ ٱلْمَمْلَكَةِ. وَأَقْبَلَ أَهْلُهَا إِلَى ٱلْحُضُورِ مِنْ سَائِرِ ٱلْأَقْطَارِ. وَأَقْبَلَ أَهْلُ ٱلْعُلُومِ وَٱلْفَلْسَفَةِ وَٱلْأُدَبَاءُ وَٱلْحُكَمَاءُ وَدَخَلُوا جَمِيعُهُمْ إِلَى ٱلْمَلِكِ. وَوَصَلَ كُلٌّ مِنْهُمْ إِلَى حَدِّ مَقَامِهِ. ثُمَّ أَشَارَ إِلَى ٱلْوُزَرَاءِ ٱلسَّبْعَةِ ٱلْكِبَارِ ٱلَّذِينَ رَئِيسُهُمْ شَمَّاسٌ أَنْ يَتَكَلَّمَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَلَى

قَدرِ مَا عِنْدَهُ مِنَ الْحِكْمَةِ فِي شَأْنِ مَا هُوَ بِصَدَدِهِ . فَأَبْتَدَأَ رَئِيسُهُمُ الْوَزِيرُ شَمَّاسُ . وَٱسْتَأْذَنَ الْمَلِكَ فِي الْكَلَامِ . فَأَذِنَ لَهُ .

فَقَالَ الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي أَنْشَأَنَا مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ الْمُنْعِمِ عَلَى عِبَادِهِ الْمُلُوكِ أَهْلِ الْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ بِمَا أَوْلَاهُمْ مِنَ الْمُلْكِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ . وَبِمَا أَجْرَاهُ عَلَى أَيْدِيهِمْ لِرَعِيَّتِهِمْ مِنَ الرِّزْقِ وَخُصُوصًا مَلِكَنَا الَّذِي أَحْيَا بِهِ مَوَاتَ بِلَادِنَا بِمَا أَسْدَاهُ اللّٰهُ عَلَيْنَا مِنَ النِّعَمِ . وَرَزَقَنَا مِنْ سَلَامَتِهِ بِرَخَاءِ الْعَيْشِ وَالطُّمَأْنِينَةِ وَالْعَدْلِ . فَأَيُّ مَلِكٍ يُصْنَعُ بِأَهْلِ مَمْلَكَتِهِ مَا صَنَعَ الْمَلِكُ بِنَا مِنَ الْقِيَامِ بِمَصَالِحِنَا وَأَدَاءِ حُقُوقِنَا وَإِنْصَافِ بَعْضِنَا مِنْ بَعْضٍ وَقِلَّةِ الْغَفْلَةِ عَنَّا وَرَدِّ مَظَالِمِنَا . وَمِنْ فَضْلِ اللّٰهِ عَلَى النَّاسِ أَنْ يَكُونَ مَلِكُهُمْ مُتَعَهِّدًا لِأُمُورِهِمْ . وَحَافِظًا لَهُمْ مِنْ عَدُوِّهِمْ لِأَنَّ الْعَدُوَّ غَايَةُ قَصْدِهِ أَنْ يَقْهَرَ عَدُوَّهُ وَأَنْ يَمْلِكَهُ فِي يَدِهِ . وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يُقَدِّمُونَ أَوْلَادَهُمْ إِلَى الْمُلُوكِ خَدَمًا فَيَصِيرُونَ عِنْدَهُمْ بِمَنْزِلَةِ الْعَبِيدِ . لِأَجْلِ أَنْ يَمْنَعُوا عَنْهُمُ الْأَعْدَاءَ وَأَمَّا نَحْنُ فَلَمْ يَطَأْ بِلَادَنَا أَعْدَاءٌ فِي زَمَنِ مَلِكِنَا . لِهٰذِهِ النِّعْمَةِ الْكُبْرَى وَالسَّعَادَةِ الْعُظْمَى الَّتِي لَمْ يَقْدِرِ الْوَاصِفُونَ عَلَى وَصْفِهَا وَإِنَّمَا هِيَ فَوْقَ ذٰلِكَ . وَأَنْتَ أَيُّهَا الْمَلِكُ حَقِيقٌ بِأَنَّكَ أَهْلٌ لِهٰذِهِ النِّعْمَةِ الْعَظِيمَةِ وَنَحْنُ تَحْتَ كَنَفِكَ وَفِي ظِلِّ جَنَاحِكَ أَحْسَنَ اللّٰهُ ثَوَابَكَ وَأَدَامَ بَقَاءَكَ . لِأَنَّنَا كُنَّا قَبْلَ ذٰلِكَ نَجِدُّ فِي الطَّلَبِ مِنَ اللّٰهِ تَعَالَى أَنْ يَمُنَّ عَلَيْنَا بِالْإِجَابَةِ وَيُبْقِيَكَ لَنَا وَيُعْطِيَكَ وَلَدًا صَالِحًا تَقَرُّ بِهِ عَيْنَاكَ وَاللّٰهُ

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَدْ تَقَبَّلَ مِنَّا وَاسْتَجَابَ دُعَاءَنَا وَأَتَانَا بِالْفَرَجِ الْقَرِيبِ مِثْلَمَا أَتَى لِبَعْضِ السَّمَكِ فِي غَدِيرِ الْمَاءِ: فَقَالَ الْمَلِكُ: وَمَا حِكَايَةُ السَّمَكِ وَكَيْفَ ذَلِكَ

(حكاية السمك وما جرى له)

فَقَالَ شَمَّاسُ: اعْلَمْ أَيُّهَا الْمَلِكُ أَنَّهُ كَانَ فِي بَعْضِ الْأَمَاكِنِ غَدِيرُ مَاءٍ. وَكَانَ فِيهِ بَعْضُ سَمَكَاتٍ. فَعَرَضَ لِذَلِكَ الْغَدِيرِ أَنَّهُ قَلَّ مَاؤُهُ. وَصَارَ يَنْضَمُّ بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ وَلَمْ يَبْقَ فِي الْمَاءِ مَا يَسَعُهَا فَكَادَتْ أَنْ تَهْلِكَ. وَقَالَتْ: مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ مِنْ أَمْرِنَا. وَكَيْفَ نَحْتَالُ وَمَنْ نَسْتَشِيرُهُ فِي نَجَاتِنَا: فَقَامَتْ سَمَكَةٌ مِنْهُنَّ وَكَانَتْ أَكْبَرَهُنَّ عَقْلًا وَسِنًّا وَقَالَتْ: مَا لَنَا حِيلَةٌ فِي خَلَاصِنَا إِلَّا الطَّلَبُ مِنَ اللهِ. وَلَكِنْ نَلْتَمِسُ الرَّأْيَ مِنَ السَّرَطَانِ فَإِنَّهُ أَكْبَرُنَا فَهَلُمُّنَ بِنَا إِلَيْهِ لِنَنْظُرَ مَا يَكُونُ مِنْ رَأْيِهِ لِأَنَّهُ أَكْثَرُ مِنَّا مَعْرِفَةً بِحَقَائِقِ الْكَلَامِ. فَاسْتَحْسَنَّ رَأْيَهَا وَجِئْنَ بِأَجْمَعِهِنَّ إِلَى السَّرَطَانِ. فَوَجَدْنَهُ رَابِضًا فِي مَوْضِعِهِ. وَلَيْسَ عِنْدَهُ عِلْمٌ وَلَا خَبَرٌ مِمَّا هُنَّ فِيهِ. فَسَلَّمْنَ عَلَيْهِ وَقُلْنَ لَهُ: يَا سَيِّدَنَا. أَمَا يَعْنِيكَ أَمْرُنَا. وَأَنْتَ حَاكِمُنَا وَرَئِيسُنَا. فَأَجَابَهُنَّ السَّرَطَانُ قَائِلًا: وَعَلَيْكُنَّ السَّلَامُ. مَا الَّذِي بِكُنَّ. وَمَا تُرِدْنَ. فَقَصَصْنَ عَلَيْهِ قِصَّتَهُنَّ وَمَا دَهَاهُنَّ مِنْ أَمْرِ نَقْصِ الْمَاءِ وَأَنَّهُ مَتَى نَشَفَ حَصَلَ لَهُنَّ الْهَلَاكُ. ثُمَّ قُلْنَ لَهُ: وَقَدْ جِئْنَاكَ مُنْتَظِرَاتٍ رَأْيَكَ وَمَا يَكُونُ فِيهِ النَّجَاةُ. لِأَنَّكَ كَبِيرُنَا وَأَعْرَفُ مِنَّا. فَعِنْدَ ذَلِكَ أَطْرَقَ

رأسه مليًا ثم قال : لا شك أن عندكن نقص عقل ليأسكن من رحمة الله تعالى وكفالته بأرزاق خلائقه جميعًا . ألم تعلمن أن الله تعالى سبحانه يرزق عباده بغير حساب . وقدر أرزاقهم قبل أن يخلق شيئًا من الأشياء . وجعل لكل شخص عمرًا محدودًا ورزقًا مقسومًا بقدرته الإلهية . فكيف نحمل هم شيء هو في الغيب مسطور . والرأي عندي أنه لم يكن شيء أحسن من الطلب من الله تعالى . فينبغي أن كل واحد منا يصلح سريرته مع ربه في سره وعلانيته . ويدعو الله أن يخلصنا وينقذنا من الشدائد . لأن الله تعالى لا يخيب رجاء من توكل عليه ولا يرد طلب من توسل إليه . فإذا أصلحنا أحوالنا استقامت أمورنا وحصلنا كل خير ونعمة . وإذا جاء الشتاء وعمر أرضنا بدعاء صالحنا فلا يهدم الخير الذي بناه . فالرأي أن نصبر وننتظر ما يفعله الله بنا . فإن كان يحصل لنا موت على العادة استرحنا . وإن كان يحصل لنا ما يوجب الهرب هربنا ورحلنا من أرضنا إلى حيث يريد الله . فأجاب السمك جميعه من فم واحد : صدقت يا سيدنا . جزاك الله عنا خيرًا . وتوجه كل واحد منهن إلى موضعه . فما مضى إلا أيام قلائل وأتاهن الله بمطر شديد حتى ملأ محل الغدير زيادة عما كان أولًا

وهكذا نحن أيها الملك كنا يائسين من أن يكون لك ولد . وحيث من الله علينا وعليك بهذا الولد المبارك . فنسأل الله تعالى

أَنْ يَجْعَلَهُ وَلَدًا مُبَارَكًا. وَأَنْ يُقِرَّ بِهِ عَيْنَكَ وَيَجْعَلَهُ خَلِيفَةً صَالِحَةً. وَيَرْزُقَنَا مِنْهُ مَا رَزَقَنَا مِنْكَ. فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى لَا يُخَيِّبُ مَنْ قَصَدَهُ. وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَقْطَعَ رَجَاءَهُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ

ثُمَّ قَامَ الْوَزِيرُ الثَّانِي وَسَلَّمَ عَلَى الْمَلِكِ. فَأَجَابَهُ الْمَلِكُ قَائِلًا: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ: فَقَالَ ذَلِكَ الْوَزِيرُ: إِنَّ الْمَلِكَ لَا يُسَمَّى مَلِكًا إِلَّا إِذَا أَعْطَى وَعَدَلَ. وَحَكَمَ وَأَكْرَمَ وَأَحْسَنَ سِيرَتَهُ مَعَ رَعِيَّتِهِ بِإِقَامَةِ الشَّرَائِعِ وَالسُّنَنِ الْمَأْلُوفَةِ بَيْنَ النَّاسِ. وَأَنْصَفَ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ وَحَقَنَ دِمَاءَهُمْ وَكَفَّ الْأَذَى عَنْهُمْ وَيَكُونُ مَوْصُوفًا بِعَدَمِ الْغَفْلَةِ عَنْ فُقَرَائِهِمْ وَإِسْعَافِ أَعْلَاهُمْ وَأَدْنَاهُمْ وَإِعْطَائِهِمْ الْحَقَّ الْوَاجِبَ لَهُمْ حَتَّى يَصِيرُوا جَمِيعًا دَاعِينَ لَهُ مُمْتَثِلِينَ لِأَمْرِهِ. لِأَنَّهُ لَا شَكَّ أَنَّ الْمَلِكَ الَّذِي بِهَذِهِ الصِّفَةِ مَحْبُوبٌ عِنْدَ الرَّعِيَّةِ مُكْتَسِبًا مِنَ الدُّنْيَا عَلَاءَهَا وَمِنَ الْآخِرَةِ شَرَفَهَا وَرِضَى خَالِقِهَا. وَنَحْنُ مَعَاشِرَ الْعَبِيدِ مُعْتَرِفُونَ لَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ بِأَنَّ جَمِيعَ مَا وَصَفْنَاهُ عِنْدَكَ. كَمَا قِيلَ: خَيْرُ الْأُمُورِ أَنْ يَكُونَ مَلِكُ الرَّعِيَّةِ عَادِلًا. وَحَكِيمُهَا مَاهِرًا. وَعَالِمُهَا خَبِيرًا عَامِلًا بِعِلْمِهِ. وَنَحْنُ الْآنَ مُتَنَعِّمُونَ بِهَذِهِ السَّعَادَةِ. وَكُنَّا قَبْلَ ذَلِكَ قَدْ وَقَعْنَا فِي الْيَأْسِ مِنْ حُصُولِ وَلَدٍ لَكَ يَرِثُ مُلْكَكَ. وَلَكِنَّ اللهَ جَلَّ اسْمُهُ لَمْ يُخَيِّبْ رَجَاءَكَ وَقَبِلَ دُعَاءَكَ لِحُسْنِ ظَنِّكَ بِهِ وَتَسْلِيمِ أَمْرِكَ إِلَيْهِ. فَنِعْمَ الرَّجَاءُ رَجَاؤُكَ. وَقَدْ صَارَ فِيكَ مَا صَارَ لِلْغُرَابِ وَالْحَيَّةِ: فَقَالَ الْمَلِكُ: كَيْفَ ذَلِكَ وَمَا حِكَايَةُ الْغُرَابِ وَالْحَيَّةِ

(حكاية الغراب والحية)

فَقَالَ ٱلْوَزِيرُ : ٱعْلَمْ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ أَنَّهُ كَانَ غُرَابٌ سَاكِنًا فِي شَجَرَةٍ هُوَ وَزَوْجَتُهُ فِي أَرْغَدِ عَيْشٍ إِلَى أَنْ بَلَغَا زَمَانَ تَفْرِيخِهِمَا . وَكَانَ زَمَنَ ٱلْقَيْظِ . فَخَرَجَتْ حَيَّةٌ مِنْ وَكْرِهَا . وَقَصَدَتْ تِلْكَ ٱلشَّجَرَةَ فَتَعَلَّقَتْ بِفُرُوعِهَا إِلَى أَنْ صَعِدَتْ إِلَى عُشِّ ٱلْغُرَابِ وَرَبَضَتْ فِيهِ . وَمَكَثَتْ مُدَّةَ أَيَّامِ ٱلصَّيْفِ . وَصَارَ ٱلْغُرَابُ مَطْرُودًا لَا يَجِدُ لَهُ فُرْصَةً وَلَا مَوْضِعًا يَرْقُدُ فِيهِ . فَلَمَّا ٱنْقَضَتْ أَيَّامُ ٱلْحَرِّ ذَهَبَتِ ٱلْحَيَّةُ إِلَى مَوْضِعِهَا . فَقَالَ ٱلْغُرَابُ لِزَوْجَتِهِ : نَشْكُرُ ٱللهَ تَعَالَى ٱلَّذِي نَجَّانَا وَخَلَّصَنَا مِنْ هٰذِهِ ٱلْآفَةِ وَلَوْ كُنَّا حُرِمْنَا مِنَ ٱلزَّادِ فِي هٰذِهِ ٱلسَّنَةِ . لِأَنَّ ٱللهَ تَعَالَى لَا يَقْطَعُ رَجَاءَنَا . فَنَشْكُرُهُ عَلَى مَا مَنَّ عَلَيْنَا مِنَ ٱلسَّلَامَةِ وَصِحَّةِ أَبْدَانِنَا . وَلَيْسَ لَنَا ٱتِّكَالٌ إِلَّا عَلَيْهِ . وَإِذَا أَرَادَ ٱللهُ وَعِشْنَا إِلَى ٱلْعَامِ ٱلْقَابِلِ عَوَّضَ ٱللهُ عَلَيْنَا نِتَاجَنَا . فَلَمَّا كَانَ وَقْتُ تَفْرِيخِهِمَا خَرَجَتِ ٱلْحَيَّةُ مِنْ مَوْضِعِهَا وَقَصَدَتِ ٱلشَّجَرَةَ . فَبَيْنَمَا هِيَ مُتَعَلِّقَةٌ بِبَعْضِ أَغْصَانِهَا . وَهِيَ قَاصِدَةُ عُشِّ ٱلْغُرَابِ عَلَى ٱلْعَادَةِ . وَإِذَا بِجَدَأَةٍ قَدِ ٱنْقَضَّتْ عَلَيْهَا وَضَرَبَتْهَا فِي رَأْسِهَا فَخَدَشَتْهَا . فَعِنْدَ ذٰلِكَ سَقَطَتِ ٱلْحَيَّةُ عَلَى ٱلْأَرْضِ مَغْشِيًّا عَلَيْهَا . وَطَلَعَ عَلَيْهَا ٱلنَّمْلُ فَأَكَلَهَا . وَصَارَ ٱلْغُرَابُ مَعَ زَوْجَتِهِ فِي سَلَامَةٍ وَطُمَأْنِينَةٍ . وَفَرَّخَا أَوْلَادًا كَثِيرَةً وَشَكَرَا ٱللهَ عَلَى سَلَامَتِهِمَا وَعَلَى حُصُولِ ٱلْأَوْلَادِ . وَنَحْنُ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ : يَجِبُ عَلَيْنَا شُكْرُهُ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكَ وَعَلَيْنَا بِهٰذَا ٱلْمَوْلُودِ ٱلْمُبَارَكِ ٱلسَّعِيدِ . بَعْدَ

ٱلْيَأْسِ وَقَطْعِ ٱلرَّجَاءِ . أَحْسَنَ ٱللهُ ثَوَابَكَ وَعَاقِبَةَ أَمْرِكَ

ثُمَّ قَامَ ٱلْوَزِيرُ ٱلثَّالِثُ وَقَالَ : أَبْشِرْ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ ٱلْعَادِلُ بِٱلْخَيْرِ ٱلْعَاجِلِ وَٱلثَّوَابِ ٱلْآجِلِ . لِأَنَّ كُلَّ مَنْ تُحِبُّهُ أَهْلُ ٱلْأَرْضِ تُحِبُّهُ أَهْلُ ٱلسَّمَاءِ . وَٱللهُ تَعَالَى قَسَمَ لَكَ ٱلْمَحَبَّةَ . وَجَعَلَهَا فِي قُلُوبِ أَهْلِ مَمْلَكَتِكَ . فَلَهُ ٱلشُّكْرُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ مِنَّا وَمِنْكَ لِكَيْ يَزِيدَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَيْنَا بِكَ . وَٱعْلَمْ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ أَنَّ ٱلْإِنْسَانَ لَا يَسْتَطِيعُ شَيْئًا إِلَّا بِأَمْرِ ٱللهِ تَعَالَى . وَأَنَّهُ هُوَ ٱلْمُعْطِي . وَأَنَّ كُلَّ خَيْرٍ عِنْدَ شَخْصٍ إِلَيْهِ يَنْتَهِي . قَسَّمَ ٱلنِّعَمَ عَلَى عَبِيدِهِ كَمَا يُحِبُّ فَمِنْهُمْ مَنْ أَعْطَاهُ مَوَاهِبَ كَثِيرَةً . وَمِنْهُمْ مَنْ شَغَلَهُ بِتَحْصِيلِ ٱلْقُوتِ . وَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلَهُ رَئِيسًا . وَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلَهُ زَاهِدًا فِي ٱلدُّنْيَا . رَاغِبًا إِلَيْهِ . لِأَنَّهُ هُوَ ٱلَّذِي قَالَ : أَنَا ٱلضَّارُّ ٱلنَّافِعُ . أَشْفِي وَأُمْرِضُ . وَأُغْنِي وَأُفْقِرُ . وَأُمِيتُ وَأُحْيِي . وَبِيَدِي كُلُّ شَيْءٍ وَإِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ . فَوَاجِبٌ عَلَى جَمِيعِ ٱلنَّاسِ شُكْرُهُ . وَأَنْتَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ مِنَ ٱلسُّعَدَاءِ ٱلْأَبْرَارِ . كَمَا قِيلَ : إِنَّ أَسْعَدَ ٱلْأَبْرَارِ مَنْ جَمَعَ ٱللهُ لَهُ بَيْنَ خَيْرَيِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ . وَيَقْنَعُ بِمَا قَسَمَ ٱللهُ لَهُ وَيَشْكُرُهُ عَلَى مَا أَقَامَهُ . وَمَنْ تَعَدَّى وَطَلَبَ غَيْرَ مَا قَدَّرَ ٱللهُ لَهُ وَعَلَيْهِ يُشْبِهُ حِمَارَ ٱلْوَحْشِ وَٱلثَّعْلَبَ : قَالَ ٱلْمَلِكُ : وَمَا حَدِيثُهُمَا

(حكاية حمار الوحش والثعلب)

قَالَ ٱلْوَزِيرُ : ٱعْلَمْ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ أَنَّ ثَعْلَبًا كَانَ يَخْرُجُ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ وَطَنِهِ وَيَسْعَى عَلَى رِزْقِهِ . فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي بَعْضِ ٱلْجِبَالِ .

وَإِذَا بِالنَّهَارِ قَدِ انْقَضَى . وَقَصَدَ الرُّجُوعَ . فَاجْتَمَعَ عَلَى ثَعْلَبٍ رَآهُ مَاشِيًا . وَصَارَ كُلٌّ مِنْهُمَا يَحْكِي لِصَاحِبِهِ حِكَايَتَهُ مَعَ مَا افْتَرَسَهُ . فَقَالَ أَحَدُهُمَا : إِنِّي بِالْأَمْسِ وَقَعْتُ فِي حِمَارِ وَحْشٍ وَكُنْتُ جَائِعًا . وَكَانَ لِي ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ مَا أَكَلْتُ . فَفَرِحْتُ بِذَلِكَ وَشَكَرْتُ اللهَ تَعَالَى الَّذِي سَخَّرَهُ لِي . ثُمَّ إِنِّي عَمَدْتُ إِلَى قَلْبِهِ فَأَكَلْتُهُ وَشَبِعْتُ . ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى وَطَنِي وَمَضَى عَلَيَّ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ لَمْ أَجِدْ شَيْئًا آكُلُهُ وَمَعَ ذَلِكَ أَنَا شَبْعَانُ إِلَى الْآنَ . فَلَمَّا سَمِعَ الثَّعْلَبُ الْحِكَايَةَ حَسَدَهُ عَلَى شِبَعِهِ . وَقَالَ فِي نَفْسِهِ : لَا بُدَّ لِي مِنْ أَكْلِ قَلْبِ حِمَارِ الْوَحْشِ . فَتَرَكَ الْأَكْلَ أَيَّامًا حَتَّى انْهَزَلَ وَأَشْرَفَ عَلَى الْمَوْتِ وَقَصُرَ سَعْيُهُ وَاجْتِهَادُهُ وَرَبَضَ فِي وَطَنِهِ . فَبَيْنَمَا هُوَ فِي وَطَنِهِ ذَاتَ يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ وَإِذَا بِصَيَّادَيْنِ مَاشِيَيْنِ قَاصِدَيْنِ الصَّيْدَ فَوَقَعَ لَهُمَا حِمَارُ وَحْشٍ . فَأَقَامَا النَّهَارَ كُلَّهُ فِي أَثَرِهِ طَرْدًا . ثُمَّ إِنَّ بَعْضَهُمَا رَمَاهُ بِسَهْمٍ مُشَعَّبٍ فَأَصَابَهُ وَدَخَلَ جَوْفَهُ وَاتَّصَلَ بِقَلْبِهِ فَمَاتَ مُبَالَةً وَكَرِ الثَّعْلَبِ الْمَذْكُورِ . فَأَدْرَكَهُ الصَّيَّادَانِ فَوَجَدَاهُ مَيِّتًا . فَأَخْرَجَا السَّهْمَ الَّذِي أَصَابَهُ فِي قَلْبِهِ . فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَّا الْعُودُ . وَبَقِيَ السَّهْمُ مُشَعَّبًا فِي بَطْنِ حِمَارِ الْوَحْشِ فَلَمَّا كَانَ الْمَسَاءُ خَرَجَ الثَّعْلَبُ مِنْ وَكْرِهِ وَهُوَ يَتَضَجَّرُ مِنَ الضَّعْفِ وَالْجُوعِ فَرَأَى حِمَارَ الْوَحْشِ عَلَى بَابِهِ طَرِيحًا . فَفَرِحَ فَرَحًا شَدِيدًا حَتَّى كَادَ أَنْ يَطِيرَ مِنَ الْفَرَحِ . فَقَالَ الْحَمْدُ للهِ الَّذِي يَسَّرَ لِي شَهْوَتِي مِنْ غَيْرِ تَعَبٍ لِأَنِّي كُنْتُ لَا آمُلُ أَنِّي أُصِيبُ حِمَارَ وَحْشٍ وَلَا غَيْرَهُ . وَلَعَلَّ اللهَ

أَوْقَعَ هٰذَا وَسَاقَهُ إِلَيَّ فِي مَوْضِعِي : ثُمَّ وَثَبَ عَلَيْهِ وَشَقَّ بَطْنَهُ وَأَدْخَلَ رَأْسَهُ . وَصَارَ يَجُولُ بِفَمِهِ فِي أَمْعَائِهِ إِلَى أَنْ وَجَدَ الْقَلْبَ فَالْتَقَمَهُ بِفَمِهِ وَابْتَلَعَهُ . فَلَمَّا صَارَ دَاخِلَ حَلْقِهِ اشْتَبَكَ شُعْبُ السَّهْمِ فِي عَظْمِ رَقَبَتِهِ وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى إِدْخَالِهِ فِي بَطْنِهِ وَلَا عَلَى إِخْرَاجِهِ مِنْ حَلْقِهِ وَأَيْقَنَ بِالْهَلَاكِ . وَقَالَ حَقًّا لَا يَنْبَغِي لِمَخْلُوقٍ أَنْ يَطْلُبَ لِنَفْسِهِ فَوْقَ مَا قَسَمَهُ اللهُ لَهُ . لِأَنِّي لَوْ قَنِعْتُ بِمَا قَسَمَهُ اللهُ لِي لَمَا صِرْتُ إِلَى الْهَلَاكِ

فَلِهٰذَا أَيُّهَا الْمَلِكُ . يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَرْضَى بِمَا قَسَمَهُ اللهُ لَهُ وَيَشْكُرَ نِعَمَهُ عَلَيْهِ وَلَا يَقْطَعَ رَجَاءَهُ مِنْ مَوْلَاهُ . وَهَا أَنْتَ أَيُّهَا الْمَلِكُ بِحُسْنِ نِيَّتِكَ وَإِسْدَاءِ مَعْرُوفِكَ رَزَقَكَ اللهُ وَلَدًا بَعْدَ الْيَأْسِ . فَنَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يَرْزُقَهُ عُمْرًا طَوِيلًا وَسَعَادَةً دَائِمَةً . وَيَجْعَلَهُ خَلَفًا مُبَارَكًا مُوفِيًا بِعَهْدِكَ مِنْ بَعْدِكَ بَعْدَ طُولِ عُمْرِكَ

ثُمَّ قَامَ الْوَزِيرُ الرَّابِعُ وَقَالَ : إِنَّ الْمَلِكَ إِذَا كَانَ فَهِيمًا عَالِمًا بِأَبْوَابِ الْحِكْمَةِ وَالْأَحْكَامِ وَالسِّيَاسَةِ . مَعَ صَلَاحِ النِّيَّةِ وَالْعَدْلِ فِي الرَّعِيَّةِ وَإِكْرَامِ مَنْ يَجِبُ إِكْرَامُهُ . وَتَوْقِيرِ مَنْ يَجِبُ تَوْقِيرُهُ . وَالْعَفْوِ عِنْدَ الْقُدْرَةِ فِيمَا لَا بُدَّ مِنْهُ . وَرِعَايَةِ الرُّؤَسَاءِ وَالْمَرْؤُوسِينَ . وَالتَّخْفِيفِ عَنْهُمْ وَالْإِنْعَامِ عَلَيْهِمْ . وَصَوْنِ دِمَائِهِمْ وَالْوَفَاءِ بِعَهْدِهِمْ . كَانَ حَقِيقًا بِالسَّعَادَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْأُخْرَوِيَّةِ . فَإِنَّ ذٰلِكَ مِمَّا يُعِيذُهُ مِنْهُمْ وَيُعِينُهُ عَلَى ثَبَاتِ مُلْكِهِ . وَنُصْرَتِهِ عَلَى أَعْدَائِهِ وَبُلُوغِ مَأْمُولِهِ مَعَ زِيَادَةِ نِعْمَةِ

اللهِ عَلَيْهِ وَتَوْفِيقِهِ لِشُكْرِهِ وَالْفَوْزِ بِعِنَايَتِهِ. وَإِنَّ الْمَلِكَ إِذَا كَانَ بِخِلَافِ ذٰلِكَ فَإِنَّهُ لَمْ يَزَلْ فِي مَصَائِبَ وَبَلَايَا هُوَ وَأَهْلُ مَمْلَكَتِهِ. لِكَوْنِ جَوْرِهِ عَلَى الْغَرِيبِ وَالْقَرِيبِ. وَيَصِيرُ فِيهِ مَا صَارَ لِابْنِ الْمَلِكِ السَّائِحِ. فَقَالَ الْمَلِكُ: وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

(حكاية ابن الملك السائح)

فَقَالَ الْوَزِيرُ: اعْلَمْ أَيُّهَا الْمَلِكُ. أَنَّهُ كَانَ فِي بِلَادِ الْغَرْبِ مَلِكٌ جَائِرٌ فِي حُكْمِهِ ظَالِمٌ غَاشِمٌ عَاسِفٌ مُضِيعٌ لِرِعَايَةِ رَعِيَّتِهِ وَجَمِيعِ مَنْ يَدْخُلُ فِي مَمْلَكَتِهِ فَكَانَ لَا يَدْخُلُ فِي مَمْلَكَتِهِ أَحَدٌ إِلَّا وَتَأْخُذُ عُمَّالُهُ مِنْهُ أَرْبَعَةَ أَخْمَاسِ مَالِهِ وَيُبْقُونَ لَهُ الْخُمْسَ لَا غَيْرَ. فَقَدَّرَ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ كَانَ لَهُ وَلَدٌ سَعِيدٌ مُوَفَّقٌ. فَلَمَّا رَأَى أَحْوَالَ الدُّنْيَا غَيْرَ مُسْتَقِيمَةٍ تَرَكَهَا وَخَرَجَ سَائِحًا عَابِدًا لِلهِ تَعَالَى مِنْ صِغَرِهِ وَرَفَضَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا وَخَرَجَ فِي طَاعَةِ اللهِ تَعَالَى يَسْرَحُ فِي الْبَرَارِيِّ وَالْقِفَارِ وَيَدْخُلُ الْمُدُنَ. فَفِي بَعْضِ الْأَيَّامِ دَخَلَ تِلْكَ الْمَدِينَةَ. فَلَمَّا وَقَفَ عَلَى الْمُحَافِظِينَ أَخَذُوهُ وَفَتَّشُوهُ فَلَمْ يَرَوْا مَعَهُ شَيْئًا سِوَى ثَوْبَيْنِ أَحَدُهُمَا جَدِيدٌ وَالْآخَرُ عَتِيقٌ. فَنَزَعُوا مِنْهُ الْجَدِيدَ وَتَرَكُوا لَهُ الْعَتِيقَ بَعْدَ الْإِهَانَةِ وَالتَّحْقِيرِ. فَصَارَ هُوَ يَشْكُو وَيَقُولُ: وَيْحَكُمْ أَيُّهَا الظَّالِمُونَ. أَنَا رَجُلٌ فَقِيرٌ وَسَائِحٌ وَمَا عَسَى أَنْ يَنْفَعَكُمْ مِنْ هٰذَا الثَّوْبِ. وَإِذَا لَمْ تُعْطُوهُ لِي ذَهَبْتُ لِلْمَلِكِ وَشَكَوْتُكُمْ إِلَيْهِ: فَأَجَابُوهُ قَائِلِينَ: إِنَّنَا فَعَلْنَا ذٰلِكَ بِأَمْرِ الْمَلِكِ. فَمَا بَدَا لَكَ أَنْ تَفْعَلَهُ فَافْعَلْهُ: فَصَارَ السَّائِحُ يَمْشِي إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى بَلَاطِ الْمَلِكِ وَأَرَادَ

ٱلدُّخُولَ فَمَنَعَهُ ٱلْحُجَّابُ فَرَجَعَ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: مَالِي إِلَّا أَنِّي أَرْصُدُهُ حَتَّى يَخْرُجَ وَأَشْكُو إِلَيْهِ حَالِي وَمَا أَصَابَنِي: فَبَيْنَمَا هُوَ عَلَى تِلْكَ ٱلْحَالَةِ يَنْتَظِرُ خُرُوجَ ٱلْمَلِكِ. إِذْ سَمِعَ أَحَدَ ٱلْأَجْنَادِ يُخْبِرُ عَنْهُ. فَأَخَذَ يَتَقَدَّمُ قَلِيلًا قَلِيلًا حَتَّى وَقَفَ قُبَالَةَ ٱلْبَابِ. فَمَا شَعَرَ إِلَّا وَٱلْمَلِكُ خَارِجٌ فَعَارَضَهُ ٱلسَّائِحُ وَدَعَا لَهُ بِٱلنَّصْرِ. وَأَخْبَرَهُ بِمَا وَقَعَ لَهُ مِنَ ٱلْمُحَافِظِينَ وَشَكَا إِلَيْهِ حَالَهُ. وَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ ٱللهِ رَفَضَ ٱلدُّنْيَا وَخَرَجَ طَالِبًا رِضَى ٱللهِ تَعَالَى فَصَارَ سَائِحًا فِي ٱلْأَرْضِ. وَكُلُّ مَنْ وَفَدَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلنَّاسِ أَحْسَنَ إِلَيْهِ بِمَا أَمْكَنَهُ. وَصَارَ يَدْخُلُ كُلَّ مَدِينَةٍ وَكُلَّ قَرْيَةٍ وَهُوَ عَلَى هٰذِهِ ٱلْحَالَةِ. ثُمَّ قَالَ: فَلَمَّا دَخَلْتُ هٰذِهِ ٱلْمَدِينَةَ تَرَجَّيْتُ أَنْ يَفْعَلَ بِي أَهْلُهَا مِثْلَ مَا يَفْعَلُ بِغَيْرِي مِنَ ٱلسَّائِحِينَ. فَعَارَضَنِي أَتْبَاعُكَ وَنَزَعُوا أَحَدَ أَثْوَابِي وَأَلْهَفُونِي ضَرْبًا. فَٱنْظُرْ فِي شَأْنِي وَخُذْ بِيَدِي وَخَلِّصْ لِي ثَوْبِي. وَأَنَا لَا أُقِيمُ بِهٰذِهِ ٱلْمَدِينَةِ سَاعَةً وَاحِدَةً: فَأَجَابَهُ ٱلْمَلِكُ ٱلظَّالِمُ قَائِلًا: مَنْ أَشَارَ عَلَيْكَ بِدُخُولِكَ هٰذِهِ ٱلْمَدِينَةَ. وَأَنْتَ غَيْرُ عَالِمٍ بِمَا يَفْعَلُ مَلِكُهَا: فَقَالَ: بَعْدَ أَنْ آخُذَ ثَوْبِي ٱفْعَلْ بِي مُرَادَكَ

فَلَمَّا سَمِعَ ٱلْمَلِكُ ٱلظَّالِمُ مِنَ ٱلسَّائِحِ هٰذَا ٱلْكَلَامَ. حَصَلَ عِنْدَهُ تَغْيِيرُ مِزَاجٍ فَقَالَ: أَيُّهَا ٱلْجَاهِلُ نَزَعْنَا عَنْكَ ثَوْبَكَ لِكَيْ تَذِلَّ وَحَيْثُ وَقَعَ مِنْكَ مِثْلُ هٰذَا ٱلصِّيَاحِ عِنْدِي. فَأَنَا أَنْزِعُ نَفْسَكَ مِنْكَ: ثُمَّ أَمَرَ بِسَجْنِهِ. فَلَمَّا دَخَلَ ٱلسِّجْنَ جَعَلَ يَنْدَمُ عَلَى مَا وَقَعَ مِنْهُ مِنَ ٱلْجَوَابِ

وعنّف نفسه حيث لم تترك ذلك ويفوز بروحه. فلمّا كان نصف الليل قام على قدميه وصلّى صلاة مطوّلة. وقال: يا أللهُ. إنّك أنت الحكم العدل. تعلم بحالي وما انطوى عليه أمري مع هذا الملك الجائر. وأنا عبدك المظلوم أسألك من فيض رحمتك أن تنقذني من يد هذا الملك الظالم وتحل به نقمتك لأنّك لا تغفل عن ظلم كلّ ظالم. فإن كنت تعلم أنّه ظلمني فأحلل نقمتك عليه في هذه الليلة وأنزل به عذابك لأنّ حكمك عدل وأنت غياث كلّ ملهوف (١). يا من له القدرة والعظمة إلى آخر الدهر: فلمّا سمع السجّان دعاء هذا المسكين صار جميع ما فيه من الأعضاء مرعوبًا. فبينما هو كذلك وإذا بنار اتّقدت في القصر الذي فيه الملك. وأحرقت جميع ما فيه حتّى باب السجن ولم يخلص سوى السجّان والسائح فانطلق السائح وسار هو والسجّان. ولم يزالا سائرين حتّى وصلا إلى غير تلك المدينة. وأمّا مدينة الملك الظالم فإنّها احترقت عن آخرها بسبب جور ملكها. وأمّا نحن أيّها الملك السعيد. فما نمسي ونصبح إلّا ونحن داعون وشاكرون الله تعالى

---

(١) هذه طلبة مظلوم لم يستنر بنور تعليم المسيح الغافر لاعدائه. فمن آمن بهذه الحكمة الالهية والجودة الازلية حذا حذوه تعالى محتملاً السوء غافراً لمن اساء اليه مستشيراً بموجب كلام الرب القائل: احبوا اعداءكم واحسنوا الى من يبغضكم وصلوا على من يطردكم ويظلمكم لكيما تكونوا بني ابيكم الذي في السموات الذي يشرق شمسه على الاخيار والاشرار ويمطر على الصديقين والظالمين (متى ٥: ٤٤و٤٥)

عَلَى فَضْلِهِ بِوُجُودِكَ مُطْمَئِنِّينَ بَعْدَكَ وَحُسْنِ سِيرَتِكَ . وَكَانَ عِنْدَنَا غَمٌّ كَثِيرٌ لِعَدَمِ وَلَدٍ لَكَ يَرِثُ مُلْكَكَ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَصِيرَ عَلَيْنَا مَلِكٌ غَيْرُكَ مِنْ بَعْدِكَ . وَالْآنَ قَدْ أَنْعَمَ اللهُ بِكَرَمِهِ عَلَيْنَا وَأَزَالَ عَنَّا الْغَمَّ وَأَتَانَا بِالسُّرُورِ بِوُجُودِ هٰذَا الْغُلَامِ الْمُبَارَكِ . فَنَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَهُ خَلِيفَةً صَالِحَةً وَيَرْزُقَهُ الْعِزَّ وَالسَّعَادَةَ الْبَاقِيَةَ وَالْخَيْرَ الدَّائِمَ

ثُمَّ قَامَ الْوَزِيرُ الْخَامِسُ وَقَالَ : تَبَارَكَ اللهُ الْعَظِيمُ مَانِحُ الْعَطَايَا الصَّالِحَةِ وَالْمَوَاهِبِ السَّنِيَّةِ . وَبَعْدُ فَإِنَّا تَحَقَّقْنَا أَنَّ اللهَ يُنْعِمُ عَلَى مَنْ يَشْكُرُهُ وَيُحَافِظُ عَلَى دِينِهِ . وَأَنْتَ أَيُّهَا الْمَلِكُ السَّعِيدُ . الْمَوْصُوفُ بِهٰذِهِ الْمَنَاقِبِ الْجَلِيلَةِ وَالْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ بَيْنَ رَعِيَّتِكَ بِمَا يُرْضِي اللهَ تَعَالَى . فَلِأَجْلِ ذٰلِكَ أَعْلَى اللهُ شَأْنَكَ وَأَسْعَدَ أَيَّامَكَ وَوَهَبَ لَكَ هٰذِهِ الْعَطِيَّةَ الصَّالِحَةَ الَّتِي هِيَ هٰذَا الْوَلَدُ السَّعِيدُ بَعْدَ الْيَأْسِ . وَصَارَ لَنَا بِذٰلِكَ الْفَرَحُ الدَّائِمُ وَالسُّرُورُ الَّذِي لَا يَنْقَطِعُ . لِأَنَّنَا قَبْلَ ذٰلِكَ كُنَّا فِي هَمٍّ شَدِيدٍ وَغَمٍّ زَائِدٍ بِسَبَبِ عَدَمِ وَلَدٍ لَكَ . وَفِي أَفْكَارٍ فِيمَا أَنْتَ مُنْطَوٍ عَلَيْهِ مِنْ عَدْلِكَ وَرَأْفَتِكَ بِنَا . وَخَوْفًا أَنْ يَقْضِيَ اللهُ عَلَيْكَ بِالْمَوْتِ . وَلَمْ يَكُنْ لَكَ مَنْ يَخْلُفُكَ وَيَرِثُ الْمُلْكَ مِنْ بَعْدِكَ . فَيَخْتَلِفُ رَأْيُنَا وَيَقَعُ بَيْنَنَا الشِّقَاقُ وَيَصِيرُ بَيْنَنَا مَا صَارَ لِلْغُرَابِ : فَقَالَ الْمَلِكُ : وَمَا حِكَايَةُ الْغُرَابِ

(حكاية الغراب)

فَأَجَابَهُ ٱلْوَزِيرُ قَائِلًا : ٱعْلَمْ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ ٱلسَّعِيدُ . أَنَّهُ كَانَ فِي بَعْضِ ٱلْبَرَارِيِّ وَادٍ مُتَّسِعٌ . وَكَانَ بِهِ أَنْهَارٌ وَأَشْجَارٌ وَأَثْمَارٌ وَبِهِ أَطْيَارٌ تُسَبِّحُ ٱللهَ ٱلْوَاحِدَ ٱلْقَهَّارَ . خَالِقَ ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ . وَكَانَ مِنْ جُمْلَةِ ٱلطُّيُورِ غُرْبَانٌ . وَكَانَتْ فِي أَطْيَبِ عَيْشٍ . وَكَانَ ٱلْمُقَدَّمُ عَلَيْهِنَّ وَٱلْحَاكِمُ بَيْنَهُنَّ غُرَابٌ رَؤُفٌ بِهِنَّ شَفُوقٌ عَلَيْهِنَّ وَكَانَتْ مَعَهُ فِي أَمَانٍ وَطُمَأْنِينَةٍ . وَمِنْ حُسْنِ تَصَرُّفِهِنَّ فِيمَا بَيْنَهُنَّ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَ ٱلطُّيُورِ يَقْدِرُ عَلَيْهَا . فَٱتَّفَقَ أَنَّ مُقَدَّمَهُنَّ تُوُفِّيَ وَجَاءَهُ ٱلْأَمْرُ ٱلْمَحْتُومُ عَلَى سَائِرِ ٱلْخَلْقِ فَحَزِنَتْ عَلَيْهِ حُزْنًا شَدِيدًا . وَمِنْ زِيَادَةِ حُزْنِهِنَّ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِيهِنَّ أَحَدٌ مِثْلُهُ يَقُومُ مَقَامَهُ . فَٱجْتَمَعْنَ جَمِيعًا وَٱئْتَمَرْنَ فِيمَا بَيْنَهُنَّ عَلَى مَنْ يَقُومُ عَلَيْهِنَّ بِحَيْثُ يَكُونُ صَالِحًا . فَطَائِفَةٌ مِنْهُنَّ ٱخْتَرْنَ غُرَابًا وَقُلْنَ إِنَّ هٰذَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ مَلِكًا عَلَيْنَا . وَأُخْرَ ٱخْتَلَفْنَ فِيهِ . وَلَمْ يَرِدْنَهُ فَوَقَعَ بَيْنَهُنَّ ٱلشِّقَاقُ وَٱلْجِدَالُ وَعَظُمَتِ ٱلْفِتْنَةُ بَيْنَهُنَّ . وَبَعْدَ ذٰلِكَ حَصَلَ بَيْنَهَا تَوَافُقٌ . وَتَعَاهَدْنَ عَلَى أَنْ يَنَمْنَ تِلْكَ ٱللَّيْلَةَ . وَلَا يُبَكِّرُ أَحَدٌ إِلَى ٱلسُّرُوحِ فِي طَلَبِ ٱلْمَعِيشَةِ غَدًا . بَلْ يَصْبِرْنَ جَمِيعًا إِلَى ٱلصَّبَاحِ . وَعِنْدَ طُلُوعِ ٱلْفَجْرِ يَكُنَّ مُجْتَمِعَاتٍ فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ . ثُمَّ يَنْظُرْنَ كُلَّ طَيْرٍ يَسْبِقُ فِي ٱلطَّيَرَانِ . وَقُلْنَ إِنَّهُ هُوَ ٱلَّذِي يَكُونُ مَأْمُورًا مِنَ ٱللهِ عَلَيْنَا وَمُخْتَارًا عِنْدَنَا لِلْمُلْكِ . فَنَجْعَلُهُ مَلِكًا عَلَيْنَا وَنُوَلِّيهِ أَمْرَنَا . فَرَضِينَ كُلُّهُنَّ بِذٰلِكَ وَعَاهَدْنَ بَعْضُهُنَّ

بَعْضًا وَاتَّفَقْنَ عَلَى هٰذَا الْعَهْدِ. فَبَيْنَمَا هِيَ عَلَى ذٰلِكَ الْحَالِ إِذْ طَلَعَ بَازُ. فَقُلْنَ لَهُ: يَا أَبَا الْخَيْرِ. نَحْنُ اخْتَرْنَاكَ وَالِيًا عَلَيْنَا لِتَنْظُرَ فِي أَمْرِنَا: فَرَضِيَ الْبَازُ بِمَا قُلْنَهُ. وَقَالَ لَهُنَّ: إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى سَيَكُونُ لَكُنَّ مِنِّي خَيْرٌ عَظِيمٌ: ثُمَّ إِنَّهُنَّ بَعْدَ مَا وَلَّيْنَهُ عَلَيْهِنَّ. صَارَ كُلَّ يَوْمٍ إِذَا سَرِحَ وَسَرِحَ الْغِرْبَانُ يَسْتَفْرِدُ بِأَحَدِهِنَّ وَيَضْرِبُهُ وَيَأْكُلُ دِمَاغَهُ وَعَيْنَيْهِ وَيَتْرُكُ الْبَاقِي. وَلَمْ يَزَلْ يَفْعَلُ مَعَهُنَّ هٰكَذَا حَتَّى فَطِنَتْ بِهِ فَرَأَتْ غَالِبَهَا قَدْ هَلَكَ فَأَيْقَنَتْ بِالْهَلَاكِ. وَقَالَ بَعْضُهُنَّ لِبَعْضٍ: كَيْفَ نَصْنَعُ وَقَدْ هَلَكَ أَكْثَرُنَا. وَمَا انْتَبَهْنَا حَتَّى هَلَكَ أَكَابِرُنَا. فَيَنْبَغِي أَنْ نَتَحَفَّظَ عَلَى أَنْفُسِنَا. فَلَمَّا أَصْبَحْنَ نَفَرَتْ مِنْهُ وَتَفَرَّقَتْ مِنْ حَوْلِهِ. وَنَحْنُ الْآنَ نَخْشَى أَنْ يَقَعَ لَنَا مِثْلُ هٰذَا وَيَصِيرَ عَلَيْنَا مَلِكٌ غَيْرُكَ. وَلٰكِنْ قَدْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنَا بِهٰذِهِ النِّعْمَةِ وَوَجَّهَكَ إِلَيْنَا. وَنَحْنُ وَاثِقُونَ الْآنَ بِالصَّلَاحِ وَجَمْعِ الشَّمْلِ وَالْأَمْنِ وَالْأَمَانَةِ وَالسَّلَامَةِ فِي الْوَطَنِ. فَتَبَارَكَ اللهُ الْعَظِيمُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ وَالثَّنَاءُ الْجَمِيلُ. وَبَارَكَ اللهُ لِلْمَلِكِ وَلَنَا مَعْشَرَ الرَّعِيَّةِ وَرَزَقَنَا وَإِيَّاهُ السَّعَادَةَ الْعُظْمَى. وَجَعَلَهُ سَعِيدَ الْوَقْتِ قَائِمَ الْجَدِّ

ثُمَّ قَامَ الْوَزِيرُ السَّادِسُ وَقَالَ: هَنَّأَكَ اللهُ أَيُّهَا الْمَلِكُ بِأَحْسَنِ الْهَنَاءِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. فَقَدْ تَقَدَّمَ مِنْ قَوْلِ الْمُتَقَدِّمِينَ أَنَّ مَنْ صَلَّى وَصَامَ وَقَامَ بِحُقُوقِ الْوَالِدَيْنِ وَعَدَلَ فِي حُكْمِهِ لَقِيَ رَبَّهُ وَهُوَ رَاضٍ عَنْهُ. وَقَدْ وُلِّيتَ عَلَيْنَا فَعَدَلْتَ فَكُنْتَ فِي ذٰلِكَ سَعِيدَ

لِحَرَكَاتِ. فَنَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يُجْزِلَ ثَوَابَكَ وَيَأْجُرَكَ عَلَى إِحْسَانِكَ.
وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قَالَ هٰذَا الْعَالِمُ فِيمَا نَتَخَوَّفُ مِنْ حِرْمَانِ حَظِّنَا بِعَدَمِ
الْمَلِكِ أَوْ بِوُجُودِ مَلِكٍ آخَرَ لَا يَكُونُ نَظِيرَهُ. فَيَعْظُمُ اخْتِلَافُنَا بَعْدَهُ
وَيَقَعُ الْبَلَاءُ فِي الْاخْتِلَافِ. وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ عَلَى مَا ذَكَرْنَا فَالْوَاجِبُ
عَلَيْنَا أَنْ نَبْتَهِلَ إِلَى اللهِ تَعَالَى بِالدُّعَاءِ. لَعَلَّهُ يَهَبُ لِلْمَلِكِ وَلَدًا سَعِيدًا.
وَيَجْعَلُهُ وَارِثًا لِلْمُلْكِ بَعْدَهُ. ثُمَّ بَعْدَ ذٰلِكَ رُبَّمَا كَانَ الَّذِي يُحِبُّهُ الْإِنْسَانُ
مِنَ الدُّنْيَا وَيَشْتَهِيهِ مَجْهُولَ الْعَاقِبَةِ لَهُ. وَحِينَئِذٍ لَا يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ
يَسْأَلَ رَبَّهُ أَمْرًا لَا يَدْرِي عَاقِبَتَهُ. لِأَنَّهُ رُبَّمَا كَانَ ضَرَرُ ذٰلِكَ أَقْرَبَ
إِلَيْهِ مِنْ نَفْعِهِ. فَيَكُونُ هَلَاكُهُ فِي مَطْلُوبِهِ وَيُصِيبُهُ مِثْلُ مَا أَصَابَ
الْحَاوِيَ وَأَوْلَادَهُ وَزَوْجَتَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ. قَالَ الْمَلِكُ: وَمَا حِكَايَةُ الْحَاوِي
وَأَوْلَادِهِ وَزَوْجَتِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ

(حكاية الحاوي واولاده وزوجته واهل بيته)

فَقَالَ الْوَزِيرُ: اعْلَمْ أَيُّهَا الْمَلِكُ أَنَّهُ كَانَ إِنْسَانٌ حَاوِيًا وَكَانَ
يُرَبِّي الْحَيَّاتِ. وَهٰذِهِ كَانَتْ صَنْعَتَهُ. وَكَانَ عِنْدَهُ سَلَّةٌ كَبِيرَةٌ. فِيهَا
ثَلٰثُ حَيَّاتٍ لَمْ يُعْلِمْ بِهَا أَهْلَ بَيْتِهِ. وَكَانَ كُلَّ يَوْمٍ يَخْرُجُ يَدُورُ
بِهَا فِي الْمَدِينَةِ. وَيَتَسَبَّبُ بِهَا لِتَحْصِيلِ رِزْقِهِ وَرِزْقِ عِيَالِهِ. وَيَرْجِعُ
عِنْدَ الْمَسَاءِ فِي بَيْتِهِ وَيَضَعُ الْأَخْنَاشَ فِي السَّلَّةِ سِرًّا. وَعِنْدَ الصَّبَاحِ
يَأْخُذُهَا وَيَدُورُ بِهَا فِي الْمَدِينَةِ. فَكَانَ هٰذَا دَأْبَهُ عَلَى الدَّوَامِ. وَلَمْ يَعْلَمْ
أَهْلُ بَيْتِهِ بِمَا فِي السَّلَّةِ. فَاتَّفَقَ أَنَّهُ لَمَّا عَادَ الْحَاوِي إِلَى بَيْتِهِ عَلَى

جَرْيِ عَادَتِهِ سَأَلَتْهُ زَوْجَتُهُ وَقَالَتْ لَهُ: مَا فِي هٰذِهِ السَّلَّةِ. فَقَالَ لَهَا الْحَاوِي: وَمَا مُرَادُكِ مِنْهَا. أَلَيْسَ الزَّادُ عِنْدَكُمْ كَثِيرًا زَائِدًا. فَاقْنَعِي بِمَا قَسَمَ اللهُ لَكِ. وَلَا تَسْأَلِي عَنْ غَيْرِهِ. فَسَكَتَتْ عَنْهُ تِلْكَ الْمَرْأَةُ وَصَارَتْ تَقُولُ فِي نَفْسِهَا: لَا بُدَّ لِي أَنْ أُفَتِّشَ هٰذِهِ السَّلَّةَ وَأَعْرِفَ مَا فِيهَا. وَصَمَّمَتْ عَلَى ذٰلِكَ وَأَعْلَمَتْ أَوْلَادَهَا وَأَكَّدَتْ عَلَيْهِمْ أَنْ يَسْأَلُوا وَالِدَهُمْ عَنِ السَّلَّةِ وَيُلِحُّوا عَلَيْهِ فِي السُّؤَالِ لِأَجْلِ أَنْ يُخْبِرَهُمْ. فَعِنْدَ ذٰلِكَ تَعَلَّقَ خَاطِرُ الْأَوْلَادِ بِأَنَّ فِيهَا شَيْئًا يُؤْكَلُ. فَصَارَ الْأَوْلَادُ كُلَّ يَوْمٍ يَطْلُبُونَ مِنْ أَبِيهِمْ أَنْ يُرِيَهُمْ مَا فِي السَّلَّةِ. وَكَانَ أَبُوهُمْ يُدَافِعُهُمْ وَيُرَاضِيهِمْ وَيَنْهَاهُمْ عَنْ هٰذَا السُّؤَالِ. فَمَضَتْ لَهُمْ مُدَّةٌ وَهُمْ عَلَى ذٰلِكَ الْحَالِ. وَأُمُّهُمْ تَحُثُّهُمْ عَلَى ذٰلِكَ. ثُمَّ اتَّفَقُوا مَعَهَا عَلَى أَنَّهُمْ لَا يَذُوقُونَ طَعَامًا وَلَا يَشْرَبُونَ شَرَابًا لِوَالِدِهِمْ حَتَّى يُبَلِّغَهُمْ طَلَبَتَهُمْ وَيَفْتَحَ لَهُمُ السَّلَّةَ. فَبَيْنَمَا هُمْ كَذٰلِكَ ذَاتَ لَيْلَةٍ إِذْ حَضَرَ الْحَاوِي وَمَعَهُ شَيْءٌ كَثِيرٌ مِنَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ. فَقَعَدَ وَدَعَاهُمْ لِيَأْكُلُوا مَعَهُ فَأَبَوُا الْحُضُورَ إِلَيْهِ. وَبَيَّنُوا لَهُ الْغَيْظَ. فَجَعَلَ يُلَاطِفُهُمْ بِالْكَلَامِ الْحَسَنِ وَيَقُولُ لَهُمْ: انْظُرُوا مَاذَا تُرِيدُونَ حَتَّى أَجِيءَ بِهِ إِلَيْكُمْ أَكْلًا أَوْ شُرْبًا أَوْ مَلْبُوسًا. فَقَالُوا لَهُ يَا وَالِدَنَا. مَا نُرِيدُ مِنْكَ إِلَّا فَتْحَ هٰذِهِ السَّلَّةِ لِنَنْظُرَ مَا فِيهَا وَإِلَّا قَتَلْنَا أَنْفُسَنَا. فَقَالَ لَهُمْ: يَا أَوْلَادِي لَيْسَ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ وَإِنَّمَا فَتْحُهَا ضَرَرٌ لَكُمْ. فَعِنْدَ ذٰلِكَ ازْدَادُوا غَيْظًا. فَلَمَّا رَآهُمْ عَلَى هٰذِهِ الْحَالَةِ. أَخَذَ يُهَدِّدُهُمْ وَيُشِيرُ لَهُمْ بِالضَّرْبِ إِنْ لَمْ يَرْجِعُوا

عَنْ تِلْكَ الْحَالَةِ . فَلَمْ يَزْدَادُوا إِلَّا غَيْظًا وَرَغْبَةً فِي السُّؤَالِ . فَعِنْدَ ذٰلِكَ غَضِبَ عَلَيْهِمْ وَأَخَذَ عَصًا لِيَضْرِبَهُمْ بِهَا . فَهَرَبُوا قُدَّامَهُ فِي الدَّارِ . وَكَانَتِ السَّلَّةُ حَاضِرَةً لَمْ يَخْفَهَا الْحَاوِي فِي مَكَانٍ . فَخَبَّأَتِ الْمَرْأَةُ الرَّجُلَ مَشْغُولًا بِالْأَوْلَادِ وَفَتَحَتِ السَّلَّةَ بِسُرْعَةٍ لِكَيْ تَنْظُرَ مَا فِيهَا . وَإِذَا بِالْحَيَّاتِ قَدْ خَرَجَتْ مِنَ السَّلَّةِ وَلَدَغَتِ الْمَرْأَةَ أَوَّلًا فَقَتَلَتْهَا ثُمَّ دَارَتْ فِي الدَّارِ وَأَهْلَكَتِ الْكِبَارَ وَالصِّغَارَ مَا عَدَا الْحَاوِيَ . فَتَرَكَ الْحَاوِي الدَّارَ وَخَرَجَ . فَلَمَّا تَحَقَّقْتُ ذٰلِكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ السَّعِيدُ . عَلِمْتُ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَيْسَ لَهُ أَنْ يَتَمَنَّى شَيْئًا غَيْرَ الَّذِي لَمْ يُرِدِ اللهُ تَعَالَى بَلْ يُطِيبَ نَفْسًا بِمَا قَدَّرَهُ اللهُ لَهُ وَأَرَادَهُ . وَهَا أَنْتَ أَيُّهَا الْمَلِكُ مَعَ غَزَارَةِ عِلْمِكَ وَجُودَةِ فَهْمِكَ أَقَرَّ اللهُ عَيْنَكَ بِحُضُورِ وَلَدِكَ بَعْدَ الْيَأْسِ وَطَيَّبَ قَلْبَكَ . وَنَحْنُ نَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَهُ مِنَ الْخُلَفَاءِ الْعَادِلِينَ الْمُرْضِينَ لِلهِ تَعَالَى وَالرَّعِيَّةِ

ثُمَّ قَامَ الْوَزِيرُ السَّابِعُ وَقَالَ : أَيُّهَا الْمَلِكُ . إِنِّي قَدْ عَلِمْتُ وَتَحَقَّقْتُ مَا ذَكَرَهُ إِخْوَتِي هٰؤُلَاءِ الْوُزَرَاءُ الْعُلَمَاءُ الْحُكَمَاءُ وَمَا تَكَلَّمُوا بِهِ فِي حَضْرَتِكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ . وَمَا وَصَفُوهُ مِنْ عَدْلِكَ وَحُسْنِ سِيرَتِكَ وَمَا تَمَيَّزْتَ بِهِ عَمَّنْ سِوَاكَ مِنَ الْمُلُوكِ حَيْثُ فَضَّلُوكَ عَلَيْهِمْ . وَذٰلِكَ مِنْ بَعْضِ الْوَاجِبِ عَلَيْنَا أَيُّهَا الْمَلِكُ

وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ : الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي تَوَلَّاكَ لِنِعْمَتِهِ . وَأَعْطَاكَ صَلَاحَ الْمُلْكِ بِرَحْمَتِهِ وَأَعَانَكَ وَإِيَّانَا عَلَى أَنْ نَزِيدَهُ شُكْرًا . وَمَا ذَاكَ

إِلَّا بِوُجُودِكَ. وَمَا دُمْتَ فِينَا لَمْ نَخَفْ جَوْرًا وَلَا نَبْغِي ظُلْمًا. وَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَسْتَطِيلَ عَلَيْنَا مَعَ ضُعْفِنَا. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ أَحْسَنَ الرَّعَايَا مَنْ كَانَ مَلِكُهُمْ عَادِلًا وَشَرُّهُمْ مَنْ كَانَ مَلِكُهُمْ جَائِرًا. وَقِيلَ أَيْضًا: السُّكْنَى مَعَ الْأُسُودِ الْكَوَاسِرِ وَلَا السُّكْنَى مَعَ السُّلْطَانِ الْجَائِرِ. فَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى ذَلِكَ حَمْدًا دَائِمًا حَيْثُ أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِوُجُودِكَ. وَرَزَقَكَ هٰذَا الْوَلَدَ الْمُبَارَكَ بَعْدَ الْيَأْسِ وَالطَّعْنِ فِي السِّنِّ. لِأَنَّ أَجَلَّ الْعَطَايَا فِي الدُّنْيَا الْوَلَدُ الصَّالِحُ. وَقَدْ قِيلَ: مَنْ لَا وَلَدَ لَهُ لَا عَاقِبَةَ لَهُ وَلَا ذِكْرَ. وَأَنْتَ بِقَوِيمِ عَدْلِكَ وَحُسْنِ ظَنِّكَ بِاللَّهِ تَعَالَى أُعْطِيتَ هٰذَا الْوَلَدَ السَّعِيدَ. فَجَاءَكَ هٰذَا الْوَلَدُ الْمُبَارَكُ مِنَّةً مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْنَا وَعَلَيْكَ. بِحُسْنِ سِيرَتِكَ وَجَمِيلِ صَبْرِكَ. وَصَارَ فِيكَ ذٰلِكَ مِثْلَ مَا صَارَ فِي الْعَنْكَبُوتِ وَالرِّيحِ: فَقَالَ الْمَلِكُ: وَمَا حِكَايَةُ الْعَنْكَبُوتِ وَالرِّيحِ

(حكاية العنكبوت والريح)

قَالَ الْوَزِيرُ: اعْلَمْ أَيُّهَا الْمَلِكُ. أَنَّ عَنْكَبُوتًا تَعَلَّقَتْ فِي بَابٍ مُتَنَحٍّ عَالٍ. وَعَمِلَتْ لَهَا بَيْتًا وَسَكَنَتْ فِيهِ بِأَمَانٍ وَكَانَتْ تَشْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى الَّذِي يَسَّرَ لَهَا هٰذَا الْمَكَانَ وَأَمَّنَ خَوْفَهَا مِنَ الْهَوَامِّ. فَمَكَثَتْ عَلَى هٰذِهِ الْحَالِ مُدَّةً مِنَ الزَّمَانِ. وَهِيَ شَاكِرَةٌ لِلَّهِ عَلَى رَاحَتِهَا وَاتِّصَالِ رِزْقِهَا. فَامْتَحَنَهَا خَالِقُهَا بِأَنْ أَخْرَجَهَا لِيَنْظُرَ شُكْرَهَا وَصَبْرَهَا. فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا رِيحًا عَاصِفَةً شَرْقِيَّةً. فَحَمَلَتْهَا بِبَيْتِهَا وَرَمَتْهَا فِي الْبَحْرِ. فَجَرَّتْهَا

ٱلْأَمْوَاجُ إِلَى ٱلْبَرِّ . فَعِنْدَ ذٰلِكَ شَكَرَتِ ٱللهَ تَعَالَى عَلَى سَلَامَتِهَا . وَجَعَلَتْ تُعَاتِبُ ٱلرِّيحَ قَائِلَةً لَهَا : أَيَّتُهَا ٱلرِّيحُ لِمَ فَعَلْتِ بِي ذٰلِكَ . وَمَا ٱلَّذِي حَصَلَ لَكِ مِنَ ٱلْخَيْرِ فِي نَقْلِي مِنْ مَكَانِي إِلَى هُنَا . وَقَدْ كُنْتُ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً فِي بَيْتِي بِأَعْلَى ذٰلِكَ ٱلْبَابِ . فَقَالَ لَهَا ٱلرِّيحُ : ٱنْتَهِي عَنِ ٱلْعِتَابِ . فَإِنِّي سَأَرْجِعُ بِكِ وَأُوصِلُكِ إِلَى مَكَانِكِ كَمَا كُنْتِ أَوَّلًا . فَلَبِثَتِ ٱلْعَنْكَبُوتُ صَابِرَةً عَلَى ذٰلِكَ رَاجِيَةً أَنْ تَرْجِعَ إِلَى مَكَانِهَا حَتَّى ذَهَبَتْ رِيحُ ٱلشِّمَالِ وَلَمْ تَرْجِعْ بِهَا . وَهَبَّتْ رِيحُ ٱلْجَنُوبِ فَمَرَّتْ بِهَا وَٱخْتَطَفَتْهَا . وَطَارَتْ بِهَا إِلَى جِهَةِ ذٰلِكَ ٱلْبَيْتِ . فَلَمَّا مَرَّتْ بِهِ عَرَفَتْهُ فَتَعَلَّقَتْ بِهِ

وَنَحْنُ نَسْأَلُ ٱللهَ ٱلَّذِي أَثَابَ ٱلْمَلِكَ عَلَى وَحْدَتِهِ وَصَبْرِهِ وَرَزَقَهُ هٰذَا ٱلْغُلَامَ بَعْدَ يَأْسِهِ وَكِبَرِ سِنِّهِ . وَلَمْ يُخْرِجْهُ مِنْ هٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَتَّى رَزَقَهُ قُرَّةَ عَيْنٍ وَوَهَبَ لَهُ مَا وَهَبَ مِنَ ٱلْمُلْكِ وَٱلسُّلْطَانِ . فَرَحِمَ رَعِيَّتَهُ وَأَوْلَاهُمْ نِعْمَتَهُ

فَقَالَ ٱلْمَلِكُ : ٱلْحَمْدُ لِلهِ فَوْقَ كُلِّ حَمْدٍ وَٱلشُّكْرُ لَهُ فَوْقَ كُلِّ شُكْرٍ . لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ٱلَّذِي عَرَفْنَا بِنُورِ آثَارِهِ جَلَالَ عَظَمَتِهِ . يُؤْتِي ٱلْمُلْكَ وَٱلسُّلْطَانَ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فِي بِلَادِهِ . لِأَنَّهُ يَنْتَخِبُ مِنْهُمْ مَنْ يَشَاءُ لِيَجْعَلَهُ خَلِيفَةً وَوَكِيلًا عَلَى خَلْقِهِ . وَيَأْمُرُهُ فِيهِمْ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِنْصَافِ وَإِقَامَةِ ٱلشَّرَائِعِ وَٱلسُّنَنِ وَٱلْعَمَلِ بِٱلْحَقِّ وَٱلِٱسْتِقَامَةِ فِي أُمُورِهِمْ عَلَى مَا أَحَبَّ وَأَحَبُّوا . فَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ بِمَا أَمَرَ

اللهُ كانَ لِحَظِّهِ مُصيباً وَلِأَمْرِ رَبِّهِ مُطيعاً. فَيُكْفِيهِ هَوْلَ دُنْيَاهُ وَيُحْسِنُ جَزَاءَهُ فِي أُخْرَاهُ. إِنَّهُ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ. وَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ بِغَيْرِ مَا أَمَرَ اللهُ أَخْطَأَ خَطَأً بَلِيغاً وَعَصَى رَبَّهُ وَآثَرَ دُنْيَاهُ عَلَى أُخْرَاهُ. فَلَيْسَ لَهُ فِي ٱلدُّنْيَا مَأْثَرٌ وَلَا فِي ٱلْآخِرَةِ نَصِيبٌ. لِأَنَّ اللهَ لَا يُهْمِلُ عَلَى أَهْلِ ٱلْجَوْرِ وَٱلْفَسَادِ وَلَا يُهْمِلُ أَحَداً مِنَ ٱلْعِبَادِ. وَقَدْ ذَكَرَ وُزَرَاؤُنَا هَؤُلَاءِ أَنْ مِنْ عَدْلِنَا بَيْنَهُمْ وَحُسْنِ تَصَرُّفِنَا مَعَهُمْ قَدْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْنَا وَعَلَيْهِمْ بِٱلتَّوْفِيقِ لِشُكْرِهِ ٱلْمُسْتَوْجَبِ لِمَزِيدِ إِنْعَامِهِ. وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ قَالَ مَا أَلْهَمَهُ اللهُ فِي ذٰلِكَ. وَبَالَغُوا فِي ٱلشُّكْرِ لِلهِ تَعَالَى وَٱلثَّنَاءِ عَلَيْهِ بِسَبَبِ نِعْمَتِهِ وَفَضْلِهِ. وَأَنَا أَشْكُرُ اللهَ لِأَنِّي إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ مَأْمُورٌ وَقَلْبِي بِيَدِهِ وَلِسَانِي تَابِعٌ لَهُ. رَاضٍ بِمَا حَكَمَ عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ بِأَيِّ شَيْءٍ صَارَ. وَقَدْ قَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَا خَطَرَ بِبَالِهِ مِنْ أَمْرِ هٰذَا ٱلْغُلَامِ وَذَكَرُوا مَا كَانَ مِنْ مُتَجَدِّدِ ٱلنِّعْمَةِ عَلَيْنَا حِينَ بَلَغْتُ مِنَ ٱلسِّنِّ حَدّاً يَغْلِبُ مَعَهُ ٱلْيَأْسُ وَضَعْفُ ٱلْيَقِينِ. وَٱلْحَمْدُ لِلهِ ٱلَّذِي نَجَّانَا مِنَ ٱلْحِرْمَانِ. وَٱخْتِلَافُ ٱلْحُكَّامِ كَٱخْتِلَافِ ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ. وَقَدْ كَانَ ذٰلِكَ إِنْعَاماً عَظِيماً عَلَيْهِمْ وَعَلَيْنَا. فَنَحْمَدُ اللهَ تَعَالَى ٱلَّذِي رَزَقَنَا هٰذَا ٱلْغُلَامَ سَمِيعاً مُطِيعاً وَجَعَلَهُ وَارِثاً مِنَ ٱلْخِلَافَةِ مَحَلّاً رَفِيعاً. نَسْأَلُهُ مِنْ كَرَمِهِ وَحِلْمِهِ أَنْ يَجْعَلَهُ سَعِيدَ ٱلْحَرَكَاتِ مُوَفَّقاً لِلْخَيْرَاتِ حَتَّى يَصِيرَ مَلِكاً وَسُلْطَاناً عَلَى رَعِيَّتِهِ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِنْصَافِ. حَافِظاً لَهُمْ مِنْ هَلَكَاتِ ٱلْإِعْتِسَافِ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ وَجُودِهِ

فَلَمَّا فَرَغَ ٱلْمَلِكُ مِنْ كَلَامِهِ قَامَ ٱلْحُكَمَاءُ وَٱلْعُلَمَاءُ وَسَجَدُوا لِلّٰهِ وَشَكَرُوا ٱلْمَلِكَ وَقَبَّلُوا يَدَيْهِ وَٱنْصَرَفَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلَى بَيْتِهِ. فَعِنْدَ ذٰلِكَ دَخَلَ ٱلْمَلِكُ بَيْتَهُ وَأَبْصَرَ ٱلْغُلَامَ وَدَعَا لَهُ

فَلَمَّا مَضَى لَهُ مِنَ ٱلْعُمْرِ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ سَنَةً. أَرَادَ ٱلْمَلِكُ أَنْ يُعَلِّمَهُ ٱلْعُلُومَ. فَبَنَى لَهُ قَصْرًا فِي وَسَطِ ٱلْمَدِينَةِ وَبَنَى فِيهِ ثَلٰثَمِائَةٍ وَسِتِّينَ مَقْصُورَةً. وَجَعَلَ ٱلْغُلَامَ فِيهِ. وَرَتَّبَ لَهُ ثَلٰثَةً مِنَ ٱلْحُكَمَاءِ وَٱلْعُلَمَاءِ وَأَمَرَهُمْ أَنْ لَا يَغْفُلُوا عَنْ تَعْلِيمِهِ لَيْلًا وَلَا نَهَارًا. وَأَنْ يَجْلِسُوا مَعَهُ فِي كُلِّ مَقْصُورَةٍ يَوْمًا وَيَحْرِصُوا عَلَى أَنْ لَا يَكُونَ عِلْمٌ إِلَّا وَيُعَلِّمُونَهُ إِيَّاهُ حَتَّى يَصِيرَ بِجَمِيعِ ٱلْعُلُومِ عَارِفًا. وَيَكْتُبُوا عَلَى بَابِ كُلِّ مَقْصُورَةٍ مَا يُعَلِّمُونَهُ لَهُ فِيهَا مِنَ ٱلْعُلُومِ. وَيَرْفَعُوا إِلَيْهِ فِي كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ مَا عَرَفَهُ مِنْ أَصْنَافِهَا. ثُمَّ إِنَّ ٱلْعُلَمَاءَ أَقْبَلُوا عَلَى ٱلْغُلَامِ وَصَارُوا لَا يَفْتُرُونَ عَنْ تَعْلِيمِهِ لَيْلًا وَلَا نَهَارًا وَلَا يُؤَخِّرُونَ عَنْهُ شَيْئًا مِمَّا عِنْدَهُمْ مِنَ ٱلْعُلُومِ. فَظَهَرَ لِلْغُلَامِ مِنْ ذَكَاءِ ٱلْعَقْلِ وَجُودَةِ ٱلْفَهْمِ وَقَبُولِ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَظْهَرْ لِأَحَدٍ قَبْلَهُ. وَجَعَلُوا يَرْفَعُونَ لِلْمَلِكِ فِي كُلِّ أُسْبُوعٍ مِقْدَارَ مَا تَعَلَّمَهُ وَلَدُهُ وَأَتْقَنَهُ. فَكَانَ ٱلْمَلِكُ يَسْتَظْهِرُ مِنْ ذٰلِكَ عِلْمًا حَسَنًا وَأَدَبًا جَمِيلًا. وَقَالَ ٱلْعُلَمَاءُ: إِنَّنَا مَا رَأَيْنَا قَطُّ مَنْ أُعْطِيَ فَهْمًا مِثْلَ هٰذَا ٱلْغُلَامِ. فَبَارَكَ ٱللّٰهُ لَكَ فِيهِ وَمَتَّعَكَ بِحَيَاتِهِ

فَلَمَّا أَتَمَّ ٱلْغُلَامُ مُدَّةَ ٱثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً حَفِظَ مِنْ كُلِّ عِلْمٍ أَحْسَنَهُ. وَفَاقَ جَمِيعَ ٱلْعُلَمَاءِ وَٱلْحُكَمَاءِ ٱلَّذِينَ فِي زَمَانِهِ. فَأَتَى بِهِ

ٱلْعُلَمَاءِ إِلَى ٱلْمَلِكِ وَالِدِهِ. وَقَالُوا لَهُ: أَقَرَّ ٱللهُ عَيْنَكَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ بِهٰذَا ٱلْوَلَدِ ٱلسَّعِيدِ. وَقَدْ أَتَيْنَاكَ بِهِ بَعْدَ أَنْ تَعَلَّمَ كُلَّ عِلْمٍ حَتَّى لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ عُلَمَاءِ ٱلْوَقْتِ وَحُكَمَائِهِ بَلَغَ مَا بَلَغَهُ: فَفَرِحَ ٱلْمَلِكُ بِذٰلِكَ فَرَحًا شَدِيدًا وَزَادَ فِي شُكْرِ ٱللهِ تَعَالَى وَخَرَّ سَاجِدًا لَهُ عَزَّ وَجَلَّ وَقَالَ ٱلْحَمْدُ للهِ عَلَى نِعَمِهِ ٱلَّتِي لَا تُحْصَى. ثُمَّ دَعَا بِشَمَّاسٍ ٱلْوَزِيرِ وَقَالَ لَهُ: أَعْلَمْ يَا شَمَّاسُ. أَنَّ ٱلْعُلَمَاءَ قَدْ أَتَوْنِي وَأَخْبَرُونِي أَنَّ ٱبْنِي هٰذَا قَدْ تَعَلَّمَ كُلَّ عِلْمٍ وَلَمْ يَبْقَ مِنَ ٱلْعُلُومِ عِلْمٌ إِلَّا وَقَدْ عَلَّمُوهُ لَهُ حَتَّى فَاقَ مَنْ تَقَدَّمَهُ فِي ذٰلِكَ. فَمَا تَقُولُ يَا شَمَّاسُ: فَسَجَدَ عِنْدَ ذٰلِكَ لِلهِ عَزَّ وَجَلَّ وَقَبَّلَ يَدَ ٱلْمَلِكِ وَقَالَ: أَبَتِ ٱلْيَاقُوتَةُ وَلَوْ كَانَتْ فِي ٱلْجَبَلِ ٱلْأَصَمِّ إِلَّا أَنْ تَكُونَ مُضِيئَةً كَٱلسِّرَاجِ. وَٱبْنُكَ هٰذَا جَوْهَرَةٌ. فَمَا تَمْنَعُهُ حَدَاثَتُهُ مِنْ أَنْ يَكُونَ حَكِيمًا. وَٱلْحَمْدُ للهِ عَلَى مَا أَوْلَاهُ. وَأَنَا إِنْ شَاءَ ٱللهُ تَعَالَى فِي غَدٍ أَسْأَلُهُ وَأَسْتَنْطِقُهُ بِمَا عِنْدَهُ فِي مَجْمَعٍ أَجْمَعُهُ لَهُ مِنْ خَوَاصِّ ٱلْعُلَمَاءِ وَٱلْأُمَرَاءِ: فَلَمَّا سَمِعَ ٱلْمَلِكُ كَلَامَ شَمَّاسٍ أَمَرَ جَهَابِذَةَ ٱلْعُلَمَاءِ وَأَذْكِيَاءَ ٱلْفُضَلَاءِ وَمَهَرَةَ ٱلْحُكَمَاءِ أَنْ يَحْضُرُوا إِلَى قَصْرِ ٱلْمَلِكِ فِي غَدٍ. فَحَضَرُوا جَمِيعًا. فَلَمَّا ٱجْتَمَعُوا عَلَى بَابِ ٱلْمَلِكِ أَذِنَ لَهُمْ بِٱلدُّخُولِ ثُمَّ حَضَرَ شَمَّاسُ ٱلْوَزِيرُ. وَعِنْدَ ذٰلِكَ صَارَ ٱمْتِحَانُ ٱبْنِ ٱلْمَلِكِ (وَهَا نَحْنُ نُورِدُ بَعْضَ أَسْئِلَةٍ وَأَجْوِبَةٍ ٱمْتُحِنَ بِهَا فَأَجَابَ عَلَيْهَا أَحْسَنَ جَوَابٍ) قَالَ شَمَّاسُ لِلْغُلَامِ: أَخْبِرْنِي هَلْ تَسْتَقِيمُ آخِرَةٌ بِغَيْرِ دُنْيَا. قَالَ ٱلْغُلَامُ: مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ دُنْيَا فَلَا آخِرَةَ

لَهُ . ولَكِنْ رَأَيْتُ الدُّنْيَا وَأَهْلَهَا وَالْمَعَادَ الَّذِي هُمْ صَائِرُونَ إِلَيْهِ كَمِثْلِ أَهْلِ تِلْكَ الضِّيَاعِ الَّذِينَ ابْتَنَى لَهُمْ أَمِيرٌ بَيْتًا ضَيِّقًا وَأَدْخَلَهُمْ فِيهِ . وَأَمَرَهُمْ بِعَمَلٍ يَعْمَلُونَهُ وَضَرَبَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَجَلًا وَوَكَّلَ بِهِ شَخْصًا . فَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ مَا أُمِرَ بِهِ أَخْرَجَهُ الشَّخْصُ الْمُوَكَّلُ بِهِ مِنْ ذَلِكَ الضِّيقِ . وَمَنْ لَمْ يَعْمَلْ مَا أُمِرَ بِهِ وَقَدِ انْقَضَى الْأَجَلُ الْمَضْرُوبُ لَهُ عُوقِبَ . فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ رَشَحَ لَهُمْ مِنْ شُقُوقِ الْبَيْتِ عَسَلٌ . فَلَمَّا أَكَلُوا مِنَ الْعَسَلِ وَذَاقُوا طَعْمَهُ وَحَلَاوَتَهُ . تَوَانَوْا فِي الْعَمَلِ الَّذِي أُمِرُوا بِهِ وَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ . وَصَبَرُوا عَلَى مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الضِّيقِ وَالْغَمِّ مَعَ مَا عَلِمُوا مِنْ تِلْكَ الْعُقُوبَةِ الَّتِي هُمْ صَائِرُونَ إِلَيْهَا . وَقَنِعُوا بِتِلْكَ الْحَلَاوَةِ الْيَسِيرَةِ . وَصَارَ الْمُوَكَّلُ لَا يَدَعُ أَحَدًا مِنْهُمْ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُ إِلَّا وَيُخْرِجُهُ مِنْ ذَلِكَ الْبَيْتِ . فَعَرَفْنَا أَنَّ الدُّنْيَا دَارُ تَحَيُّرٍ فِيهَا الْأَبْصَارُ وَضُرِبَ لِأَهْلِهَا فِيهَا الْآجَالُ . فَمَنْ وَجَدَ الْحَلَاوَةَ الْقَلِيلَةَ الَّتِي تَكُونُ فِي الدُّنْيَا وَأَشْغَلَ نَفْسَهُ بِهَا كَانَ مِنَ الْهَالِكِينَ . حَيْثُ آثَرَ أَمْرَ دُنْيَاهُ عَلَى آخِرَتِهِ . وَمَنْ يُؤْثِرْ أَمْرَ آخِرَتِهِ عَلَى دُنْيَاهُ وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى تِلْكَ الْحَلَاوَةِ الْقَلِيلَةِ كَانَ مِنَ الْفَائِزِينَ

قَالَ شَمَّاسٌ : قَدْ سَمِعْتُ مَا ذَكَرْتَ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَقَبِلْتُ ذَلِكَ مِنْكَ وَلَكِنِّي قَدْ رَأَيْتُهُمَا مُسَلَّطَيْنِ عَلَى الْإِنْسَانِ فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ إِرْضَائِهِمَا مَعًا . وَهُمَا مُخْتَلِفَانِ . فَإِنْ أَقْبَلَ الْعَبْدُ عَلَى طَلَبِ

ٱلْمَعِيشَةِ فَذٰلِكَ إِضْرَارٌ بِرُوحِهِ فِي ٱلْمَعَادِ . وَإِنْ أَقْبَلَ عَلَى ٱلْآخِرَةِ كَانَ ذٰلِكَ إِضْرَارًا بِجَسَدِهِ . وَلَيْسَ لَهُ سَبِيلٌ إِلَى إِرْضَاءِ ٱلْمُتَخَالِفَيْنِ مَعًا .

قَالَ ٱلْغُلَامُ : إِنَّهُ مَنْ حَصَّلَ ٱلْمَعِيشَةَ فِي ٱلدُّنْيَا تُقَوِّيهِ عَلَى ٱلْآخِرَةِ . فَإِنِّي رَأَيْتُ أَمْرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ مِثْلَ مَلِكَيْنِ عَادِلٍ وَجَائِرٍ . وَكَانَتْ أَرْضُ ٱلْمَلِكِ ٱلْجَائِرِ ذَاتَ أَشْجَارٍ وَأَثْمَارٍ وَنَبَاتٍ . وَكَانَ ذٰلِكَ ٱلْمَلِكُ لَا يَدَعُ أَحَدًا مِنَ ٱلتُّجَّارِ إِلَّا أَخَذَ مَالَهُ وَتِجَارَتَهُ . وَهُمْ صَابِرُونَ عَلَى ذٰلِكَ لِمَا يُصِيبُونَ مِنْ خِصْبِ تِلْكَ ٱلْأَرْضِ فِي ٱلْمَعِيشَةِ . وَأَمَّا ٱلْمَلِكُ ٱلْعَادِلُ فَإِنَّهُ بَعَثَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ أَرْضِهِ . وَأَعْطَاهُ مَالًا وَافِرًا وَأَمَرَهُ أَنْ يَنْطَلِقَ إِلَى أَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْجَائِرِ لِيَبْتَاعَ بِهِ جَوَاهِرَ مِنْهَا . فَٱنْطَلَقَ ذٰلِكَ ٱلرَّجُلُ بِٱلْمَالِ حَتَّى دَخَلَ تِلْكَ ٱلْأَرْضَ . فَقِيلَ لِلْمَلِكِ : إِنَّهُ جَاءَ إِلَى أَرْضِكَ رَجُلٌ تَاجِرٌ وَمَعَهُ مَالٌ كَثِيرٌ يُرِيدُ أَنْ يَبْتَاعَ بِهِ جَوَاهِرَ مِنْهَا . فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ وَأَحْضَرَهُ وَقَالَ لَهُ : مَنْ أَنْتَ وَمِنْ أَيْنَ أَتَيْتَ وَمَنْ جَاءَ بِكَ إِلَى أَرْضِي وَمَا حَاجَتُكَ : فَقَالَ لَهُ : إِنِّي مِنْ أَرْضِ كَذَا وَكَذَا . وَإِنَّ مَلِكَ تِلْكَ ٱلْأَرْضِ أَعْطَانِي مَالًا وَأَمَرَنِي أَنْ أَبْتَاعَ لَهُ بِهِ جَوَاهِرَ مِنْ هٰذِهِ ٱلْأَرْضِ . فَٱمْتَثَلْتُ أَمْرَهُ وَجِئْتُ : فَقَالَ لَهُ ٱلْمَلِكُ : وَيْحَكَ . أَمَا عَلِمْتَ صُنْعِي بِأَهْلِ أَرْضِي مِنْ أَنِّي آخُذُ مَالَهُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ . فَكَيْفَ تَأْتِينِي بِمَالِكَ . وَهَا أَنْتَ مُقِيمٌ بِأَرْضِي مُنْذُ كَذَا وَكَذَا : فَقَالَ لَهُ ٱلتَّاجِرُ : إِنَّ ٱلْمَالَ لَيْسَ لِي مِنْهُ

شَيْءٌ. وَإِنَّمَا هُوَ أَمَانَةٌ تَحْتَ يَدِي حَتَّى أُوصِلَهُ لِصَاحِبِهِ. فَقَالَ لَهُ: إِنِّي لَسْتُ بِتَارِكِكَ تَأْخُذُ مَعِيشَتَكَ مِنْ أَرْضِي حَتَّى تَفْدِيَ نَفْسَكَ بِهٰذَا الْمَالِ جَمِيعِهِ. فَقَالَ الرَّجُلُ فِي نَفْسِهِ: قَدْ وَقَعْتُ بَيْنَ مَلِكَيْنِ. وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ جَوْرَ هٰذَا الْمَلِكِ عَامٌّ عَلَى مَنْ أَقَامَ بِأَرْضِهِ. فَإِنْ لَمْ أُرْضِهِ كَانَ هَلَاكِي وَذَهَابُ الْمَالِ لَا بُدَّ مِنْهُمَا وَلَمْ أُصِبْ حَاجَتِي. وَإِنْ أَعْطَيْتُهُ جَمِيعَ الْمَالِ كَانَ هَلَاكِي عِنْدَ الْمَلِكِ صَاحِبِ الْمَالِ لَا بُدَّ مِنْهُ وَلَيْسَ لِي حِيلَةٌ سِوَى أَنِّي أُعْطِيهِ مِنْ هٰذَا الْمَالِ جُزْءًا يَسِيرًا وَأُرْضِيهِ بِهِ وَأَدْفَعُ عَنْ نَفْسِي وَعَنْ هٰذَا الْمَالِ الْهَلَاكَ. وَأُصِيبُ مِنْ خِصْبِ هٰذِهِ الْأَرْضِ قُوتَ نَفْسِي حَتَّى أَبْتَاعَ مَا أُرِيدُ مِنَ الْجَوَاهِرِ. وَأَكُونُ قَدْ أَرْضَيْتُهُ بِمَا أَعْطَيْتُهُ وَآخُذُ نَصِيبِي مِنْ أَرْضِهِ هٰذِهِ. وَأَتَوَجَّهُ إِلَى صَاحِبِ الْمَالِ بِحَاجَتِهِ. فَإِنِّي أَرْجُو مِنْ عَدْلِهِ وَتَجَاوُزِهِ مَا لَا أَخَافُ مَعَهُ عُقُوبَةً فِيمَا أَخَذَهُ هٰذَا الْمَلِكُ مِنَ الْمَالِ. خُصُوصًا إِذَا كَانَ يَسِيرًا. ثُمَّ إِنَّ التَّاجِرَ دَعَا لِلْمَلِكِ وَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ أَنَا أَفْتَدِي نَفْسِي بِجُزْءٍ صَغِيرٍ مِنْ هٰذَا الْمَالِ مُنْذُ دَخَلْتُ أَرْضَكَ حَتَّى أَخْرُجَ مِنْهَا. فَقَبِلَ الْمَلِكُ مِنْهُ ذٰلِكَ وَخَلَّى سَبِيلَهُ سَنَةً. فَاشْتَرَى الرَّجُلُ بِمَالِهِ جَمِيعِهِ جَوَاهِرَ وَانْطَلَقَ إِلَى صَاحِبِهِ

فَالْمَلِكُ الْعَادِلُ مِثَالٌ لِلْآخِرَةِ. وَالْجَوَاهِرُ الَّتِي بِأَرْضِ الْمَلِكِ الْجَائِرِ مِثَالٌ لِلْحَسَنَاتِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ. وَالرَّجُلُ صَاحِبُ الْمَالِ. مِثَالٌ لِمَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا. وَالْمَالُ الَّذِي مَعَهُ مِثَالٌ لِحَيَاةِ الْإِنْسَانِ.

فَلَمَّا رَأَيْتُ ذٰلِكَ عَلِمْتُ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِمَنْ يَطْلُبُ ٱلْمَعِيشَةَ فِي ٱلدُّنْيَا أَنْ لَا يُخَلِّيَ يَوْمًا عَنْ طَلَبِ ٱلْآخِرَةِ . فَيَكُونُ قَدْ أَرْضَى ٱلدُّنْيَا بِمَا نَالَهُ مِنْ خِصْبِ ٱلْأَرْضِ . وَأَرْضَى ٱلْآخِرَةَ بِمَا يَصْرِفُ مِنْ حَيَاتِهِ فِي طَلَبِهَا

قَالَ شَمَّاسٌ : فَأَخْبِرْنِي هَلِ ٱلْجَسَدُ وَٱلرُّوحُ سَوَاءٌ فِي ٱلثَّوَابِ وَٱلْعِقَابِ . أَوْ إِنَّمَا يَخْتَصُّ بِٱلْعِقَابِ صَاحِبُ ٱلشَّهَوَاتِ وَفَاعِلُ ٱلْخَطِيَّاتِ

قَالَ ٱلْغُلَامُ : قَدْ يَكُونُ ٱلْمَيْلُ إِلَى ٱلشَّهَوَاتِ وَٱلْخَطِيَّاتِ مُوجِبًا لِلثَّوَابِ بِحَبْسِ ٱلنَّفْسِ عَنْهَا وَٱلتَّوْبَةِ مِنْهَا . وَٱلْأَمْرُ بِيَدِ مَنْ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَبِضِدِّهَا تَتَمَيَّزُ ٱلْأَشْيَاءُ . عَلَى أَنَّ ٱلْمَعَاشَ لَا بُدَّ مِنْهُ لِلْجَسَدِ . وَلَا جَسَدَ إِلَّا بِٱلرُّوحِ . وَطَهَارَةُ ٱلرُّوحِ بِإِخْلَاصِ ٱلنِّيَّةِ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلِٱلْتِفَاتِ إِلَى مَا يَنْفَعُ فِي ٱلْآخِرَةِ . فَهُمَا فَرَسَا رِهَانٍ وَرَضِيعَا لِبَانٍ . وَمُشْتَرِكَانِ فِي ٱلْأَعْمَالِ . وَبِٱعْتِبَارِ ٱلنِّيَّةِ تَفْصِيلُ ٱلْإِجْمَالِ . وَكَذٰلِكَ ٱلْجَسَدُ وَٱلرُّوحُ مُشْتَرِكَانِ فِي ٱلْأَعْمَالِ . وَفِي ٱلثَّوَابِ وَٱلْعِقَابِ . وَذٰلِكَ مِثْلُ ٱلْأَعْمَى وَٱلْمُقْعَدِ ٱللَّذَيْنِ أَخَذَهُمَا رَجُلٌ صَاحِبُ بُسْتَانٍ وَأَدْخَلَهُمَا بُسْتَانَهُ وَأَمَرَهُمَا أَنْ لَا يُفْسِدَا فِيهِ وَلَا يَصْنَعَا فِيهِ أَمْرًا يَضُرُّ بِهِ . فَلَمَّا طَابَتْ أَثْمَارُ ٱلْبُسْتَانِ قَالَ ٱلْمُقْعَدُ لِلْأَعْمَى : وَيْحَكَ إِنِّي أَرَى أَثْمَارًا طَيِّبَةً وَقَدِ ٱشْتَهَيْتُهَا وَلَسْتُ أَقْدِرُ عَلَى ٱلْقِيَامِ إِلَيْهَا لِآكُلَ مِنْهَا . فَقُمْ أَنْتَ لِأَنَّكَ صَحِيحُ ٱلرِّجْلَيْنِ . وَٱئْتِنَا مِنْهَا بِمَا نَأْكُلُ : فَقَالَ ٱلْأَعْمَى : وَيْحَكَ . قَدْ ذَكَرْتَهَا لِي

وَقَدْ كُنْتُ عَنْهَا غَافِلًا . وَلَسْتُ أَقْدِرُ عَلَى ذٰلِكَ . لِأَنِّي لَسْتُ أُبْصِرُهَا . فَمَا ٱلْحِيلَةُ فِي تَحْصِيلِ ذٰلِكَ : فَبَيْنَمَا هُمَا كَذٰلِكَ . إِذْ أَتَاهُمَا ٱلنَّاظِرُ عَلَى ٱلْبُسْتَانِ . وَكَانَ رَجُلًا عَالِمًا . فَقَالَ لَهُ ٱلْمُقْعَدُ : وَيْحَكَ . يَا نَاظِرُ . إِنَّا قَدِ ٱشْتَهَيْنَا شَيْئًا مِنْ هٰذِهِ ٱلثِّمَارِ . وَنَحْنُ كَمَا تَرَى أَنَا مُقْعَدٌ وَصَاحِبِي هٰذَا أَعْمَى لَا يُبْصِرُ شَيْئًا فَمَا حِيلَتُنَا

فَقَالَ لَهُمَا ٱلنَّاظِرُ : وَيْحَكُمَا أَلَسْتُمَا تَعْلَمَانِ مَا قَدْ عَاهَدَكُمَا عَلَيْهِ صَاحِبُ ٱلْبُسْتَانِ . مِنْ أَنَّكُمَا لَا تَتَعَرَّضَانِ لِشَيْءٍ مِمَّا يُؤَثِّرُ فِيهِ ٱلْفَسَادَ . فَٱنْتَهِيَا وَلَا تَفْعَلَا : فَقَالَا لَهُ : لَا بُدَّ لَنَا مِنْ أَنْ نُصِيبَ مِنْ هٰذِهِ ٱلثِّمَارِ مَا نَأْكُلُهُ . فَأَخْبِرْنَا بِمَا عِنْدَكَ مِنَ ٱلْحِيلَةِ : فَلَمَّا لَمْ يَنْتَهِيَا عَنْ رَأْيِهِمَا قَالَ لَهُمَا : ٱلْحِيلَةُ فِي ذٰلِكَ أَنْ يَقُومَ ٱلْأَعْمَى وَيَحْمِلَكَ أَيُّهَا ٱلْمُقْعَدُ عَلَى ظَهْرِهِ وَيُدْنِيَكَ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ ٱلَّتِي تُعْجِبُكَ أَثْمَارُهَا . حَتَّى إِذَا أَدْنَاكَ مِنْهَا تَجْنِي أَنْتَ مَا أَصَبْتَ مِنَ ٱلثِّمَارِ . فَقَامَ ٱلْأَعْمَى وَحَمَلَ ٱلْمُقْعَدَ . وَجَعَلَ ٱلْمُقْعَدُ يَهْدِيهِ إِلَى ٱلسَّبِيلِ حَتَّى أَدْنَاهُ إِلَى شَجَرَةٍ فَصَارَ ٱلْمُقْعَدُ يَأْخُذُ مِنْهَا مَا أَحَبَّ . وَلَمْ يَزَلْ ذٰلِكَ دَأْبَهُمَا حَتَّى أَفْسَدَا مَا فِي ٱلْبُسْتَانِ مِنَ ٱلشَّجَرِ . وَإِذَا بِصَاحِبِ ٱلْبُسْتَانِ قَدْ جَاءَ وَقَالَ لَهُمَا : وَيْحَكُمَا مَا هٰذِهِ ٱلْفِعَالُ . أَلَمْ أُعَاهِدْكُمَا عَلَى أَنْ لَا تُفْسِدَا فِي هٰذَا ٱلْبُسْتَانِ . فَقَالَا لَهُ : قَدْ عَلِمْتَ أَنَّنَا لَمْ نَقْدِرْ أَنْ نَصِلَ إِلَى شَيْءٍ مِنَ ٱلْأَشْيَاءِ لِأَنَّ أَحَدَنَا مُقْعَدٌ لَا يَقُومُ وَٱلْآخَرَ أَعْمَى لَا يُبْصِرُ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ . فَمَا ذَنْبُنَا

فَقَالَ لَهُمَا صَاحِبُ ٱلْبُسْتَانِ: لَعَلَّكُمَا تَظُنَّانِ أَنِّي لَسْتُ أَدْرِي كَيْفَ صَنَعْتُمَا وَكَيْفَ أَفْسَدْتُمَا فِي بُسْتَانِي. كَأَنِّي بِكَ أَيُّهَا ٱلْأَعْمَى قَدْ قُمْتَ وَحَمَلْتَ ٱلْمُقْعَدَ عَلَى ظَهْرِكَ وَصَارَ يَهْدِيكَ ٱلسَّبِيلَ حَتَّى أَوْصَلْتَهُ إِلَى ٱلشَّجَرِ. ثُمَّ إِنَّهُ أَخَذَهُمَا وَعَاقَبَهُمَا عُقُوبَةً شَدِيدَةً وَأَخْرَجَهُمَا مِنَ ٱلْبُسْتَانِ

فَٱلْأَعْمَى مِثَالٌ لِلْجَسَدِ. لِأَنَّهُ لَا يُبْصِرُ إِلَّا بِٱلنَّفْسِ. وَٱلْمُقْعَدُ مِثَالٌ لِلنَّفْسِ ٱلَّتِي لَا حَرَكَةَ لَهَا إِلَّا بِٱلْجَسَدِ. وَأَمَّا ٱلْبُسْتَانُ فَإِنَّهُ مِثَالٌ لِلْعَمَلِ ٱلَّذِي يُجَازَى بِهِ ٱلْعَبْدُ. وَٱلنَّاظِرُ مِثَالٌ لِلْعَقْلِ ٱلَّذِي يُؤْمَرُ بِٱلْخَيْرِ وَيُنْهَى عَنِ ٱلشَّرِّ. فَٱلرُّوحُ وَٱلْجَسَدُ مُشْتَرِكَانِ فِي ٱلْعِقَابِ وَٱلثَّوَابِ

قَالَ شَمَّاسٌ: صَدَقْتَ وَقَدْ قَبِلْتُ مِنْكَ ذٰلِكَ. فَأَخْبِرْنِي عَنِ ٱلْعَالِمِ ٱلْعَلِيمِ ذِي ٱلرَّأْيِ ٱلسَّدِيدِ. وَٱلْفِطْنَةِ ٱلْوَقَّادَةِ وَٱلذِّهْنِ ٱلْفَائِقِ ٱلرَّائِقِ. هَلْ يُغَيِّرُهُ ٱلْهَوَى وَٱلشَّهْوَةُ عَنْ هٰذِهِ ٱلْحَالَاتِ ٱلَّتِي ذَكَرْتَ

قَالَ ٱلْغُلَامُ: إِنْ هَاتَيْنِ ٱلْخَصْلَتَيْنِ إِذَا دَخَلَتَا عَلَى ٱلرَّجُلِ غَيَّرَتَا عِلْمَهُ وَفَهْمَهُ وَرَأْيَهُ وَذِهْنَهُ. وَكَانَ مَثَلُهُ مَثَلَ ٱلْعُقَابِ ٱلْكَاسِرِ ٱلْمُحَاذِرِ عَنِ ٱلْقَنَصِ ٱلْمُقِيمِ فِي جَوِّ ٱلسَّمَاءِ لِقَرْطِ حِذْقِهِ. فَبَيْنَمَا هُوَ كَذٰلِكَ إِذْ نَظَرَ رَجُلًا صَيَّادًا قَدْ نَصَبَ شَرَكَهُ. فَلَمَّا فَرَغَ ٱلرَّجُلُ مِنْ نَصْبِ ٱلشَّرَكِ وَضَعَ فِيهِ قِطْعَةَ لَحْمٍ. فَعِنْدَ ذٰلِكَ أَبْصَرَ ٱلْعُقَابُ قِطْعَةَ ٱللَّحْمِ فَغَلَبَ عَلَيْهِ ٱلْهَوَى وَٱلشَّهْوَةُ حَتَّى نَسِيَ مَا شَاهَدَ مِنَ ٱلشَّرَكِ وَمِنْ سُوءِ ٱلْحَالِ لِكُلِّ مَا وَقَعَ مِنَ ٱلطَّائِرِ. فَٱنْقَضَّ مِنْ جَوِّ

ٱلسَّمَاءِ . حَتَّى وَقَعَ عَلَى قِطْعَةِ ٱللَّحْمِ فَٱشْتَبَكَ فِي ٱلشَّرَكِ . فَلَمَّا جَاءَ ٱلصَّيَّادُ رَأَى ٱلْعُقَابَ فِي شَرَكِهِ . فَتَعَجَّبَ عَجَبًا شَدِيدًا وَقَالَ : أَنَا نَصَبْتُ شَرَكِي لِيَقَعَ فِيهِ حَمَامٌ أَوْ نَحْوُهُ مِنَ ٱلطُّيُورِ ٱلضَّعِيفَةِ . فَكَيْفَ وَقَعَ فِيهِ هٰذَا ٱلْعُقَابُ

وَقَدْ قِيلَ إِنَّ ٱلرَّجُلَ ٱلْعَاقِلَ إِذَا حَمَلَهُ ٱلْهَوَى وَٱلشَّهْوَةُ عَلَى أَمْرٍ يَتَدَبَّرُ عَاقِبَةَ ذٰلِكَ ٱلْأَمْرِ بِعَقْلِهِ . فَيَمْتَنِعُ مِمَّا حَسَّنَاهُ . وَيَقْهَرُ بِعَقْلِهِ شَهْوَتَهُ وَهَوَاهُ . فَإِذَا حَمَلَهُ ٱلْهَوَى وَٱلشَّهْوَةُ عَلَى أَمْرٍ يَنْبَغِي أَنْ يَجْعَلَ ٱلْعَقْلَ مِثْلَ ٱلْفَارِسِ ٱلْمَاهِرِ فِي فُرُوسِيَّتِهِ . إِذَا رَكِبَ ٱلْفَرَسَ ٱلْأَزْعَنَ فَإِنَّهُ يَجْذِبُهُ بِٱللِّجَامِ ٱلشَّدِيدِ حَتَّى يَسْتَقِيمَ . وَيَمْضِيَ مَعَهُ عَلَى مَا يُرِيدُ . وَأَمَّا مَنْ كَانَ سَفِيهًا لَا عِلْمَ لَهُ وَلَا رَأْيَ عِنْدَهُ وَٱلْأُمُورُ مُشْتَبِهَةٌ عَلَيْهِ وَٱلْهَوَى وَٱلشَّهْوَةُ مُسَلَّطَانِ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ يَعْمَلُ بِشَهْوَتِهِ وَهَوَاهُ فَيَكُونُ مِنَ ٱلْهَالِكِينَ وَلَا يَكُونُ فِي ٱلنَّاسِ أَسْوَأُ حَالًا مِنْهُ

فَبَعْدَ مَسَائِلَ كَثِيرَةٍ وَحُسْنِ إِصَابَةٍ فِي ٱلْإِجَابَةِ قَالَ شَمَّاسُ لِلْمَلِكِ جُلْيَعَادَ : أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ أَنْتَ مَلِكُنَا وَلٰكِنْ نُحِبُّ أَنْ تَعْهَدَ لِوَلَدِكَ بِٱلْمُلْكِ مِنْ بَعْدِكَ وَنَحْنُ ٱلْحَوَلُ وَٱلرَّعِيَّةُ . فَعِنْدَ ذٰلِكَ حَثَّ ٱلْمَلِكُ مَنْ حَضَرَ مِنَ ٱلْعُلَمَاءِ وَٱلنَّاسِ عَلَى أَنَّ مَا سَمِعُوهُ مِنْهُ يَحْفَظُونَهُ وَيَعْمَلُونَ بِهِ . وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَمْتَثِلُوا أَمْرَ ٱبْنِهِ فَإِنَّهُ جَعَلَهُ وَلِيَّ عَهْدِهِ مِنْ بَعْدِهِ لِيَكُونَ خَلِيفَةً عَلَى مُلْكِ وَالِدِهِ . وَأَخَذَ ٱلْعَهْدَ عَلَى جَمِيعِ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ مِنَ ٱلْعُلَمَاءِ وَٱلشُّجْعَانِ وَٱلشُّيُوخِ وَٱلصِّبْيَانِ وَبَقِيَّةِ ٱلنَّاسِ أَنْ لَا يَتَخَالَفُوا عَلَيْهِ

وَلَا يَنْكِثُوا عَلَيْهِ أَمْرَهُ. فَلَمَّا أَتَى عَلَى ٱبْنِ ٱلْمَلِكِ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً مَرِضَ ٱلْمَلِكُ مَرَضًا شَدِيدًا حَتَّى أَشْرَفَ عَلَى ٱلْمَوْتِ. فَلَمَّا أَيْقَنَ ٱلْمَلِكُ أَنَّ ٱلْمَوْتَ قَدْ نَزَلَ بِهِ قَالَ لِأَهْلِهِ: هٰذَا دَاءُ ٱلْمَوْتِ قَدْ نَزَلَ بِي. فَٱدْعُوا لِي أَقَارِبِي وَوَلَدِي وَٱجْمَعُوا لِي أَهْلَ مَمْلَكَتِي. حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا وَيَحْضُرُ. فَخَرَجُوا وَنَادَوُا ٱلنَّاسَ ٱلْقَرِيبِينَ وَأَجْهَرُوا بِٱلنِّدَاءِ لِلنَّاسِ ٱلْبَعِيدِينَ حَتَّى حَضَرُوا بِأَجْمَعِهِمْ وَدَخَلُوا عَلَى ٱلْمَلِكِ. ثُمَّ قَالُوا لَهُ: كَيْفَ أَنْتَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ وَكَيْفَ تَرَى لِنَفْسِكَ مِنْ مَرَضِكَ هٰذَا. قَالَ لَهُمُ ٱلْمَلِكُ: إِنَّ مَرَضِي هٰذَا هُوَ ٱلَّذِي فِيهِ ٱلْقَاضِيَةُ وَقَدْ نَفَذَ ٱلسَّهْمُ بِمَا قَدَّرَهُ ٱللهُ تَعَالَى عَلَيَّ. وَأَنَا ٱلْآنَ فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ ٱلدُّنْيَا وَأَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ ٱلْآخِرَةِ. ثُمَّ قَالَ لِٱبْنِهِ: ٱدْنُ مِنِّي فَدَنَا مِنْهُ ٱلْغُلَامُ وَهُوَ يَبْكِي بُكَاءً شَدِيدًا حَتَّى كَادَ أَنْ يَبُلَّ فِرَاشَهُ. وَٱلْمَلِكُ قَدْ دَمَعَتْ عَيْنَاهُ وَبَكَى كُلُّ مَنْ حَضَرَ. ثُمَّ قَالَ ٱلْمَلِكُ لِوَلَدِهِ: لَا تَبْكِ يَا ٱبْنِي. فَإِنِّي لَسْتُ بِأَوَّلِ مَنْ جَرَى لَهُ هٰذَا ٱلْمَحْتُومُ لِأَنَّهُ سَائِرٌ عَلَى جَمِيعِ مَا خَلَقَهُ ٱللهُ. وَٱعْمَلْ خَيْرًا يَسْبِقْكَ إِلَى ٱلْمَوْضِعِ ٱلَّذِي تَقْصِدُهُ جَمِيعُ ٱلْخَلَائِقِ. وَلَا تُطِعِ ٱلْهَوَى وَٱشْغَلْ نَفْسَكَ بِذِكْرِ ٱللهِ فِي قِيَامِكَ وَقُعُودِكَ وَيَقْظَتِكَ وَنَوْمِكَ. وَٱجْعَلِ ٱلْحَقَّ نُصْبَ عَيْنِكَ. وَهٰذَا آخِرُ كَلَامِي مَعَكَ وَٱلسَّلَامُ

فَقَالَ ٱلْغُلَامُ لِأَبِيهِ: قَدْ عَلِمْتَ يَا أَبَتِ. أَنِّي لَمْ أَزَلْ لَكَ مُطِيعًا. وَلِوَصِيَّتِكَ حَافِظًا وَلِأَمْرِكَ مُنْفِذًا وَلِرِضَاكَ طَالِبًا. وَأَنْتَ لِي نِعْمَ

ٱلْأَبُ فَكَيْفَ أَخْرُجُ بَعْدَ مَوْتِكَ عَمَّا تَرْضَى بِهِ. وَأَنْتَ بَعْدَ حُسْنِ تَرْبِيَتِي مُفَارِقٌ لِي وَلَا أَقْدِرُ عَلَى رَدِّكَ عَلَيَّ. فَإِذَا حَفِظْتُ وَصِيَّتَكَ صِرْتُ بِهَا سَعِيدًا وَصَارَ لِي ٱلنَّصِيبُ ٱلْأَكْبَرُ. فَقَالَ لَهُ ٱلْمَلِكُ وَهُوَ فِي غَايَةِ ٱلْاِسْتِغْرَاقِ مِنْ سَكَرَاتِ ٱلْمَوْتِ: يَا بُنَيَّ ٱلْزَمْ عَشَرَ خِصَالٍ يَنْفَعُكَ ٱللهُ بِهَا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَهُنَّ: إِذَا ٱغْتَظْتَ فَاكْظِمْ غَيْظَكَ. وَإِذَا بُلِيتَ فَٱصْبِرْ. وَإِذَا نَطَقْتَ فَٱصْدُقْ. وَإِذَا وَعَدْتَ فَأَوْفِ. وَإِذَا حَكَمْتَ فَٱعْدِلْ. وَإِذَا قَدَرْتَ فَٱعْفُ. وَأَكْرِمْ قُوَّادِكَ. وَٱصْفَحْ عَنْ أَعْدَائِكَ. وَٱبْذُلْ مَعْرُوفَكَ لِعَدُوِّكَ. وَكُفَّ أَذَاكَ عَنْهُ. وَٱلْزَمْ أَيْضًا عَشَرَ خِصَالٍ أُخْرَى يَنْفَعُكَ ٱللهُ بِهَا فِي أَهْلِ مَمْلَكَتِكَ وَهِيَ: إِذَا قَسَمْتَ فَٱعْدِلْ. وَإِذَا عَاقَبْتَ بِحَقٍّ فَلَا تَتَجَبَّرْ. وَإِذَا عَاهَدْتَ فَأَوْفِ بِعَهْدِكَ. وَٱقْبَلِ ٱلنُّصْحَ. وَٱتْرُكِ ٱللَّجَاجَةَ. وَٱلْزَمِ ٱلرَّعِيَّةَ بِٱلْاِسْتِقَامَةِ عَلَى ٱلشَّرَائِعِ وَٱلسُّنَنِ ٱلْحَمِيدَةِ. وَكُنْ حَاكِمًا عَادِلًا بَيْنَ ٱلنَّاسِ حَتَّى يُحِبَّكَ كَبِيرُهُمْ وَصَغِيرُهُمْ وَيُخَافَكَ عَاتِيهِمْ وَمُفْسِدُهُمْ. ثُمَّ قَالَ لِلْحَاضِرِينَ مِنَ ٱلْعُلَمَاءِ وَٱلْأُمَرَاءِ ٱلَّذِينَ كَانُوا حَاضِرِينَ عَهْدَهُ لِوَلَدِهِ بِٱلْمُلْكِ مِنْ بَعْدِهِ: إِيَّاكُمْ وَمُخَالَفَةَ أَمْرِ مَلِيكِكُمْ وَتَرْكَ ٱلْاِسْتِمَاعِ لِكَبِيرِكُمْ فَإِنَّ فِي ذٰلِكَ هَلَاكًا لِأَرْضِكُمْ وَتَفْرِيقًا لِجَمْعِكُمْ وَضَرَرًا لِأَبْدَانِكُمْ وَتَلَفًا لِأَمْوَالِكُمْ فَتَشْمَتَ بِكُمْ أَعْدَاؤُكُمْ. وَهَا أَنْتُمْ عَلِمْتُمْ مَا عَاهَدْتُمُونِي عَلَيْهِ فَهٰكَذَا يَكُونُ عَهْدُكُمْ مَعَ هٰذَا ٱلْغُلَامِ وَٱلْمِيثَاقُ ٱلَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ يَكُونُ أَيْضًا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ. وَعَلَيْكُمْ بِٱلسَّمْعِ وَٱلطَّاعَةِ

لِأَمْرِهِ. لِأَنَّ فِي ذٰلِكَ صَلَاحَ أَحْوَالِكُمْ. وَاثْبُتُوا مَعَهُ عَلَى مَا كُنْتُمْ مَعِي فَتَسْتَقِيمَ أُمُورُكُمْ وَيَحْسُنَ حَالُكُمْ وَهَا هُوَذَا مَلِكُكُمْ وَوَلِيُّ نِعْمَتِكُمْ وَالسَّلَامَةُ. ثُمَّ بَعْدَ هٰذَا اشْتَدَّتْ بِهِ سَكَرَاتُ الْمَوْتِ وَالْتَجَمَ لِسَانُهُ. فَضَمَّ ابْنَهُ إِلَيْهِ وَقَبَّلَهُ وَشَكَرَ اللهَ ثُمَّ قَضَى نَحْبَهُ. وَطَلَعَتْ رُوحُهُ. فَنَاحَ عَلَيْهِ جَمِيعُ رَعِيَّتِهِ وَأَهْلِ مَمْلَكَتِهِ. ثُمَّ إِنَّهُمْ كَفَّنُوهُ وَدَفَنُوهُ بِإِكْرَامٍ وَتَبْجِيلٍ وَإِعْظَامٍ. ثُمَّ رَجَعُوا وَالْغُلَامُ مَعَهُمْ. فَأَلْبَسُوهُ حُلَّةَ الْمُلْكِ وَتَوَّجُوهُ بِتَاجِ وَالِدِهِ وَأَلْبَسُوهُ الْخَاتَمَ فِي أُصْبُعِهِ وَأَجْلَسُوهُ عَلَى سَرِيرِ الْمُلْكِ. فَسَارَ الْغُلَامُ فِيهِمْ بِسِيرَةِ أَبِيهِ بِالْحِلْمِ وَالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ مُدَّةً يَسِيرَةً. ثُمَّ تَعَرَّضَتْ لَهُ الدُّنْيَا وَجَذَبَتْهُ بِشَهَوَاتِهَا. فَاسْتَغْنَمَ لَذَّاتِهَا وَأَقْبَلَ عَلَى زَخَارِفِ أُمُورِهَا وَتَرَكَ مَا كَانَ قَلَّدَهُ أَبُوهُ مِنَ الْمَوَاثِيقِ. وَنَبَذَ الطَّاعَةَ لِوَالِدِهِ وَأَهْمَلَ مَمْلَكَتَهُ. وَمَشَى فِي مَا فِيهِ هَلَاكُهُ مُدَّةً مِنَ الزَّمَانِ. إِلَّا أَنَّهُ بَعْدَ عَسْفِهِ عَادَ إِلَى حُسْنِ السِّيرَةِ وَالسِّيَاسَةِ. وَهٰذَا مَا انْتَهَى إِلَيْهِ أَمْرُ الْمَلِكِ جُلْيَعَادَ وَوَلَدِهِ. وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ لَا يَنْتَهِي

حِكَايَةُ الطُّيُورِ وَالْوُحُوشِ
مَعَ ابْنِ آدَمَ

زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ وَسَالِفِ الْعَصْرِ وَالْأَوَانِ. طَاوُوسٌ يَأْوِي إِلَى جَانِبِ الْبَحْرِ مَعَ زَوْجَتِهِ. وَكَانَ ذٰلِكَ الْمَوْضِعُ كَثِيرَ السِّبَاعِ وَفِيهِ مِنْ سَائِرِ الْوُحُوشِ. غَيْرَ أَنَّهُ كَثِيرُ الْأَشْجَارِ

وَالْأَنْهَارِ . وَذٰلِكَ الطَّاوُوسُ هُوَ وَزَوْجَتُهُ يَأْوِيَانِ إِلَى شَجَرَةٍ مِنْ تِلْكَ الْأَشْجَارِ لَيْلًا مِنْ خَوْفِهِمَا مِنَ الْوُحُوشِ وَيَغْدُوَانِ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ نَهَارًا . وَلَمْ يَزَالَا كَذٰلِكَ حَتَّى كَثُرَ خَوْفُهُمَا فَسَارَا يَبْغِيَانِ مَوْضِعًا غَيْرَ مَوْضِعِهِمَا يَأْوِيَانِ إِلَيْهِ . فَبَيْنَمَا هُمَا يُفَتِّشَانِ عَلَى مَوْضِعٍ إِذْ ظَهَرَتْ لَهُمَا جَزِيرَةٌ كَثِيرَةُ الْأَشْجَارِ وَالْأَنْهَارِ . فَنَزَلَا فِي تِلْكَ الْجَزِيرَةِ وَأَكَلَا مِنْ أَثْمَارِهَا وَشَرِبَا مِنْ أَنْهَارِهَا . فَبَيْنَمَا هُمَا كَذٰلِكَ إِذَا بِبَطَّةٍ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِمَا وَهِيَ فِي شِدَّةِ الْفَزَعِ . وَلَمْ تَزَلْ تَسْعَى حَتَّى أَتَتْ إِلَى الشَّجَرَةِ الَّتِي عَلَيْهَا الطَّاوُوسُ هُوَ وَزَوْجَتُهُ فَاطْمَأَنَّتْ . فَلَمْ يَشُكَّ الطَّاوُوسُ فِي أَنَّ تِلْكَ الْبَطَّةَ لَهَا حِكَايَةٌ عَجِيبَةٌ . فَسَأَلَهَا عَنْ حَالِهَا وَعَنْ سَبَبِ خَوْفِهَا فَقَالَتْ : إِنَّنِي مَرِيضَةٌ مِنَ الْحُزْنِ وَخَوْفِي مِنِ ابْنِ آدَمَ . فَحَذَارِ حَذَارِ مِنْ بَنِي آدَمَ : فَقَالَ لَهَا الطَّاوُوسُ : لَا تَخَافِي حَيْثُ وَصَلْتِ إِلَيْنَا . فَقَالَتِ الْبَطَّةُ : الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي فَرَّجَ هَمِّي وَغَمِّي بِقُرْبِكُمَا وَقَدْ أَتَيْتُ رَاغِبَةً فِي مَوَدَّتِكُمَا . فَلَمَّا فَرَغَتْ مِنْ كَلَامِهَا نَزَلَتْ إِلَيْهَا زَوْجَةُ الطَّاوُوسِ وَقَالَتْ لَهَا : أَهْلًا وَسَهْلًا لَا بَأْسَ عَلَيْكِ . وَمِنْ أَيْنَ يَصِلُ إِلَيْنَا ابْنُ آدَمَ وَنَحْنُ فِي تِلْكَ الْجَزِيرَةِ الَّتِي فِي وَسَطِ الْبَحْرِ . فَمِنَ الْبَرِّ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَصِلَ إِلَيْنَا . وَمِنَ الْبَحْرِ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْنَا فَأَبْشِرِي وَحَدِّثِينَا بِالَّذِي نَزَلَ بِكِ وَاعْتَرَاكِ مِنِ ابْنِ آدَمَ . فَقَالَتِ الْبَطَّةُ : اعْلَمِي أَيَّتُهَا الطَّاوُوسَةُ أَنَّنِي فِي هٰذِهِ الْجَزِيرَةِ طُولَ عُمْرِي آمِنَةٌ لَا أَرَى مَكْرُوهًا . فَبِتُّ لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي فَرَأَيْتُ صُورَةَ

ٱبْنِ آدَمَ وَهُوَ يُخَاطِبُنِي وَأُخَاطِبُهُ وَسَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ لِي : أَيَّتُهَا ٱلْبَطَّةُ . ٱحْذَرِي مِنِ ٱبْنِ آدَمَ . وَلَا تَغْتَرِّي بِكَلَامِهِ . وَلَا بِمَا يُدْخِلُهُ عَلَيْكِ . فَإِنَّهُ كَثِيرُ ٱلْحِيَلِ وَٱلْخِدَاعِ . فَٱلْحَذَرَ كُلَّ ٱلْحَذَرِ مِنْ مَكْرِهِ فَإِنَّهُ مُخَادِعٌ مَاكِرٌ . كَمَا قَالَ فِيهِ ٱلشَّاعِرُ

يُعْطِيكَ مِنْ طَرَفِ ٱللِّسَانِ حَلَاوَةً وَيَرُوغُ مِنْكَ كَمَا يَرُوغُ ٱلثَّعْلَبُ

وَٱعْلَمِي أَنَّ ٱبْنَ آدَمَ يَحْتَالُ عَلَى ٱلْحَيَتَانِ فَيُخْرِجُهَا مِنَ ٱلْبِحَارِ . وَيَرْمِي ٱلطَّيْرَ بِنُدْفَةٍ مِنْ طِينٍ . وَيُوقِعُ ٱلْفِيلَ بِمَكْرِهِ . وَٱبْنُ آدَمَ لَا يَسْلَمُ أَحَدٌ مِنْ شَرِّهِ وَلَا يَنْجُو طَيْرٌ وَلَا وَحْشٌ . وَقَدْ بَلَّغْتُكِ مَا سَمِعْتُهُ عَنِ ٱبْنِ آدَمَ . فَٱسْتَيْقَظْتُ مِنْ مَنَامِي خَائِفَةً مَرْعُوبَةً . وَأَنَا إِلَى ٱلْآنَ لَا يَنْشَرِحُ صَدْرِي خَوْفًا عَلَى نَفْسِي مِنِ ٱبْنِ آدَمَ لِئَلَّا يَدْهَمَنِي بِحِيلَتِهِ وَيَصِيدَنِي بِحَبَائِلِهِ . وَلَمْ يَأْتِ عَلَيَّ آخِرُ ٱلنَّهَارِ إِلَّا وَقَدْ ضَعُفَتْ قُوَّتِي . وَبَطَلَتْ هِمَّتِي . ثُمَّ إِنِّي ٱشْتَقْتُ إِلَى ٱلْأَكْلِ وَٱلشُّرْبِ . فَخَرَجْتُ أَتَمَشَّى وَخَاطِرِي مُكَدَّرٌ وَقَلْبِي مَقْبُوضٌ . فَلَمَّا وَصَلْتُ إِلَى ذٰلِكَ ٱلْجَبَلِ وَجَدْتُ عَلَى بَابِ مَغَارَةٍ شِبْلًا أَصْفَرَ ٱللَّوْنِ . فَلَمَّا رَآنِي ذٰلِكَ ٱلشِّبْلُ فَرِحَ بِي فَرَحًا شَدِيدًا وَأَعْجَبَهُ لَوْنِي وَكَوْنِي لَطِيفَةَ ٱلذَّاتِ . فَصَاحَ عَلَيَّ وَقَالَ لِي : ٱقْرُبِي مِنِّي . فَلَمَّا قَرُبْتُ مِنْهُ قَالَ لِي : مَا ٱسْمُكِ وَمَا جِنْسُكِ . فَقُلْتُ لَهُ : ٱسْمِي بَطَّةٌ وَأَنَا مِنْ جِنْسِ ٱلطُّيُورِ . ثُمَّ قُلْتُ لَهُ : مَا سَبَبُ قُعُودِكَ إِلَى هٰذَا ٱلْوَقْتِ فِي هٰذَا ٱلْمَكَانِ . فَقَالَ ٱلشِّبْلُ : سَبَبُ ذٰلِكَ أَنَّ وَالِدِيَ ٱلْأَسَدَ لَهُ أَيَّامٌ

وَهُوَ يُحَذِّرُنِي مِنِ ٱبْنِ آدَمَ . فَٱتَّفَقَ أَنِّي رَأَيْتُ فِي هٰذِهِ ٱللَّيْلَةِ فِي مَنَامِي صُورَةَ ٱبْنِ آدَمَ . ثُمَّ إِنَّ ٱلشِّبْلَ حَكَى لِي نَظِيرَ مَا حَكَيْتُهُ لَكَ

فَلَمَّا سَمِعْتُ كَلَامَهُ قُلْتُ لَهُ يَا أَسَدُ : إِنِّي قَدْ لَجَأْتُ إِلَيْكَ فِي أَنْ تَقْتُلَ ٱبْنَ آدَمَ . فَإِنِّي أَخَافُ عَلَى نَفْسِي خَوْفًا شَدِيدًا وَٱزْدَدْتُ خَوْفًا عَلَى خَوْفِي مِنْ خَوْفِكَ مِنِ ٱبْنِ آدَمَ مَعَ أَنَّكَ سُلْطَانُ ٱلْوُحُوشِ . وَمَا زِلْتُ يَا أُخْتِي أُحَذِّرُ ٱلشِّبْلَ مِنِ ٱبْنِ آدَمَ وَأُوصِيهِ بِقَتْلِهِ حَتَّى قَامَ مِنْ وَقْتِهِ وَسَاعَتِهِ مِنَ ٱلْمَكَانِ ٱلَّذِي كَانَ فِيهِ وَتَمَشَّى وَتَمَشَّيْتُ وَرَاءَهُ . فَتَرَفَّعَ بِذَنَبِهِ عَلَى ظَهْرِهِ وَلَمْ يَزَلْ يَتَمَشَّى وَأَنَا أَمْشِي وَرَاءَهُ إِلَى مَفْرِقِ ٱلطَّرِيقِ . فَوَجَدْنَا غَبَرَةً طَارَتْ وَبَعْدَ ذٰلِكَ ٱنْكَشَفَتِ ٱلْغَبَرَةُ . فَبَانَ مِنْ تَحْتِهَا حِمَارٌ شَارِدٌ عُرْيَانٌ وَهُوَ تَارَةً يَقْمِصُ وَيَجْرِي وَتَارَةً يَتَمَرَّغُ . فَلَمَّا رَآهُ ٱلْأَسَدُ صَاحَ عَلَيْهِ . فَأَتَى إِلَيْهِ خَاضِعًا . فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا ٱلْحَيَوَانُ ٱلْخَرِفُ ٱلْعَقْلِ . مَا جِنْسُكَ وَمَا سَبَبُ قُدُومِكَ إِلَى هٰذَا ٱلْمَكَانِ . فَقَالَ لَهُ : يَا ٱبْنَ ٱلسُّلْطَانِ أَنَا جِنْسِي حِمَارٌ وَسَبَبُ قُدُومِي إِلَى هٰذَا ٱلْمَكَانِ هَرَبِي مِنِ ٱبْنِ آدَمَ . فَقَالَ لَهُ ٱلشِّبْلُ : وَهَلْ أَنْتَ خَائِفٌ مِنِ ٱبْنِ آدَمَ أَنْ يَقْتُلَكَ . فَقَالَ لَهُ ٱلْحِمَارُ : لَا يَا ٱبْنَ ٱلسُّلْطَانِ . وَإِنَّمَا خَوْفِي أَنْ يَعْمَلَ حِيلَةً عَلَيَّ وَيَرْكَبَنِي . لِأَنَّ عِنْدَهُ شَيْئًا يُسَمِّيهِ ٱلْبَرْذَعَةَ فَيَجْعَلُهَا عَلَى ظَهْرِي . وَشَيْئًا يُسَمِّيهِ ٱلْحِزَامَ . فَيَشُدُّهُ عَلَى بَطْنِي . وَشَيْئًا يُسَمِّيهِ ٱللِّجَامَ فَيَجْعَلُهُ فِي فَمِي . وَيَعْمَلُ لِي مِنْخَاسًا يَنْخُسُنِي بِهِ وَيُكَلِّفُنِي مَا لَا أُطِيقُ مِنَ ٱلْجَرْيِ .

وَإِذَا عَثَرْتُ لَعَنَنِي وَإِنْ نَهَقْتُ شَتَمَنِي. وَبَعْدَ ذٰلِكَ إِذَا كَبُرْتُ وَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى الْجَرْيِ يَجْعَلُ لِي رَحْلًا مِنَ الْخَشَبِ وَيُسَلِّمُنِي إِلَى السَّقَّائِينَ فَيَحْمِلُونَ الْمَاءَ عَلَى ظَهْرِي مِنَ الْبَحْرِ فِي الْقِرَبِ وَنَحْوِهَا كَالْحِمَارِ وَلَا أَزَالُ فِي ذُلٍّ وَهَوَانٍ وَتَعَبٍ حَتَّى أَمُوتَ فَيَرْمُونِي فَوْقَ التِّلَالِ لِلْكِلَابِ. فَأَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ مِنْ هٰذَا الْهَمِّ وَأَيُّ مُصِيبَةٍ أَكْبَرُ مِنْ هٰذِهِ الْمَصَائِبِ

فَلَمَّا سَمِعَتْ أَيَّتُهَا الطَّاوُوسَةُ كَلَامَ الْحِمَارِ اقْشَعَرَّ جَسَدِي مِنِ ابْنِ آدَمَ وَقُلْتُ لِلشِّبْلِ: يَا سَيِّدِي إِنَّ الْحِمَارَ مَعْذُورٌ. وَقَدْ زَادَنِي كَلَامُهُ رُعْبًا عَلَى رُعْبِي. فَقَالَ الشِّبْلُ لِلْحِمَارِ: إِلَى أَيْنَ أَنْتَ سَائِرٌ. فَقَالَ لَهُ الْحِمَارُ: إِنِّي نَظَرْتُ ابْنَ آدَمَ قَبْلَ إِشْرَاقِ الشَّمْسِ مِنْ بَعِيدٍ. فَفَرَرْتُ هَرَبًا مِنْهُ. وَهَا أَنَا أُرِيدُ أَنْ أَنْطَلِقَ. وَلَمْ أَزَلْ أَجْرِي مِنْ شِدَّةِ خَوْفِي مِنْهُ لَعَلِّي أَجِدُ لِي مَوْضِعًا يَأْوِينِي مِنِ ابْنِ آدَمَ الْغَدَّارِ

فَبَيْنَمَا ذٰلِكَ الْحِمَارُ يَتَحَدَّثُ مَعَ الشِّبْلِ فِي ذٰلِكَ الْكَلَامِ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يُوَدِّعَنَا وَيَرُوحَ إِذْ ظَهَرَتْ لَنَا غَبَرَةٌ. وَنَظَرَ الْحِمَارُ بِعَيْنِهِ إِلَى نَاحِيَةِ الْغَبَرَةِ فَنَهَقَ وَصَاحَ. وَبَعْدَ سَاعَةٍ انْكَشَفَتِ الْغَبَرَةُ عَنْ فَرَسٍ أَدْهَمَ بُغْرَةٍ كَالدِّرْهَمِ. وَذٰلِكَ الْفَرَسُ ظَرِيفُ الْغُرَّةِ مَلِيحُ التَّحْجِيلِ حَسَنُ الْقَوَائِمِ وَالصَّهِيلِ وَلَمْ يَزَلْ يَجْرِي حَتَّى وَقَفَ بَيْنَ يَدَيِ الشِّبْلِ ابْنِ الْأَسَدِ. فَلَمَّا رَآهُ الشِّبْلُ اسْتَعْظَمَهُ وَقَالَ لَهُ: مَا جِنْسُكَ أَيُّهَا الْوَحْشُ الْجَلِيلُ. وَمَا سَبَبُ شُرُودِكَ فِي هٰذَا الْبَرِّ الْعَرِيضِ الطَّوِيلِ.

فَقَالَ لَهُ: يَا سَيِّدَ الْوُحُوشِ. أَنَا فَرَسٌ مِنْ جِنْسِ الْخَيْلِ. وَسَبَبُ شُرُودِي هَرَبِي مِنِ ابْنِ آدَمَ. فَتَعَجَّبَ الشِّبْلُ مِنْ كَلَامِ الْفَرَسِ وَقَالَ لَهُ: لَا تَقُلْ هٰذَا الْكَلَامَ فَإِنَّهُ عَيْبٌ عَلَيْكَ. وَأَنْتَ طَوِيلٌ غَلِيظٌ وَكَيْفَ تَخَافُ مِنِ ابْنِ آدَمَ مَعَ عِظَمِ جُثَّتِكَ. وَسُرْعَةِ جَرْيِكَ. وَأَنَا مَعَ صِغَرِ جِسْمِي قَدْ عَزَمْتُ عَلَى أَنْ أَلْتَقِيَ مَعَ ابْنِ آدَمَ فَأَبْطُشَ بِهِ وَآكُلَ لَحْمَهُ وَأُسَكِّنَ رَوْعَ هٰذِهِ الْبَطَّةِ الْمِسْكِينَةِ وَأُقِرَّهَا فِي وَطَنِهَا. وَهَا أَنْتَ لَمَّا أَتَيْتَ فِي هٰذِهِ السَّاعَةِ قَطَعْتَ قَلْبِي بِكَلَامِكَ وَأَرْجَعْتَنِي عَمَّا أَرَدْتُ أَنْ أَفْعَلَهُ. فَإِذَا كُنْتَ أَنْتَ مَعَ عِظَمِكَ قَدْ قَهَرَكَ ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَخَفْ مِنْ طُولِكَ وَعَرْضِكَ مَعَ أَنَّكَ لَوْ رَفَسْتَهُ بِرِجْلِكَ لَقَتَلْتَهُ وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْكَ بَلْ تَسْقِيهِ كَأْسَ الرَّدَى. فَضَحِكَ الْفَرَسُ لَمَّا سَمِعَ كَلَامَ الشِّبْلِ وَقَالَ: هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ أَنْ أَغْلِبَهُ يَا ابْنَ الْمَلِكِ. فَلَا يَغُرَّكَ طُولِي وَلَا عَرْضِي وَلَا ضَخَامَتِي مَعَ ابْنِ آدَمَ. لِأَنَّهُ مِنْ شِدَّةِ حِيَلِهِ وَمَكْرِهِ يَصْنَعُ لِي شَيْئًا يُقَالُ لَهُ الشِّكَالُ. وَيَضَعُ فِي أَرْبَعِ قَوَائِمِي شِكَالَيْنِ مِنْ حِبَالِ اللِّيفِ الْمَلْفُوفَةِ بِاللِّبَادِ وَيُصَلِّبُنِي مِنْ رَأْسِي فِي وَتِدٍ عَالٍ وَأَبْقَى وَاقِفًا وَأَنَا مَصْلُوبٌ لَا أَقْدِرُ أَنْ أَقْعُدَ وَلَا أَنَامَ. وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْكَبَنِي يَعْمَلُ لِي شَيْئًا فِي رِجْلَيْهِ مِنَ الْحَدِيدِ اسْمُهُ الرِّكَابُ وَيَضَعُ عَلَى ظَهْرِي شَيْئًا يُسَمِّيهِ السَّرْجَ وَيَشُدُّهُ بِحِزَامَيْنِ مِنْ تَحْتِ إِبْطِي وَيَضَعُ فِي فَمِي شَيْئًا مِنَ الْحَدِيدِ يُسَمِّيهِ اللِّجَامَ وَيَضَعُ فِيهِ شَيْئًا مِنَ الْجِلْدِ يُسَمِّيهِ الصِّرْعَ. فَإِذَا رَكِبَ فَوْقَ ظَهْرِي عَلَى السَّرْجِ يُمْسِكُ الصِّرْعَ بِيَدِهِ وَيَقُودُنِي

بِهِ وَيَهْمِزُنِي بِالرِّكَابِ فِي خَوَاصِرِي حَتَّى يُدْمِيَهَا . وَلَا تَسْأَلْ يَا ابْنَ السُّلْطَانِ عَمَّا أُقَاسِيهِ مِنِ ابْنِ آدَمَ . فَإِذَا كَبُرْتُ وَأَنْحَلَ ظَهْرِي وَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى سُرْعَةِ الْجَرْيِ يَبِيعُنِي لِلطَّحَّانِ لِيُدَوِّرَنِي فِي الطَّاحُونِ . فَلَا أَزَالُ دَائِرًا فِيهَا لَيْلًا وَنَهَارًا إِلَى أَنْ أَهْرَمَ فَيَبِيعُنِي لِلْجَزَّارِ فَيَذْبَحُنِي وَيَسْلَخُ جِلْدِي وَيَنْتِفُ ذَنَبِي وَيَبِيعُهُمَا لِلْغَرَابِلِيِّ وَالْمَنَاخِلِيِّ وَيَسْلَأُ شَحْمِي

فَلَمَّا سَمِعَ الشِّبْلُ كَلَامَ الْفَرَسِ ازْدَادَ غَيْظًا وَغَمًّا وَقَالَ لَهُ : مَتَى فَارَقْتَ ابْنَ آدَمَ . قَالَ فَارَقْتُهُ نِصْفَ النَّهَارِ وَهُوَ فِي أَثَرِي . فَبَيْنَمَا الشِّبْلُ يَتَحَدَّثُ مَعَ الْفَرَسِ بِهٰذَا الْكَلَامِ إِذَا بِغَبَرَةٍ ثَارَتْ . وَبَعْدَ ذٰلِكَ انْكَشَفَتِ الْغَبَرَةُ وَبَانَ مِنْ تَحْتِهَا جَمَلٌ هَائِجٌ وَهُوَ يُبْعِبُ وَيَخْبِطُ بِرِجْلَيْهِ فِي الْأَرْضِ وَلَمْ يَزَلْ يَفْعَلُ كَذٰلِكَ حَتَّى وَصَلَ إِلَيْنَا . فَلَمَّا رَآهُ الشِّبْلُ كَبِيرًا غَلِيظًا ظَنَّ أَنَّهُ ابْنُ آدَمَ فَأَرَادَ الْوُثُوبَ عَلَيْهِ . فَقُلْتُ لَهُ : يَا ابْنَ السُّلْطَانِ . إِنَّ هٰذَا مَا هُوَ ابْنُ آدَمَ وَإِنَّمَا هٰذَا جَمَلٌ وَكَأَنَّهُ هَارِبٌ مِنِ ابْنِ آدَمَ . فَبَيْنَمَا أَنَا يَا أُخْتِي مَعَ الشِّبْلِ فِي هٰذَا الْكَلَامِ وَإِذَا بِالْجَمَلِ تَقَدَّمَ بَيْنَ أَيْدِي الشِّبْلِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ . فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ وَقَالَ لَهُ : مَا سَبَبُ مَجِيئِكَ فِي هٰذَا الْمَكَانِ : قَالَ : جِئْتُ هَارِبًا مِنِ ابْنِ آدَمَ : قَالَ لَهُ الشِّبْلُ : وَأَنْتَ مَعَ عِظَمِ خِلْقَتِكَ وَطُولِكَ وَعَرْضِكَ كَيْفَ تَخَافُ مِنِ ابْنِ آدَمَ وَلَوْ رَفَصْتَهُ بِرِجْلِكَ رَفْصَةً لَقَتَلْتَهُ : فَقَالَ لَهُ الْجَمَلُ : يَا ابْنَ السُّلْطَانِ . اعْلَمْ أَنَّ ابْنَ آدَمَ لَهُ دَوَاهٍ لَا تُطَاقُ وَمَا

يَغْلِبُهُ إِلَّا ٱلْمَوْتُ. لِأَنَّهُ يَضَعُ فِي أَنْفِي خَيْطًا وَيُسَمِّيهِ خِزَامًا وَيَجْعَلُ فِي رَأْسِي مِقْوَدًا وَيُسَلِّمُنِي إِلَى أَصْغَرِ أَوْلَادِهِ فَيَجُرُّنِي ٱلْوَلَدُ ٱلصَّغِيرُ بِٱلْخَيْطِ مَعَ كِبَرِي وَعِظَمِي وَيَحْمِلُونِي أَثْقَلَ ٱلْأَحْمَالِ وَيُسَافِرُونَ بِيَ ٱلْأَسْفَارَ ٱلطِّوَالَ وَيَسْتَعْمِلُونَنِي فِي ٱلْأَشْغَالِ ٱلشَّاقَّةِ آنَاءَ ٱللَّيْلِ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ. وَإِذَا كَبُرْتُ وَشِخْتُ أَوِ ٱنْكَسَرْتُ فَلَا يَحْفَظُ صُحْبَتِي بَلْ يَبِيعُنِي لِلْجَزَّارِ فَيَذْبَحُنِي وَيَبِيعُ جِلْدِي لِلدَّبَّاغِينَ وَلَحْمِي لِلطَّبَّاخِينَ. وَلَا تَسْأَلْ عَمَّا أُقَاسِي مِنِ ٱبْنِ آدَمَ. فَقَالَ لَهُ ٱلشِّبْلُ: أَيَّ وَقْتٍ فَارَقْتَ ٱبْنَ آدَمَ. فَقَالَ: فَارَقْتُهُ وَقْتَ ٱلْغُرُوبِ. وَأَظُنُّهُ يَأْتِي عِنْدَ ٱنْصِرَافِي فَلَا يَجِدُنِي فَيَسْعَى فِي طَلَبِي. فَدَعْنِي يَا ٱبْنَ ٱلسُّلْطَانِ حَتَّى أَهُجَّ فِي ٱلْبَرَارِيِّ وَٱلْقِفَارِ. فَقَالَ ٱلشِّبْلُ: تَمَهَّلْ قَلِيلًا يَا جَمَلُ حَتَّى تَنْظُرَ كَيْفَ أَفْتَرِسُهُ وَأُطْعِمُكَ مِنْ لَحْمِهِ وَأُهَشِّمُ عَظْمَهُ وَأَشْرَبُ مِنْ دَمِهِ. فَقَالَ لَهُ ٱلْجَمَلُ: يَا ٱبْنَ ٱلسُّلْطَانِ. أَنَا خَائِفٌ عَلَيْكَ مِنِ ٱبْنِ آدَمَ فَإِنَّهُ مُخَادِعٌ مَاكِرٌ. ثُمَّ أَنْشَدَ قَوْلَ ٱلشَّاعِرِ

إِذَا حَلَّ ٱلثَّقِيلُ بِأَرْضِ قَوْمٍ ... فَمَا لِلسَّاكِنِينَ سِوَى ٱلرَّحِيلِ

فَبَيْنَمَا ٱلْجَمَلُ يَتَحَدَّثُ مَعَ ٱلشِّبْلِ فِي هٰذَا ٱلْكَلَامِ. وَإِذَا بِغَبَرَةٍ طَلَعَتْ وَبَعْدَ سَاعَةٍ ٱنْكَشَفَتْ عَنْ شَيْخٍ قَصِيرٍ رَقِيقِ ٱلْبَشَرَةِ عَلَى كَتِفِهِ مِقْطَفٌ فِيهِ عُدَّةُ نَجَّارٍ وَعَلَى رَأْسِهِ شُعْبَةٌ وَثَمَانِيَةُ أَلْوَاحٍ وَبِيَدِهِ أَقْفَالٌ صِغَارٌ وَهُوَ يَهْرُولُ فِي مَشْيِهِ وَمَا زَالَ يَمْشِي حَتَّى قَرُبَ مِنَ ٱلشِّبْلِ. فَلَمَّا رَأَيْتُهُ يَا أُخْتِي. وَقَعْتُ مِنْ شِدَّةِ

ٱلْخَوْفِ . وَأَمَّا ٱلشِّبْلُ فَإِنَّهُ قَامَ وَتَمَشَّى إِلَيْهِ وَلَاقَاهُ . فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ ضَحِكَ ٱلنَّجَّارُ فِي وَجْهِهِ وَقَالَ لَهُ بِلِسَانٍ فَصِيحٍ : أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ ٱلْجَلِيلُ . صَاحِبُ ٱلْبَاعِ ٱلطَّوِيلِ . أَسْعَدَ ٱللهُ مَسَاءَكَ وَمَسْعَاكَ . وَزَادَ فِي شَجَاعَتِكَ وَقُوَاكَ . أَجِرْنِي مِمَّا دَهَانِي . وَبِشَرِّهِ رَمَانِي . لِأَنِّي مَا وَجَدْتُ لِي نَصِيرًا غَيْرَكَ . ثُمَّ إِنَّ ٱلنَّجَّارَ وَقَفَ بَيْنَ يَدَيِ ٱلْأَسَدِ وَبَكَى . وَأَنَّ وَٱشْتَكَى . فَلَمَّا سَمِعَ ٱلشِّبْلُ بُكَاءَهُ وَشَكْوَاهُ قَالَ لَهُ : أَجَرْتُكَ مِمَّا تَخْشَاهُ . فَمَنِ ٱلَّذِي قَدْ ظَلَمَكَ . وَمَا أَنْتَ تَكُونُ أَيُّهَا ٱلْوَحْشُ . ٱلَّذِي مَا رَأَيْتُ عُمْرِي مِثْلَكَ . وَلَا أَحْسَنَ صُورَةً . وَلَا أَفْصَحَ لِسَانًا مِنْكَ . فَمَا شَأْنُكَ . فَقَالَ لَهُ ٱلنَّجَّارُ : يَا سَيِّدَ ٱلْوُحُوشِ : أَمَّا أَنَا فَنَجَّارٌ : وَأَمَّا ٱلَّذِي ظَلَمَنِي فَإِنَّهُ ٱبْنُ آدَمَ وَفِي صَبَاحِ هٰذِهِ ٱللَّيْلَةِ يَكُونُ عِنْدَكَ فِي هٰذَا ٱلْمَكَانِ . فَلَمَّا سَمِعَ ٱلشِّبْلُ مِنَ ٱلنَّجَّارِ هٰذَا ٱلْكَلَامَ . تَبَدَّلَ ٱلضِّيَاءُ فِي وَجْهِهِ بِٱلظَّلَامِ . وَشَخَرَ وَنَخَرَ وَٱرْتَمَتْ عَيْنَاهُ بِٱلشَّرَرِ . وَصَاحَ وَقَالَ : وَٱللهِ لَأَسْهَرَنَّ فِي هٰذِهِ ٱللَّيْلَةِ إِلَى ٱلصَّبَاحِ . وَلَا أَرْجِعُ إِلَى وَالِدِي حَتَّى أَبْلُغَ مَقْصِدِي : ثُمَّ إِنَّ ٱلشِّبْلَ ٱلْتَفَتَ إِلَى ٱلنَّجَّارِ وَقَالَ لَهُ : إِنِّي أَرَى خُطْوَاتِكَ قَصِيرَةً وَلَا أَقْدِرُ أَنْ أَكْسِرَ بِخَاطِرِكَ لِأَنِّي ذُو مُرُوَّةٍ وَأَظُنُّ أَنَّكَ لَا تَقْدِرُ أَنْ تُمَاشِيَ ٱلْوُحُوشَ . فَأَخْبِرْنِي إِلَى أَيْنَ تَذْهَبُ . فَقَالَ لَهُ ٱلنَّجَّارُ : ٱعْلَمْ أَنَّنِي رَائِحٌ إِلَى وَزِيرِ وَالِدِكَ ٱلْفَهْدِ . لِأَنَّهُ لَمَّا بَلَغَهُ أَنَّ ٱبْنَ آدَمَ دَاسَ هٰذِهِ ٱلْأَرْضَ خَافَ عَلَى نَفْسِهِ خَوْفًا عَظِيمًا وَأَرْسَلَ

إِلَيَّ رَسُولًا مِنَ ٱلْوُحُوشِ لِأَصْنَعَ لَهُ بَيْتًا يَسْكُنُ فِيهِ وَيَأْوِي إِلَيْهِ وَيَمْنَعُ عَنْهُ عَدُوَّهُ حَتَّى لَا يَصِلَ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ بَنِي آدَمَ . فَلَمَّا جَاءَ بِي ٱلرَّسُولُ أَخَذْتُ هٰذِهِ ٱلْأَلْوَاحَ وَتَوَجَّهْتُ إِلَيْهِ . فَلَمَّا سَمِعَ ٱلشِّبْلُ كَلَامَ ٱلنَّجَّارِ أَخَذَهُ ٱلْحَسَدُ لِلْمَهْدِ . فَقَالَ لَهُ : بِحَيَاتِي لَا بُدَّ أَنْ تَصْنَعَ لِي هٰذِهِ ٱلْأَلْوَاحَ بَيْتًا قَبْلَ أَنْ تَصْنَعَ لِلْمَهْدِ بَيْتَهُ . وَإِذَا فَرَغْتَ مِنْ شُغْلِي فَٱمْضِ إِلَى ٱلْمَهْدِ وَٱصْنَعْ لَهُ مَا يُرِيدُ . فَلَمَّا سَمِعَ ٱلنَّجَّارُ مِنَ ٱلشِّبْلِ هٰذَا ٱلْكَلَامَ قَالَ لَهُ : يَا سَيِّدَ ٱلْوُحُوشِ مَا أَقْدِرُ أَنْ أَصْنَعَ لَكَ شَيْئًا إِلَّا إِذَا صَنَعْتُ لِلْمَهْدِ مَا يُرِيدُ . ثُمَّ أَجِيءُ إِلَى خِدْمَتِكَ وَأَصْنَعُ لَكَ بَيْتًا يُحَصِّنُكَ مِنْ عَدُوِّكَ . فَقَالَ لَهُ ٱلشِّبْلُ : وَٱللهِ مَا أُخَلِّيكَ تَرُوحُ مِنْ هٰذَا ٱلْمَكَانِ حَتَّى تَصْنَعَ لِي هٰذِهِ ٱلْأَلْوَاحَ بَيْتًا . ثُمَّ إِنَّ ٱلشِّبْلَ هَمَّ عَلَى ٱلنَّجَّارِ وَوَثَبَ عَلَيْهِ . وَأَرَادَ أَنْ يَمْزَحَ مَعَهُ فَلَطَمَهُ بِيَدِهِ فَرَمَى ٱلْمِقْطَفَ مِنْ عَلَى كَتِفِهِ وَوَقَعَ ٱلنَّجَّارُ مُغْشِيًّا عَلَيْهِ . فَضَحِكَ ٱلشِّبْلُ عَلَيْهِ وَقَالَ لَهُ : وَيْلَكَ يَا نَجَّارُ إِنَّكَ ضَعِيفٌ وَمَا لَكَ قُوَّةٌ فَأَنْتَ مَعْذُورٌ إِذْ خِفْتَ مِنِ ٱبْنِ آدَمَ . فَلَمَّا وَقَعَ ٱلنَّجَّارُ عَلَى ظَهْرِهِ ٱغْتَاظَ غَيْظًا شَدِيدًا وَلٰكِنَّهُ كَتَمَ ذٰلِكَ عَنِ ٱلشِّبْلِ مِنْ خَوْفِهِ مِنْهُ . فَقَعَدَ ٱلنَّجَّارُ عَلَى حَيْلِهِ وَضَحِكَ فِي وَجْهِهِ وَقَالَ لَهُ : هَا أَنَا أَصْنَعُ لَكَ ٱلْبَيْتَ . ثُمَّ إِنَّ ٱلنَّجَّارَ تَنَاوَلَ ٱلْأَلْوَاحَ ٱلَّتِي كَانَتْ مَعَهُ وَسَمَّرَ ٱلْبَيْتَ وَجَعَلَهُ مِثْلَ ٱلْقَالَبِ عَلَى قِيَاسِ ٱلشِّبْلِ وَخَلَّى بَابَهُ مَفْتُوحًا . لِأَنَّهُ جَعَلَهُ عَلَى

صُورَةِ الصُّنْدُوقِ وَفَتَحَ لَهُ طَاقَةً كَبِيرَةً وَجَعَلَ لَهَا غِطَاءً كَبِيرًا وَثَقَبَ فِيهِ ثُقَبًا كَثِيرَةً وَأَخْرَجَ مِنْهَا مَسَامِيرَ مُطَرَّفَةً وَقَالَ لِلشِّبْلِ: اُدْخُلْ فِي هٰذَا الْبَيْتِ مِنْ هٰذِهِ الطَّاقَةِ حَتَّى أَقِيسَهُ عَلَيْكَ: فَفَرِحَ الشِّبْلُ بِذٰلِكَ وَأَتَى إِلَى تِلْكَ الطَّاقَةِ فَرَآهَا ضَيِّقَةً. فَقَالَ لَهُ النَّجَّارُ: اُدْخُلْ وَابْرُكْ عَلَى يَدَيْكَ وَرِجْلَيْكَ: فَفَعَلَ الشِّبْلُ ذٰلِكَ وَدَخَلَ الصُّنْدُوقَ فَبَقِيَ ذَنَبُهُ خَارِجًا فِي آخِرِهِ. فَأَرَادَ الشِّبْلُ أَنْ يَتَأَخَّرَ إِلَى وَرَائِهِ وَيَخْرُجَ. فَقَالَ لَهُ النَّجَّارُ: أَمْهِلْ وَاصْبِرْ حَتَّى أَنْظُرَ هَلْ يَسَعُ ذَنَبَكَ مَعَكَ: فَامْتَثَلَ الشِّبْلُ أَمْرَهُ. ثُمَّ إِنَّ النَّجَّارَ لَفَّ ذَنَبَ الشِّبْلِ وَحَشَاهُ فِي الصُّنْدُوقِ وَرَدَّ اللَّوْحَ عَلَى الطَّاقَةِ سَرِيعًا وَسَمَّرَهُ. فَصَاحَ الشِّبْلُ قَائِلًا: يَا نَجَّارُ مَا هٰذَا الْبَيْتُ الَّذِي صَنَعْتَهُ لِي. دَعْنِي أَخْرُجْ مِنْهُ: فَقَالَ لَهُ النَّجَّارُ: هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ. لَا يَنْفَعُ النَّدَمُ عَلَى مَا فَاتَ. إِنَّكَ لَا تَخْرُجُ مِنْ هٰذَا الْمَكَانِ. ثُمَّ ضَحِكَ النَّجَّارُ وَقَالَ لِلشِّبْلِ: إِنَّكَ وَقَعْتَ فِي الْقَفَصِ وَمَا بَقِيَ لَكَ خَلَاصٌ مِنْ ضِيقِ الْأَقْفَاصِ يَا أَخْبَثَ الْوُحُوشِ: فَقَالَ: يَا أَخِي مَا هٰذَا الْخِطَابُ الَّذِي تُخَاطِبُنِي بِهِ. فَقَالَ لَهُ النَّجَّارُ: اعْلَمْ يَا كَلْبَ الْبَرِّ أَنَّكَ قَدْ وَقَعْتَ فِي مَا كُنْتَ تَخَافُ مِنْهُ وَقَدْ رَمَاكَ الْقَدَرُ وَلَمْ يَنْفَعْكَ الْحَذَرُ. فَلَمَّا سَمِعَ الشِّبْلُ كَلَامَهُ يَا أُخْتِي عَلِمَ أَنَّهُ ابْنُ آدَمَ الَّذِي حَذَّرَهُ مِنْهُ أَبُوهُ فِي الْيَقْظَةِ وَالْهَاتِفُ فِي الْمَنَامِ. وَأَنَا تَحَقَّقْتُ أَنَّهُ هُوَ بِلَا شَكٍّ وَلَا رَيْبٍ وَخِفْتُ مِنْهُ عَلَى نَفْسِي خَوْفًا عَظِيمًا وَبَعُدْتُ عَنْهُ قَلِيلًا وَصِرْتُ أَنْتَظِرُ مَاذَا يَفْعَلُ بِالشِّبْلِ. فَرَأَيْتُ

يَا أُخْتِي ٱبْنَ آدَمَ حَفَرَ حُفْرَةً فِي ذٰلِكَ ٱلْمَكَانِ بِٱلْقُرْبِ مِنَ ٱلصُّنْدُوقِ ٱلَّذِي فِيهِ ٱلسَّبَلُ وَرَمَاهُ فِي تِلْكَ ٱلْحُفْرَةِ وَأَلْقَى عَلَيْهِ ٱلْحَطَبَ وَأَحْرَقَهُ بِٱلنَّارِ . فَكُبْرَ يَا أُخْتِي خَوْفِي وَلِي يَوْمَانِ وَأَنَا هَارِبَةٌ مِنِ ٱبْنِ آدَمَ وَخَائِفَةٌ مِنْهُ

فَلَمَّا سَمِعَتِ ٱلطَّاوُوسَةُ مِنَ ٱلْبَطَّةِ هٰذَا ٱلْكَلَامَ . تَعَجَّبَتْ مِنْهُ غَايَةَ ٱلْعَجَبِ وَقَالَتْ : يَا أُخْتِي . إِنَّكِ آمِنَةٌ مِنِ ٱبْنِ آدَمَ . لِأَنَّنَا فِي جَزِيرَةٍ مِنْ جَزَائِرِ ٱلْبَحْرِ . لَيْسَ لِٱبْنِ آدَمَ فِيهَا مَسْلَكٌ . فَٱخْتَارِي ٱلْمُقَامَ عِنْدَنَا إِلَى أَنْ يُسَهِّلَ ٱللّٰهُ أَمْرَكِ وَأَمْرَنَا : قَالَتْ : إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَطْرُقَنِي طَارِقٌ . وَٱلْقَضَاءُ لَا يَنْفَكُّ عَنْهُ آبِقٌ . فَقَالَتْ : ٱقْعُدِي عِنْدَنَا . وَأَنْتِ مِثْلُنَا . وَمَا زَالَتْ بِهَا حَتَّى قَعَدَتْ وَقَالَتْ . يَا أُخْتِي أَنْتِ تَعْلَمِينَ قِلَّةَ صَبْرِي . وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُكِ هُنَا مَا كُنْتُ قَعَدْتُ . فَقَالَتِ ٱلطَّاوُوسَةُ : إِنْ كَانَ عَلَى جِبِلَّتِنَا شَيْءٌ نَسْتَوْفِيهِ وَإِنْ كَانَ دَنَا أَجَلُنَا فَمَنْ يُخَلِّصُنَا . وَلَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا وَأَجَلَهَا . فَبَيْنَمَا هُمَا فِي هٰذَا ٱلْكَلَامِ . إِذْ طَلَعَتْ عَلَيْهِمَا غَبَرَةٌ . فَعِنْدَ ذٰلِكَ صَاحَتِ ٱلْبَطَّةُ وَنَزَلَتْ فِي ٱلْبَحْرِ . وَقَالَتِ : ٱلْحَذَرَ ٱلْحَذَرَ . وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَفَرٌّ مِنَ ٱلْقَضَاءِ وَٱلْقَدَرِ : فَبَعْدَ سَاعَةٍ ٱنْكَشَفَتِ ٱلْغَبَرَةُ وَبَانَ مِنْ تَحْتِهَا ظَبْيٌ . فَٱطْمَأَنَّتِ ٱلْبَطَّةُ وَٱلطَّاوُوسَةُ . ثُمَّ قَالَتْ لِلْبَطَّةِ : يَا أُخْتِي إِنَّ ٱلَّذِي بَصُرْتِ وَحَذِرْتِ مِنْهُ ظَبْيٌ وَهَا هُوَ قَدْ أَقْبَلَ نَحْوَنَا . فَلَيْسَ عَلَيْنَا مِنْهُ بَأْسٌ لِأَنَّ ٱلظَّبْيَ إِنَّمَا يَأْكُلُ ٱلْحَشَائِشَ مِنْ نَبَاتِ ٱلْأَرْضِ . وَكَمَا أَنْتِ

مِنْ جِنْسِ ٱلطَّيْرِ هُوَ ٱلْآخَرُ مِنْ جِنْسِ ٱلْوُحُوشِ . فَٱطْمَئِنِّي وَلَا تَهْتَمِّي . فَإِنَّ ٱلْهَمَّ يُنْحِلُ ٱلْبَدَنَ : فَلَمْ تُتِمَّ ٱلطَّاوُسَةُ كَلَامَهَا حَتَّى وَصَلَ ٱلظَّبْيُ إِلَيْهِمَا . يَسْتَظِلُّ تَحْتَ ظِلِّ شَجَرَةٍ . فَلَمَّا رَأَى ٱلطَّاوُسَةَ وَٱلْبَطَّةَ سَلَّمَ عَلَيْهِمَا وَقَالَ لَهُمَا : إِنِّي دَخَلْتُ إِلَى هٰذِهِ ٱلْجَزِيرَةِ ٱلْيَوْمَ فَلَمْ أَرَ أَكْثَرَ مِنْهَا خِصْبًا وَلَا أَحْسَنَ مِنْهَا مَسْكَنًا . ثُمَّ دَعَاهُمَا لِرُفَاقَتِهِ وَمُصَافَاتِهِ . فَلَمَّا رَأَتِ ٱلْبَطَّةُ وَٱلطَّاوُسَةُ تَوَدُّدَهُ إِلَيْهِمَا أَقْبَلَتَا عَلَيْهِ وَرَغِبَتَا فِي عِشْرَتِهِ . فَتَصَادَقُوا وَتَحَالَفُوا عَلَى ذٰلِكَ وَصَارَ مَبِيتُهُمْ وَاحِدًا وَمَأْكَلُهُمْ وَمَشْرَبُهُمْ سَوَاءً . وَلَمْ يَزَالُوا آمِنِينَ آكِلِينَ شَارِبِينَ حَتَّى مَرَّتْ بِهِمْ سَفِينَةٌ كَانَتْ تَائِهَةً فِي ٱلْبَحْرِ . فَأَرْسَتْ قَرِيبًا مِنْهُمْ فَطَلَعَ ٱلنَّاسُ وَتَفَرَّقُوا فِي ٱلْجَزِيرَةِ فَرَأَوُا ٱجْتِمَاعَ ٱلظَّبْيِ وَٱلطَّاوُسَةِ وَٱلْبَطَّةِ فَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ . فَلَمَّا رَأَتْهُمُ ٱلطَّاوُسَةُ صَعِدَتْ إِلَى ٱلشَّجَرَةِ ثُمَّ طَارَتْ فِي ٱلْجَوِّ وَشَرَدَ ٱلظَّبْيُ فِي ٱلْبَرِّيَّةِ فَبَقِيَتِ ٱلْبَطَّةُ مُخَبَّلَةً . وَلَمْ يَزَالُوا بِهَا حَتَّى صَادُوهَا وَصَاحَتْ قَائِلَةً : لَمْ يَنْفَعْنِي ٱلْحَذَرُ مِنَ ٱلْقَضَاءِ وَٱلْقَدَرِ . وَٱنْصَرَفُوا بِهَا إِلَى سَفِينَتِهِمْ . فَلَمَّا رَأَتِ ٱلطَّاوُسَةُ مَا جَرَى لِلْبَطَّةِ ٱرْتَحَلَتْ مِنَ ٱلْجَزِيرَةِ وَقَالَتْ : لَا أَرَى ٱلْآفَاتِ إِلَّا مُرَاصِدَةً لِكُلِّ أَحَدٍ وَلَوْلَا هٰذِهِ ٱلسَّفِينَةُ مَا حَصَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ هٰذِهِ ٱلْبَطَّةِ ٱفْتِرَاقٌ . وَلَقَدْ كَانَتْ مِنْ خِيَارِ ٱلْأَصْدِقَاءِ : ثُمَّ طَارَتِ ٱلطَّاوُسَةُ وَٱجْتَمَعَتْ بِٱلظَّبْيِ فَسَلَّمَ عَلَيْهَا وَهَنَّأَهَا بِٱلسَّلَامَةِ وَسَأَلَهَا عَنِ ٱلْبَطَّةِ . فَقَالَتْ لَهُ : أَخَذَهَا ٱلْعَدُوُّ

وَكَرِهْتُ ٱلْمُقَامَ فِي تِلْكَ ٱلْجَزِيرَةِ بَعْدَهَا . ثُمَّ بَكَتْ عَلَى فِرَاقِ ٱلْبَطَّةِ وَأَنْشَدَتْ تَقُولُ :

إِنَّ يَوْمَ ٱلْفِرَاقِ قَطَّعَ قَلْبِي قَطَّعَ ٱللهُ قَلْبَ يَوْمِ ٱلْفِرَاقِ

ثُمَّ قَالَتْ أَيْضًا هٰذَا ٱلْبَيْتَ :

تَمَنَّيْتُ ٱلْوِصَالَ يَعُودُ يَوْمًا لِأُخْبِرَهُ بِمَا صَنَعَ ٱلْفِرَاقُ

فَأَغْتَمَّ ٱلظَّبْيُ غَمًّا شَدِيدًا وَرَدَّ عَزْمَ ٱلطَّاوُوسَةِ عَنِ ٱلرَّحِيلِ فَأَقَامَتْ مَعَ ٱلظَّبْيِ آمِنَيْنِ آكِلَيْنِ شَارِبَيْنِ . غَيْرَ أَنَّهُمَا لَمْ يَزَالَا حَزِينَيْنِ عَلَى فِرَاقِ ٱلْبَطَّةِ . فَقَالَ ٱلظَّبْيُ لِلطَّاوُوسَةِ : يَا أُخْتِي . قَدْ عَلِمْتِ أَنَّ ٱلنَّاسَ ٱلَّذِينَ طَلَعُوا لَنَا مِنَ ٱلْمَرْكَبِ كَانُوا سَبَبًا لِفِرَاقِنَا وَلِهَلَاكِ ٱلْبَطَّةِ فَٱحْذَرِيهِمْ وَٱحْتَرِسِي مِنْهُمْ وَمِنْ مَكْرِ بَنِي آدَمَ وَخِدَاعِهِ . قَالَتْ : قَدْ عَلِمْتُ يَقِينًا أَنْ مَا قَتَلَهَا غَيْرُ تَرْكِهَا ٱلتَّسْبِيحَ وَلَقَدْ قُلْتُ لَهَا : إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكِ مِنْ تَرْكِكِ ٱلتَّسْبِيحَ . لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ٱللهُ يُسَبِّحُهُ . فَإِنْ غَفَلَ عَنِ ٱلتَّسْبِيحِ عُوقِبَ بِهَلَاكِهِ . فَلَمَّا سَمِعَ ٱلظَّبْيُ كَلَامَ ٱلطَّاوُوسَةِ قَالَ : أَحْسَنَ ٱللهُ صُورَتَكِ . وَأَقْبَلَ عَلَى ٱلتَّسْبِيحِ لَا يَفْتُرُ عَنْهُ سَاعَةً . وَقَدْ قِيلَ : إِنَّ تَسْبِيحَ ٱلظَّبْيِ . سُبْحَانَ ٱلدَّيَّانِ ذِي ٱلْجَبَرُوتِ وَٱلسُّلْطَانِ

حِكَايَةُ ٱلطُّيُورِ

زَعَمُوا أَنَّ طَيْرًا مِنَ ٱلطُّيُورِ . طَارَ وَعَلَا إِلَى ٱلْجَوِّ . ثُمَّ أَنْقَضَّ عَلَى صَخْرَةٍ فِي وَسَطِ ٱلْمَاءِ وَكَانَ ٱلْمَاءُ جَارِيًا . فَبَيْنَمَا ٱلطَّائِرُ وَاقِفٌ

إِذَا هُوَ بِرِمَّةِ إِنْسَانٍ جَرَّهَا ٱلْمَاءُ حَتَّى أَسْنَدَهَا إِلَى تِلْكَ ٱلصَّخْرَةِ وَقَدِ ٱنْتَفَخَتْ وَٱرْتَفَعَتْ . فَدَنَا مِنْهَا طَيْرُ ٱلْمَاءِ وَتَأَمَّلَهَا فَرَآهَا بِرِمَّةِ ٱبْنِ آدَمَ فَوَجَدَ فِيهَا ضَرْبَ سُيُوفٍ وَطَعْنَ رِمَاحٍ . فَقَالَ طَيْرُ ٱلْمَاءِ فِي نَفْسِهِ : أَظُنُّ أَنَّ هٰذَا ٱلْمَقْتُولَ كَانَ شِرِّيرًا فَٱجْتَمَعَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ فَقَتَلُوهُ وَٱسْتَرَاحُوا مِنْهُ وَمِنْ شَرِّهِ . وَلَمْ يَزَلْ طَيْرُ ٱلْمَاءِ حَائِرًا وَهُوَ يَتَعَجَّبُ . فَبَيْنَمَا هُوَ كَذٰلِكَ إِذَا بِنُسُورٍ وَعِقْبَانٍ أَحَاطُوا بِتِلْكَ ٱلْجِيفَةِ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهَا . فَلَمَّا رَأَى ذٰلِكَ طَيْرُ ٱلْمَاءِ جَزِعَ جَزَعًا شَدِيدًا وَقَالَ : لَا صَبْرَ لِي عَلَى ٱلْإِقَامَةِ فِي هٰذَا ٱلْمَكَانِ . ثُمَّ طَارَ مِنْهُ يُفَتِّشُ عَلَى مَوْضِعٍ يَأْوِيهِ إِلَى حِينِ تَنْفَدُ تِلْكَ ٱلْجِيفَةُ وَتَرُوحُ سِبَاعُ ٱلطُّيُورِ عَنْهَا . وَلَمْ يَزَلْ طَائِرًا حَتَّى وَجَدَ نَهْرًا فِي وَسَطِهِ شَجَرَةٌ . فَنَزَلَ عَلَيْهَا مُتَغَيِّرًا كَئِيبًا حَزِينًا عَلَى فِرَاقِ وَطَنِهِ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ : مَا زَالَتِ ٱلْأَحْزَانُ تَتْبَعُنِي وَكُنْتُ قَدِ ٱسْتَرَحْتُ لَمَّا رَأَيْتُ تِلْكَ ٱلْجِيفَةَ وَفَرِحْتُ بِهَا فَرَحًا شَدِيدًا وَقُلْتُ : هٰذَا رِزْقٌ سَاقَهُ ٱللّٰهُ إِلَيَّ . فَصَارَ فَرَحِي غَمًّا وَسُرُورِي حُزْنًا وَهَمًّا . فَأَخَذَتْهَا وَٱفْتَرَسَتْهَا سِبَاعُ ٱلطُّيُورِ مِنِّي وَحَالُوا بَيْنِي وَبَيْنَهَا . فَكَيْفَ أَرْجُو أَنْ أَكُونَ سَالِمًا فِي هٰذِهِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْكَدَرِ وَأَطْمَئِنُّ إِلَيْهَا . وَقَدْ قِيلَ فِي ٱلْمَثَلِ : ٱلدُّنْيَا دَارُ مَنْ لَا دَارَ لَهُ يَغْتَرُّ بِهَا مَنْ لَا عَقْلَ لَهُ . وَيَطْمَئِنُّ إِلَيْهَا بِمَالِهِ وَقَوْمِهِ وَعَشِيرَتِهِ . وَلَمْ يَزَلِ ٱلْمُغْتَرُّ بِهَا رَاكِنًا إِلَيْهَا يَخْتَالُ فَوْقَ ٱلْأَرْضِ حَتَّى يَصِيرَ تَحْتَهَا وَيَحْثُو عَلَيْهِ ٱلتُّرَابَ أَعَزُّ ٱلنَّاسِ إِلَيْهِ وَأَقْرَبُهُمْ لَدَيْهِ . وَمَا لِلْفَتَى خَيْرٌ مِنَ ٱلصَّبْرِ

عَلَى هُمُومِهَا وَمَكَارِهِهَا . وَقَدْ فَارَقْتُ مَكَانِي وَوَطَنِي وَكُنْتُ كَارِهًا بِفُرْقَةِ: إِخْوَانِي وَأَحِبَّائِي وَخُلَّانِي

فَبَيْنَمَا هُوَ فِي فِكْرَتِهِ إِذَا بِذَكَرٍ مِنَ السَّلَاحِفِ أَقْبَلَ مُنْحَدِرًا فِي الْمَاءِ وَدَنَا مِنْ طَيْرِ الْمَاءِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَقَالَ: يَا سَيِّدِي مَا الَّذِي حَجَبَكَ وَأَبْعَدَكَ عَنْ مَوْضِعِكَ: قَالَ: حُلُولُ الْأَعْدَاءِ فِيهِ وَلَا صَبْرَ لِلْعَاقِلِ عَلَى مُجَاوَرَةِ عَدُوِّهِ . وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ بَعْضِ الشُّعَرَاءِ

إِذَا حَلَّ الثَّقِيلُ بِأَرْضِ قَوْمٍ ... فَمَا لِلسَّاكِنِينَ سِوَى الرَّحِيلِ

فَقَالَ لَهُ الْغَيْلَمُ: إِنْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا وَصَفْتَهُ وَالْحَالُ مِثْلَ مَا ذَكَرْتَهُ . فَأَنَا لَا أَزَالُ بَيْنَ يَدَيْكَ وَلَا أُفَارِقُكَ لِأَقْضِيَ لَكَ حَاجَتَكَ وَأَفِي بِخِدْمَتِكَ . فَإِنَّهُ قِيلَ: لَا وَحْشَةَ أَشَدُّ مِنْ وَحْشَةِ الْغَرِيبِ الْمُنْقَطِعِ عَنْ أَهْلِهِ وَوَطَنِهِ . وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ فُرْقَةَ الصَّالِحِينَ لَا يَعْدِلُهَا شَيْءٌ مِنَ الْمَصَائِبِ . وَأَحْسَنُ مَا يُسَلِّي بِهِ الْعَاقِلُ نَفْسَهُ الِاسْتِئْنَاسُ فِي الْغُرْبَةِ وَالصَّبْرُ عَلَى الرَّزِيَّةِ وَالْكُرْبَةِ . وَأَرْجُو أَنْ تَحْمَدَ صُحْبَتِي مَعَكَ . وَأَكُونَ لَكَ خَادِمًا وَمُعِينًا . فَلَمَّا سَمِعَ طَيْرُ الْمَاءِ مَقَالَةَ الْغَيْلَمِ قَالَ لَهُ: لَقَدْ صَدَقْتَ فِي قَوْلِكَ . وَلَعَمْرِي إِنِّي وَجَدْتُ لِلْفِرَاقِ أَلَمًا وَغَمًّا مُدَّةَ بُعْدِي عَنْ مَكَانِي وَفِرَاقِي لِإِخْوَانِي وَخُلَّانِي لِأَنَّ فِي الْفِرَاقِ عِبْرَةً لِمَنِ اعْتَبَرَ وَفِكْرَةً لِمَنْ تَفَكَّرَ . وَإِذَا لَمْ يَجِدِ الْفَتَى مَنْ يُسَلِّيهِ مِنَ الْأَصْحَابِ يَنْقَطِعُ عَنْهُ الْخَيْرُ أَبَدًا وَيَثْبُتُ الشَّرُّ سَرْمَدًا . وَلَيْسَ لِلْعَاقِلِ إِلَّا التَّسَلِّي بِالْإِخْوَانِ عَنِ الْهُمُومِ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ . وَمُلَازَمَةُ الصَّبْرِ وَالتَّجَلُّدِ .

فَإِنَّهُمَا خَصْلَتَانِ مَحْمُودَتَانِ . يُعِينَانِ عَلَى ٱلْمُصِيبَةِ وَنَوَائِبِ ٱلدَّهْرِ .
وَيَدْفَعَانِ ٱلْفَزَعَ وَٱلْجَزَعَ فِي كُلِّ أَمْرٍ . فَقَالَ لَهُ ٱلْغَيْلَمُ : إِيَّاكَ وَٱلْجَزَعَ .
فَإِنَّهُ يُفْسِدُ عَلَيْكَ عَيْشَكَ . وَيُذْهِبُ مُرُوَّتَكَ : وَمَا زَالَا يَتَحَدَّثَانِ مَعَ
بَعْضِهِمَا إِلَى أَنْ قَالَ طَيْرُ ٱلْمَاءِ لِلْغَيْلَمِ : أَنَا لَمْ أَزَلْ أَخْشَى نَوَائِبَ
ٱلزَّمَانِ وَطَوَارِقَ ٱلْحِدْثَانِ . فَلَمَّا سَمِعَ ٱلْغَيْلَمُ مَقَالَةَ طَيْرِ ٱلْمَاءِ أَقْبَلَ
عَلَيْهِ وَقَبَّلَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَقَالَ لَهُ : لَمْ تَزَلْ جَمَاعَةُ ٱلطَّيْرِ تَتَبَرَّكُ بِكَ
وَتَعْرِفُ فِي مَشُورَتِكَ ٱلْخَيْرَ . فَكَيْفَ تَحْمِلُ ٱلْهَمَّ وَٱلضَّيْرَ . وَلَمْ يَزَلْ
يُسَكِّنُ رَوْعَ طَيْرِ ٱلْمَاءِ حَتَّى ٱطْمَأَنَّ . ثُمَّ إِنَّ طَيْرَ ٱلْمَاءِ طَارَ إِلَى
مَكَانِ ٱلْجِيفَةِ . فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ لَمْ يَرَ مِنْ سِبَاعِ ٱلطَّيْرِ شَيْئًا .
وَلَا مِنْ تِلْكَ ٱلْجِيفَةِ إِلَّا عِظَامًا فَرَجَعَ وَأَخْبَرَ ٱلْغَيْلَمَ بِزَوَالِ ٱلْعَدُوِّ
مِنْ مَكَانِهِ وَقَالَ لَهُ : ٱعْلَمْ أَنِّي أُحِبُّ ٱلرُّجُوعَ إِلَى مَكَانِي لِأَتَمَلَّى
بِخُلَّانِي . فَإِنَّهُ لَا صَبْرَ لِلْعَاقِلِ عَلَى فِرَاقِ وَطَنِهِ . فَأْتِيَا إِلَى ذٰلِكَ
ٱلْمَكَانِ فَلَمْ يَجِدَا شَيْئًا مِمَّا يَخَافَانِ مِنْهُ فَأَنْشَدَ طَيْرُ ٱلْمَاءِ يَقُولُ :

وَرُبَّ نَازِلَةٍ يَضِيقُ لَهَا ٱلْفَتَى ذَرْعًا وَعِنْدَ ٱللّٰهِ مِنْهَا ٱلْمَخْرَجُ
ضَاقَتْ فَلَمَّا ٱسْتَحْكَمَتْ حَلَقَاتُهَا فُرِجَتْ وَكُنْتُ أَظُنُّهَا لَا تُفْرَجُ

ثُمَّ إِنَّهُمَا سَكَنَا فِي تِلْكَ ٱلْجَزِيرَةِ . فَبَيْنَمَا طَيْرُ ٱلْمَاءِ مَسْرُورٌ آمِنٌ .
إِذْ سَاقَ ٱلْقَضَاءُ إِلَيْهِ بَازِيًا جَائِعًا . فَضَرَبَهُ بِمِخْلَبِهِ فِي بَطْنِهِ ضَرْبَةً
فَقَتَلَهُ وَلَمْ يُغْنِ عَنْهُ ٱلْحَذَرُ عِنْدَ فَرَاغِ ٱلْأَجَلِ . وَسَبَبُ قَتْلِهِ غَفْلَتُهُ
عَنِ ٱلتَّسْبِيحِ . قِيلَ إِنَّ تَسْبِيحَهُ سُبْحَانَ رَبِّنَا فِي مَا قَدَّرَ وَدَبَّرَ .

سُبْحَانَ رَبِّنَا فِي مَا أَغْنَى وَأَفْقَرَ . هٰذَا مَا كَانَ مِنْ حَدِيثِ طَيْرِ الْمَاءِ وَجَوَارِحِ الطُّيُورِ

الدُّرَّاجُ وَالسَّلَاحِفُ

وَهُوَ مَثَلُ مَنْ رَضِيَ بِاللَّذَّةِ الْيَسِيرَةِ فَهَلَكَ

حُكِيَ أَنَّ سَلَاحِفَ كَانَتْ فِي جَزِيرَةٍ مِنَ الْجَزَائِرِ . وَكَانَتْ تِلْكَ الْجَزِيرَةُ ذَاتَ أَشْجَارٍ وَأَثْمَارٍ وَأَنْهَارٍ . فَاتَّفَقَ أَنَّ دُرَّاجًا اجْتَازَ بِهَا يَوْمًا . وَقَدْ أَصَابَهُ الْحَرُّ وَالتَّعَبُ . فَلَمَّا أَضَرَّ بِهِ ذٰلِكَ حَطَّ مِنْ طَيَرَانِهِ فِي تِلْكَ الْجَزِيرَةِ الَّتِي بِهَا تِلْكَ السَّلَاحِفُ . فَلَمَّا رَأَى السَّلَاحِفَ الْتَجَأَ إِلَيْهَا وَنَزَلَ عِنْدَهَا . وَكَانَتِ السَّلَاحِفُ تَرْعَى فِي جِهَاتِ الْجَزِيرَةِ . ثُمَّ تَرْجِعُ إِلَى مَكَانِهَا . فَلَمَّا رَجَعَتْ مِنْ مَسَارِحِهَا إِلَى مَكَانِهَا . رَأَتِ الدُّرَّاجَ فِيهِ . فَلَمَّا رَأَتْهُ أَعْجَبَهَا وَزَيَّنَهُ اللّٰهُ لَهَا . فَسَبَّحَتْ خَالِقَهَا وَأَحَبَّتْ هٰذَا الدُّرَّاجَ حُبًّا شَدِيدًا وَفَرِحَتْ بِهِ . ثُمَّ قَالَ بَعْضُهَا لِبَعْضٍ : لَا شَكَّ أَنَّ هٰذَا مِنْ أَحْسَنِ الطُّيُورِ . فَصَارَتْ كُلُّهَا تُلَاطِفُهُ وَتَنْجَنِحُ إِلَيْهِ . فَلَمَّا رَأَى مِنْهَا عَيْنَ الْمَحَبَّةِ مَالَ إِلَيْهَا وَاسْتَأْنَسَ بِهَا . وَصَارَ يَطِيرُ إِلَى أَيِّ جِهَةٍ أَرَادَ . وَعِنْدَ الْمَسَاءِ يَرْجِعُ إِلَى الْمَبِيتِ عِنْدَهَا . فَإِذَا أَصْبَحَ الصَّبَاحُ يَطِيرُ إِلَى حَيْثُ أَرَادَ وَصَارَتْ هٰذِهِ عَادَتَهُ . وَاسْتَمَرَّ عَلَى هٰذِهِ الْحَالِ مُدَّةً مِنَ الزَّمَانِ . فَلَمَّا رَأَتِ السَّلَاحِفُ أَنَّ غِيَابَهُ عَنْهَا يُوحِشُهَا وَتَحَقَّقَتْ أَنَّهَا لَا تَرَاهُ إِلَّا فِي اللَّيْلِ . وَإِذَا أَصْبَحَ طَارَ مُبَادِرًا وَلَا تَشْعُرُ بِهِ مَعَ زِيَادَةِ حُبِّهَا لَهُ قَالَ بَعْضُهَا : إِنَّ هٰذَا الدُّرَّاجَ قَدْ أَحْبَبْنَاهُ

وصار لنا صديقا. وما بقي لنا قدرة على فراقه. فما يكون من الحيلة الموصلة إلى إقامته عندنا دائما. لأنه إذا طار يغيب عنا النهار كله ولا نراه إلا في الليل. فأشارت عليها واحدة قائلة: استرحن يا أخواتي وأنا أجعله لا يفارقنا طرفة عين. فقال لها الجميع: إن فعلت ذلك كنا لك كلنا عبيدا

فلما حضر الدراج من مسرحه وجلس بينهما تقربت منه السلحفاء المحتالة ودعت له وهنأته بالسلامة وقالت له: يا سيدي اعلم أن الله قد رزقك منا المحبة وكذلك أودع قلبك محبتنا وصرت لنا في هذا القفر أنيسا وأحسن أوقات المحبين إذا كانوا مجتمعين والبلاء العظيم في البعد والفراق. ولكنك تتركنا عند طلوع الفجر ولم تعد إلينا إلا عند الغروب فيصير عندنا وحشة زائدة. وقد شق علينا ذلك كثيرا ونحن في وجد عظيم بهذا السبب. فقال لها الدراج: نعم أنا عندي محبة لكن واشتياق عظيم إليكن زيادة على ما عندكن وفراقكن ليس سهلا عندي. لكن ما بيدي حيلة في ذلك لكوني طيرا بأجنحة فلا يمكنني المقام معكن دائما لأن هذا ليس من طبعي. فإن الطير ذا الأجنحة ليس له مستقر إلا في الليل لأجل النوم. وإذا أصبح طار وسرح في أي موضع أعجبه. فقالت له السلحفاة: صدقت ولكن ذو الأجنحة في غالب الأوقات لا راحة له لكونه لا ينال

مِنَ الْخَيْرِ رُبْعُ مَا يَحْصُلُ لَهُ مِنَ الْمَشَقَّةِ وَغَايَةُ الْمَقْصُودِ لِلشَّخْصِ الرَّفَاهِيَةُ وَالرَّاحَةُ . وَنَحْنُ قَدْ جَعَلَ اللهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ الْمَحَبَّةَ وَالْأُلْفَةَ وَنَخْشَى عَلَيْكَ مِمَّنْ يَصْطَادُكَ مِنْ أَعْدَائِكَ فَتَهْلِكُ وَنُحْرَمُ مِنْ رُؤْيَةِ وَجْهِكَ

فَأَجَابَهَا الدُّرَّاجُ قَائِلًا : صَدَقْتِ . وَلٰكِنْ مَا عِنْدَكِ مِنَ الرَّأْيِ وَالْحِيلَةِ فِي أَمْرِي . فَقَالَتْ لَهُ : الرَّأْيُ عِنْدِي أَنْ تَنْتِفَ سَوَاعِدَكَ الَّتِي تُسْرِعُ بِطَيَرَانِكَ وَتَقْعُدَ عِنْدَنَا مُسْتَرِيحًا وَتَأْكُلَ مِنْ أَكْلِنَا وَتَشْرَبَ مِنْ شُرْبِنَا فِي هٰذِهِ الْمَسْرَحَةِ الْكَثِيرَةِ الْأَشْجَارِ الْيَانِعَةِ الْأَثْمَارِ وَنُقِيمَ نَحْنُ وَأَنْتَ فِي هٰذَا الْمَوْضِعِ الْمُخْصِبِ وَيَتَمَتَّعَ كُلٌّ مِنَّا بِصَاحِبِهِ . فَمَالَ الدُّرَّاجُ إِلَى قَوْلِهَا وَقَصَدَ الرَّاحَةَ لِنَفْسِهِ . ثُمَّ نَتَفَ رِيشَهُ وَاحِدَةً بَعْدَ وَاحِدَةٍ حُكْمَ مَا اسْتَحْسَنَهُ مِنْ رَأْيِ السُّلَحْفَاءِ وَاسْتَقَرَّ عِنْدَهُنَّ عَائِشًا مَعَهُنَّ وَرَضِيَ بِاللَّذَّةِ الْيَسِيرَةِ وَالطَّرَبِ الزَّائِلِ

فَبَيْنَمَا هُنَّ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ إِذَا بِابْنِ عِرْسٍ قَدْ مَرَّ فَرَمَقَهُ بِعَيْنِهِ وَتَأَمَّلَهُ فَرَآهُ مَنْصُوصَ الْجَنَاحِ لَا يَسْتَطِيعُ النُّهُوضَ . فَلَمَّا رَآهُ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ فَرِحَ فَرَحًا شَدِيدًا وَقَالَ فِي نَفْسِهِ : إِنَّ هٰذَا الدُّرَّاجَ سَمِينُ اللَّحْمِ قَلِيلُ الرِّيشِ . ثُمَّ دَنَا مِنْهُ ابْنُ عِرْسٍ وَافْتَرَسَهُ . فَصَاحَ الدُّرَّاجُ وَطَابَ النَّجْدَةَ مِنَ السَّلَاحِفِ فَلَمْ يَنْجُدْنَهُ بَلْ تَبَاعَدْنَ عَنْهُ وَانْكَمَشْنَ فِي بَعْضِهِنَّ . لَمَّا رَأَيْنَ ابْنَ عِرْسٍ قَابِضًا عَلَيْهِ . وَحَيْثُ رَأَيْنَ ابْنَ عِرْسٍ

يُعَدِّدُ بِهِ خَنَقَهُنَّ ٱلْبُكَاءُ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُنَّ ٱلدُّرَّاجُ : هَلْ عِنْدَكُنَّ شَيْءٌ غَيْرُ ٱلْبُكَاءِ . فَقُلْنَ لَهُ : يَا أَخَانَا لَيْسَ لَنَا قُوَّةٌ وَلَا طَاقَةٌ وَلَا حِيلَةٌ فِي أَمْرِ ٱبْنِ عِرْسٍ . فَحَزِنَ ٱلدُّرَّاجُ عِنْدَ ذٰلِكَ وَقَطَعَ ٱلرَّجَاءَ مِنْ حَيَاةِ نَفْسِهِ وَقَالَ لَهُنَّ : لَيْسَ لَكُنَّ ذَنْبٌ إِنَّمَا ٱلذَّنْبُ لِي حَيْثُ أَطَعْتُكُمْ وَنَتَفْتُ أَجْنِحَتِي ٱلَّتِي أَطِيرُ بِهَا . فَأَنَا أَسْتَحِقُّ ٱلْهَلَاكَ لِمُطَاوَعَتِي لَكُنَّ وَلَا أَلُومُكُنَّ فِي شَيْءٍ

أَلثَّعَالِبُ وَٱلذِّئْبُ

وَهُوَ مَثَلُ مَنْ لَمْ يَعْدِلْ فِي تَحَكُّمِهِ . فَتَكُونُ عَاقِبَتُهُ ٱلْبَوَارَ

زَعَمُوا أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ ٱلثَّعَالِبِ . خَرَجُوا ذَاتَ يَوْمٍ يَطْلُبُونَ مَا يَأْكُلُونَ . فَبَيْنَمَا هُمْ يَجُولُونَ فِي طَلَبِ ذٰلِكَ . إِذَا هُمْ بِجَمَلٍ مَيِّتٍ . فَقَالُوا فِي أَنْفُسِهِمْ : قَدْ وَجَدْنَا مَا نَعِيشُ بِهِ زَمَانًا طَوِيلًا . وَلٰكِنْ نَخَافُ أَنْ يَبْغِيَ بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ . وَيَمِيلَ ٱلْقَوِيُّ بِقُوَّتِهِ عَلَى ٱلضَّعِيفِ . فَيَهْلِكَ ٱلضَّعِيفُ مِنَّا . فَيَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَطْلُبَ حَكَمًا يَحْكُمُ بَيْنَنَا وَنَجْعَلَ لَهُ نَصِيبًا فَلَا يَكُونَ لِلْقَوِيِّ سُلْطَةٌ عَلَى ٱلضَّعِيفِ . فَبَيْنَمَا هُمْ يَتَشَاوَرُونَ فِي شَأْنِ ذٰلِكَ وَإِذَا بِذِئْبٍ أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ . فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : إِنْ أَصَابَ رَأْيُكُمْ فَٱجْعَلُوا هٰذَا ٱلذِّئْبَ حَكَمًا بَيْنَنَا لِأَنَّهُ أَقْوَى ٱلنَّاسِ . وَأَبُوهُ سَابِقًا كَانَ سُلْطَانًا عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَرْجُو مِنَ ٱللهِ أَنْ يَعْدِلَ بَيْنَنَا . ثُمَّ إِنَّهُمْ تَوَجَّهُوا إِلَيْهِ وَأَخْبَرُوهُ بِمَا صَارَ إِلَيْهِ رَأْيُهُمْ وَقَالُوا : لَقَدْ حَكَّمْنَاكَ بَيْنَنَا لِأَجْلِ أَنْ تُعْطِيَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَّا مَا يَقُوتُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ .

عَلَى قَدْرِ حَاجَتِهِ لِئَلَّا يَبْغِيَ قَوِيُّنَا عَلَى ضَعِيفِنَا فَيُهْلِكَ بَعْضُنَا بَعْضًا .
فَأَجَابَهُمُ ٱلذِّئْبُ إِلَى قَوْلِهِمْ وَتَعَاطَى أُمُورَهُمْ وَقَسَمَ عَلَيْهِمْ فِي ذٰلِكَ
ٱلْيَوْمِ مَا كَفَاهُمْ . فَلَمَّا كَانَ ٱلْغَدُ قَالَ ٱلذِّئْبُ فِي نَفْسِهِ : إِنَّ قِسْمَةَ
هٰذَا ٱلْجَمَلِ بَيْنَ هٰؤُلَاءِ ٱلْعَاجِزِينَ لَا يَعُودُ عَلَيَّ مِنْهَا شَيْءٌ إِلَّا ٱلْجُزْءُ
ٱلَّذِي جَعَلُوهُ لِي . وَإِنْ أَكَلْتُهُ وَحْدِي فَهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ لِي ضُرًّا مَعَ
أَنَّهُمْ غَنَمٌ لِي وَلِأَهْلِ بَيْتِي . فَمِنَ ٱلَّذِي يَمْنَعُنِي عَنْ أَخْذِ هٰذَا لِنَفْسِي .
وَلَعَلَّ ٱللّٰهَ مُسَبِّبُهُ لِي بِغَيْرِ جَمِيلَةٍ مِنْهُمْ . فَٱلْأَحْسَنُ لِي أَنْ أَخْتَصَّ بِهِ
دُونَهُمْ وَمِنْ هٰذَا ٱلْوَقْتِ لَا أُعْطِيهِمْ شَيْئًا . فَلَمَّا أَصْبَحَ ٱلثَّعَالِبُ
جَاؤُا إِلَيْهِ عَلَى ٱلْعَادَةِ يَطْلُبُونَ مِنْهُ قُوتَهُمْ فَقَالُوا لَهُ : يَا أَبَا سِرْحَانَ
أَعْطِنَا مُؤْنَةَ يَوْمِنَا . فَأَجَابَهُمْ قَائِلًا : مَا بَقِيَ عِنْدِي شَيْءٌ أُعْطِيهِ لَكُمْ .
فَذَهَبُوا مِنْ عِنْدِهِ عَلَى أَسْوَإِ حَالٍ ثُمَّ قَالُوا : إِنَّ ٱللّٰهَ أَوْقَعَنَا فِي هَمٍّ
عَظِيمٍ مَعَ هٰذَا ٱلْخَائِنِ ٱلْخَبِيثِ ٱلَّذِي لَا يَتَّقِي ٱللّٰهَ وَلَا يَخَافُهُ وَلَيْسَ
لَنَا حَوْلٌ وَلَا قُوَّةٌ . ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : إِنَّمَا حَمَلَهُ عَلَى هٰذَا ٱلْأَمْرِ
ضَرُورَةُ ٱلْجُوعِ . فَدَعُوهُ ٱلْيَوْمَ يَأْكُلُ مِنْهُ حَتَّى يَشْبَعَ وَفِي غَدٍ نَذْهَبُ
إِلَيْهِ . فَلَمَّا أَصْبَحُوا تَوَجَّهُوا إِلَيْهِ وَقَالُوا لَهُ : يَا أَبَا سِرْحَانَ إِنَّمَا وَلَّيْنَاكَ
عَلَيْنَا لِأَجْلِ أَنْ تَدْفَعَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا قُوتَهُ وَتُنْصِفَ ٱلضَّعِيفَ
مِنَ ٱلْقَوِيِّ . وَإِذَا فَرَغَ تَجْتَهِدُ لَنَا فِي تَحْصِيلِ غَيْرِهِ وَنَصِيرَ دَائِمًا
تَحْتَ كَنَفِكَ وَرِعَايَتِكَ . وَقَدْ مَسَّنَا ٱلْجُوعُ وَلَنَا يَوْمَانِ مَا أَكَلْنَا
فَأَعْطِنَا مُؤْنَتَنَا . وَأَنْتَ فِي حِلٍّ مِنْ جَمِيعِ مَا تَتَصَرَّفُ فِيهِ مِنْ دُونِ

ذٰلِكَ. فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ جَوَابًا بَلِ ازْدَادَ قَسْوَةً. فَرَاجَعُوهُ فَلَمْ يَرْجِعْ. فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: لَيْسَ لَنَا حِيلَةٌ إِلَّا أَنَّنَا نَنْطَلِقُ إِلَى الْأَسَدِ وَنَرْمِي أَنْفُسَنَا عَلَيْهِ. وَنَجْعَلُ لَهُ الْجَمَلَ فَإِنْ أَحْسَنَ لَنَا بِشَيْءٍ مِنْهُ كَانَ مِنْ فَضْلِهِ وَإِلَّا فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنْ هٰذَا الْخَبِيثِ. ثُمَّ انْطَلَقُوا إِلَى الْأَسَدِ وَأَخْبَرُوهُ بِمَا حَصَلَ لَهُمْ مَعَ الذِّئْبِ ثُمَّ قَالُوا لَهُ: نَحْنُ عَبِيدُكَ وَقَدْ جِئْنَاكَ مُسْتَجِيرِينَ بِكَ لِتُخَلِّصَنَا مِنْ هٰذَا الذِّئْبِ وَنَصِيرَ لَكَ عَبِيدًا. فَلَمَّا سَمِعَ الْأَسَدُ كَلَامَ الثَّعَالِبِ أَخَذَتْهُ الْحَمِيَّةُ وَغَارَ لِلّٰهِ تَعَالَى وَمَضَى مَعَهُمْ إِلَى الذِّئْبِ. فَلَمَّا رَأَى الذِّئْبُ الْأَسَدَ مُقْبِلًا طَلَبَ الْفِرَارَ مِنْ قُدَّامِهِ. فَجَرَى الْأَسَدُ خَلْفَهُ وَقَبَضَ عَلَيْهِ وَمَزَّقَهُ قِطَعًا وَمَكَّنَ الثَّعَالِبَ مِنْ فَرِيسَتِهِمْ. فَمِنْ هٰذَا يَنْتِجُ بِأَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَتَهَاوَنَ فِي أَمْرِ رَعِيَّتِهِ

أَلسَّنْدَبَادُ الْحَمَّالُ

إِنَّهُ كَانَ فِي زَمَنِ الْخَلِيفَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ هَارُونَ الرَّشِيدِ بِمَدِينَةِ بَغْدَادَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ السَّنْدَبَادُ الْحَمَّالُ وَكَانَ رَجُلًا فَقِيرَ الْحَالِ يَحْمِلُ بِأُجْرَتِهِ عَلَى رَأْسِهِ. فَاتَّفَقَ لَهُ أَنَّهُ حَمَلَ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ حِمْلَةً ثَقِيلَةً وَكَانَ ذٰلِكَ الْيَوْمُ شَدِيدَ الْحَرِّ فَتَعِبَ مِنْ تِلْكَ الْحِمْلَةِ وَعَرِقَ وَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْحَرُّ. فَمَرَّ عَلَى بَابِ رَجُلٍ تَاجِرٍ قُدَّامَهُ كُنْسٌ وَرَشٌّ وَهُنَاكَ هَوَاءٌ مُعْتَدِلٌ وَكَانَ بِجَانِبِ الْبَابِ مِصْطَبَةٌ عَرِيضَةٌ فَحَطَّ الْحَمَّالُ حِمْلَتَهُ عَلَى تِلْكَ الْمِصْطَبَةِ لِيَسْتَرِيحَ وَيَشُمَّ الْهَوَاءَ فَخَرَجَ

عَلَيْهِ مِنْ ذٰلِكَ ٱلْبَابِ نَسِيمٌ رَائِقٌ وَرَائِحَةٌ ذَكِيَّةٌ فَٱسْتَلَذَّ ٱلْحَمَّالُ لِذٰلِكَ وَجَلَسَ عَلَى جَانِبِ ٱلْمِصْطَبَةِ. فَسَمِعَ فِي ذٰلِكَ ٱلْمَكَانِ نَغَمَ أَوْتَارٍ وَعُودٍ وَأَصْوَاتًا مُطْرِبَةً وَأَنْوَاعَ إِنْشَادٍ مُغْرِبَةً. وَسَمِعَ أَيْضًا أَصْوَاتَ طُيُورٍ تُنَاغِي وَتُسَبِّحُ ٱللهَ تَعَالَى بِٱخْتِلَافِ ٱلْأَصْوَاتِ وَسَائِرِ ٱللُّغَاتِ مِنْ قَمَارِيَّ وَهَزَارٍ وَشَحَارِيرَ وَبَلَابِلَ وَفَاخِتَةٍ وَكَرَوَانٍ. فَعِنْدَ ذٰلِكَ تَعَجَّبَ فِي نَفْسِهِ وَطَرِبَ طَرَبًا شَدِيدًا. فَتَقَدَّمَ إِلَى ٱلْبَابِ فَوَجَدَ دَاخِلَ ٱلْبَيْتِ بُسْتَانًا عَظِيمًا وَنَظَرَ فِيهِ غِلْمَانًا وَعَبِيدًا وَخَدَمًا وَحَشَمًا وَشَيْئًا لَا يُوجَدُ إِلَّا عِنْدَ ٱلْمُلُوكِ وَٱلسَّلَاطِينِ. وَبَعْدَ ذٰلِكَ هَبَّتْ عَلَيْهِ رَائِحَةُ أَطْعِمَةٍ طَيِّبَةٍ ذَكِيَّةٍ مِنْ جَمِيعِ ٱلْأَلْوَانِ ٱلْمُخْتَلِفَةِ وَٱلشَّرَابِ ٱلطَّيِّبِ. فَرَفَعَ طَرْفَهُ إِلَى ٱلسَّمَاءِ وَقَالَ: سُبْحَانَكَ يَا رَبِّ يَا خَالِقُ يَا رَازِقُ تَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ. ٱللّٰهُمَّ إِنِّي أَسْتَغْفِرُكَ مِنْ جَمِيعِ ٱلذُّنُوبِ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْعُيُوبِ. يَا رَبِّ لَا أَعْتَرِضُ عَلَيْكَ فِي حُكْمِكَ وَقُدْرَتِكَ فَإِنَّكَ لَا تُسْأَلُ عَمَّا تَفْعَلُ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. سُبْحَانَكَ تُغْنِي مَنْ تَشَاءُ وَتُفْقِرُ مَنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ. لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ مَا أَعْظَمَ شَأْنَكَ وَمَا أَقْوَى سُلْطَانَكَ وَمَا أَحْسَنَ تَدْبِيرَكَ قَدْ أَنْعَمْتَ عَلَى مَنْ تَشَاءُ مِنْ عِبَادِكَ. فَهٰذَا ٱلْمَكَانُ صَاحِبُهُ فِي غَايَةِ ٱلنِّعْمَةِ وَهُوَ مُتَلَذِّذٌ بِٱلرَّوَائِحِ ٱللَّطِيفَةِ وَٱلْمَآكِلِ ٱللَّذِيذَةِ وَٱلْمَشَارِبِ ٱلْفَاخِرَةِ فِي سَائِرِ ٱلصِّفَاتِ. وَقَدْ حَكَمْتَ فِي خَلْقِكَ بِمَا تُرِيدُ وَقَدَّرْتَهُ عَلَيْهِمْ. فَمِنْهُمْ تَعْبَانٌ وَمِنْهُمْ

مُسْتَرِيحٌ وَمِنْهُمْ سَعِيدٌ وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ مِثْلِي فِي غَايَةِ ٱلتَّعَبِ وَٱلذُّلِّ. وَأَنْشَدَ يَقُولُ

فَكَمْ مِنْ شَقِيٍّ بِلَا رَاحَةٍ ... يُنَعَّمُ فِي خَيْرِ فَيْءٍ وَظِلِّ
وَأَصْبَحْتُ فِي تَعَبٍ زَائِدٍ ... وَأَمْرِي عَجِيبٌ وَقَدْ زَادَ حِمْلِي
وَغَيْرِي سَعِيدٌ بِلَا شَقْوَةٍ ... وَمَا حَمَلَ ٱلدَّهْرَ يَوْمًا كَحِمْلِي
يُنَعَّمُ فِي عَيْشِهِ دَائِمًا ... بِبَسْطٍ وَعِزٍّ وَشُرْبٍ وَأَكْلِ
وَكُلُّ ٱلْخَلَائِقِ مِنْ نُطْفَةٍ ... أَنَا مِثْلُ هٰذَا وَهٰذَا كَمِثْلِي
وَلٰكِنَّ شَتَّانَ مَا بَيْنَنَا ... وَشَتَّانَ مَا بَيْنَ خَمْرٍ وَخَلِّ
وَلَسْتُ أَقُولُ عَلَيْكَ ٱفْتِرَاءً ... فَأَنْتَ حَكِيمٌ حَكَمْتَ بِعَدْلِ

فَلَمَّا فَرَغَ ٱلسِّنْدَبَادُ ٱلْحَمَّالُ مِنْ شِعْرِهِ وَنَظْمِهِ أَرَادَ أَنْ يَحْمِلَ حِمْلَتَهُ وَيَسِيرَ إِذْ قَدْ طَلَعَ عَلَيْهِ مِنْ ذٰلِكَ ٱلْبَابِ غُلَامٌ صَغِيرُ ٱلسِّنِّ حَسَنُ ٱلْوَجْهِ مَلِيحُ ٱلْقَدِّ فَاخِرُ ٱلْمَلَابِسِ. فَقَبَضَ عَلَى يَدِ ٱلْحَمَّالِ وَقَالَ لَهُ: ٱدْخُلْ كَلِّمْ سَيِّدِي فَإِنَّهُ يَدْعُوكَ. فَأَرَادَ ٱلْحَمَّالُ ٱلِٱمْتِنَاعَ مِنَ ٱلدُّخُولِ مَعَ ٱلْغُلَامِ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى ذٰلِكَ. فَحَطَّ حِمْلَتَهُ عِنْدَ ٱلْبَوَّابِ فِي دِهْلِيزِ ٱلْمَكَانِ وَدَخَلَ مَعَ ٱلْغُلَامِ دَاخِلَ ٱلدَّارِ. فَوَجَدَ دَارًا مَلِيحَةً وَعَلَيْهَا أُنْسٌ وَوَقَارٌ وَنَظَرَ إِلَى مَجْلِسٍ عَظِيمٍ فَنَظَرَ فِيهِ مِنَ ٱلسَّادَاتِ ٱلْكِرَامِ وَٱلْمَوَالِي ٱلْعِظَامِ وَفِيهِ مِنْ جَمِيعِ أَصْنَافِ ٱلزَّهْرِ وَجَمِيعِ أَصْنَافِ ٱلْمَشْمُومِ وَمِنْ أَنْوَاعِ ٱلنُّقْلِ وَٱلْفَوَاكِهِ وَشَيْئًا كَثِيرًا مِنْ أَصْنَافِ ٱلْأَطْعِمَةِ ٱلنَّفِيسَةِ. وَفِيهِ مَشْرُوبٌ مِنْ خَوَاصِّ دَوَالِي ٱلْكُرُومِ وَفِيهِ آلَاتُ ٱلسَّمَاعِ

وَالطَّرَبِ مِنْ أَصْنَافِ الْجَوَارِي الْحِسَانِ كُلٌّ مِنْهُمْ فِي مَقَامِهِ عَلَى حَسَبِ التَّرْتِيبِ . وَفِي صَدْرِ ذٰلِكَ الْمَجْلِسِ رَجُلٌ عَظِيمٌ مُحْتَرَمٌ قَدْ لَكَزَهُ الشَّيْبُ فِي عَوَارِضِهِ وَهُوَ مَلِيحُ الصُّورَةِ حَسَنُ الْمَنْظَرِ وَعَلَيْهِ هَيْبَةٌ وَوَقَارٌ وَعِزٌّ وَافْتِخَارٌ . فَعِنْدَ ذٰلِكَ بُهِتَ السِّنْدَبَادُ الْحَمَّالُ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ : وَاللّٰهِ إِنَّ هٰذَا الْمَكَانَ مِنْ بُقَعِ الْجِنَانِ أَوْ إِنَّهُ يَكُونُ قَصْرَ مَلِكٍ أَوْ سُلْطَانٍ : ثُمَّ إِنَّهُ تَأَدَّبَ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ وَدَعَا لَهُمْ وَقَبَّلَ الْأَرْضَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَوَقَفَ وَهُوَ مُنَكِّسُ الرَّأْسِ مُتَخَشِّعٌ . فَأَذِنَ لَهُ صَاحِبُ الْمَكَانِ بِالْجُلُوسِ فَجَلَسَ وَقَدْ قَرَّبَهُ إِلَيْهِ وَصَارَ يُؤَانِسُهُ بِالْكَلَامِ وَيُرَحِّبُ بِهِ . ثُمَّ قَدَّمَ لَهُ شَيْئًا مِنْ أَنْوَاعِ الطَّعَامِ الْمُفْتَخِرِ الطَّيِّبِ النَّفِيسِ . فَتَقَدَّمَ السِّنْدَبَادُ الْحَمَّالُ وَسَمَّى وَأَكَلَ حَتَّى اكْتَفَى وَشَبِعَ وَقَالَ : الْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ . ثُمَّ إِنَّهُ غَسَلَ يَدَيْهِ وَشَكَرَهُمْ عَلَى ذٰلِكَ . فَقَالَ صَاحِبُ الْمَكَانِ . مَرْحَبًا بِكَ وَنَهَارُكَ مُبَارَكٌ . فَمَا يَكُونُ اسْمُكَ . وَمَا تُعَانِي مِنَ الصَّنَائِعِ . فَقَالَ لَهُ : يَا سَيِّدِي اسْمِي السِّنْدَبَادُ الْحَمَّالُ وَأَنَا أَحْمِلُ عَلَى رَأْسِي أَسْبَابَ النَّاسِ بِالْأُجْرَةِ . فَتَبَسَّمَ صَاحِبُ الْمَكَانِ وَقَالَ لَهُ : اعْلَمْ يَا حَمَّالُ أَنَّ اسْمَكَ مِثْلُ اسْمِي . فَأَنَا السِّنْدَبَادُ الْبَحْرِيُّ وَلٰكِنْ يَا حَمَّالُ قَصْدِي أَنْ تُسْمِعَنِي الْأَبْيَاتَ الَّتِي كُنْتَ تُنْشِدُهَا وَأَنْتَ عَلَى الْبَابِ . فَاسْتَحْيَا الْحَمَّالُ وَقَالَ لَهُ : بِاللّٰهِ عَلَيْكَ لَا تُؤَاخِذْنِي فَإِنَّ التَّعَبَ وَالْمَشَقَّةَ وَقِلَّةَ مَا فِي الْيَدِ تُعَلِّمُ الْإِنْسَانَ قِلَّةَ الْأَدَبِ وَالسَّفَهِ . فَقَالَ لَهُ : لَا تَسْتَحِ فَأَنْتَ صِرْتَ أَخِي فَأَنْشِدْ

الْأَبْيَاتَ فَإِنَّهَا أَعْجَبَتْنِي لَمَّا سَمِعْتُهَا مِنْكَ وَأَنْتَ تُنْشِدُهَا عَلَى الْبَابِ.
فَعِنْدَ ذٰلِكَ أَنْشَدَ الْحَمَّالُ تِلْكَ الْأَبْيَاتَ فَأَعْجَبَتْهُ وَطَرِبَ لِسَمَاعِهَا وَقَالَ
لَهُ: يَا حَمَّالُ اعْلَمْ أَنَّ لِي قِصَّةً عَجِيبَةً وَسَوْفَ أُخْبِرُكَ بِجَمِيعِ مَا صَارَ
لِي وَمَا جَرَى لِي مِنْ قَبْلِ أَنْ أَصِيرَ إِلَى هٰذِهِ السَّعَادَةِ وَأَجْلِسَ فِي
هٰذَا الْمَكَانِ الَّذِي تَرَانِي فِيهِ. فَإِنِّي مَا وَصَلْتُ إِلَى هٰذِهِ السَّعَادَةِ
وَهٰذَا الْمَكَانِ إِلَّا بَعْدَ تَعَبٍ شَدِيدٍ وَمَشَقَّةٍ عَظِيمَةٍ وَأَهْوَالٍ كَثِيرَةٍ.
وَكَمْ قَاسَيْتُ فِي الزَّمَنِ الْأَوَّلِ مِنَ التَّعَبِ وَالنَّصَبِ. وَقَدْ سَافَرْتُ
سَبْعَ سَفَرَاتٍ وَكُلُّ سَفْرَةٍ لَهَا حِكَايَةٌ عَجِيبَةٌ تُحَيِّرُ الْفِكْرَ

أَلسَّفْرَةُ السَّادِسَةُ

مِنَ السَّبْعِ السَّفَرَاتِ لِلسَّنْدَبَادِ الْبَحْرِيِّ

إِعْلَمُوا يَا سَادَةُ يَا كِرَامُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَبٌ تَاجِرٌ وَكَانَ مِنْ
أَكَابِرِ النَّاسِ وَالتُّجَّارِ. وَكَانَ عِنْدَهُ مَالٌ كَثِيرٌ وَنَوَالٌ جَزِيلٌ.
وَقَدْ مَاتَ وَأَنَا وَلَدٌ صَغِيرٌ وَخَلَّفَ لِي مَالًا وَعَقَارًا وَضِيَاعًا. فَلَمَّا
كَبُرْتُ وَضَعْتُ يَدِي عَلَى الْجَمِيعِ وَقَدْ أَكَلْتُ أَكْلًا مَلِيحًا وَشَرِبْتُ
شُرْبًا مَلِيحًا وَعَاشَرْتُ الشَّبَابَ وَتَجَمَّلْتُ بِلُبْسِ الثِّيَابِ وَمَشَيْتُ مَعَ
الْخُلَّانِ وَالْأَصْحَابِ وَاعْتَقَدْتُ أَنَّ ذٰلِكَ يَدُومُ لِي وَيَنْفَعُنِي وَلَمْ أَزَلْ
عَلَى هٰذِهِ الْحَالَةِ مُدَّةً مِنَ الزَّمَانِ وَأَفَقْتُ مِنْ غَفْلَتِي. ثُمَّ إِنِّي رَجَعْتُ
إِلَى عَقْلِي فَوَجَدْتُ مَالِي قَدْ مَالَ وَحَالِي قَدْ حَالَ وَقَدْ ذَهَبَ جَمِيعُ
مَا كَانَ مَعِي وَلَمْ أَسْتَبْقِ لِنَفْسِي إِلَّا وَأَنَا مَرْعُوبٌ مَدْهُوشٌ وَقَدْ

تفكّرتُ حكايةً كُنتُ أسمعُها سابقًا مِن أبي وهي حكايةُ سيّدنا سُليمانَ بنِ داودَ عليهما السّلامُ في قولِهِ ثلثةٌ خيرٌ مِن ثلثةٍ: يومُ المماتِ خيرٌ مِن يومِ الولادةِ. وكلبٌ حيٌّ خيرٌ مِن سبعٍ ميّتٍ. والقبرُ خيرٌ مِن الفقرِ. ثمّ إنّي قمتُ وجمعتُ ما كانَ عندي مِن آثارٍ وملبوسٍ وبعتُه ثمّ بعتُ عقاري وجميعَ ما تملّكتْ يدي فجمعتُ ثلثةَ آلافِ درهمٍ وقد خطرَ ببالي السّفرُ إلى بلادِ الناسِ وتذكّرتُ كلامَ بعضِ الشُّعراءِ حيثُ قالَ:

بقدرِ الكدِّ تُكتسبُ المعالي ... ومَن طلبَ العُلى سهرَ الليالي
يغوصُ البحرَ مَن طلبَ اللآلي ... ويحظى بالسيادةِ والنوالِ
ومَن طلبَ العُلى مِن غيرِ كدٍّ ... أضاعَ العُمرَ في طلبِ المحالِ

فاشتاقتْ نفسي إلى السّفرِ والتّجارةِ فعزمتُ على السّفرِ واشتريتُ لي بضائعَ نفيسةً فاخرةً تصلحُ للبحرِ وحملتُ حمولي وسافرتُ مِن مدينةِ بغدادَ إلى مدينةِ البصرةِ فرأيتُ مركبًا عظيمًا فيه تجارٌ وأكابرُ ومعهم بضائعُ نفيسةٌ فنزّلتُ حمولي معهم في هذا المركبِ وسرنا بالسّلامةِ مِن مدينةِ البصرةِ ولم نزلْ مسافرينَ مِن مكانٍ إلى مكانٍ ومِن مدينةٍ إلى مدينةٍ ونحنُ نبيعُ ونشتري ونتفرّجُ على بلادِ الناسِ. وقد طابَ لنا السّعدُ والسّفرُ واغتنمنا المعاشَ إلى أن كنّا سائرينَ يومًا مِن الأيّامِ وإذا برئيسِ المركبِ صرخَ وصاحَ ورمى عمامتَه ولطمَ على وجهِهِ وتتفَ لحيتَه ووقعَ في بطنِ المركبِ مِن

شِدَّةِ الْغَمِّ وَالْقَهْرِ. فَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ جَمِيعُ التُّجَّارِ وَالرُّكَّابِ. وَقَالُوا لَهُ: يَا رَئِيسُ مَا الْخَبَرُ: فَقَالَ لَهُمُ الرَّئِيسُ: اعْلَمُوا يَا جَمَاعَةُ أَنَّنَا قَدْ تِهْنَا بِمَرْكَبِنَا وَخَرَجْنَا مِنَ الْبَحْرِ الَّذِي كُنَّا فِيهِ وَدَخَلْنَا بَحْرًا لَمْ نَعْرِفْ طُرُقَهُ وَإِذَا لَمْ يُقَيِّضِ اللهُ لَنَا شَيْئًا يُخَلِّصُنَا مِنْ هٰذَا الْبَحْرِ هَلَكْنَا بِأَجْمَعِنَا لَا مَحَالَةَ فَادْعُوا اللهَ تَعَالَى أَنْ يُنَجِّيَنَا مِنْ هٰذَا الْأَمْرِ: ثُمَّ إِنَّ الرَّئِيسَ قَامَ عَلَى حَيْلِهِ وَصَعِدَ عَلَى الصَّارِي وَأَرَادَ أَنْ يَحُلَّ الْقُلُوعَ فَقَوِيَ الرِّيحُ عَلَى الْمَرْكَبِ فَرَدَّهَا عَلَى مُؤَخَّرِهَا فَانْكَسَرَتْ دَفَّتُهَا قُرْبَ جَبَلٍ عَالٍ: فَنَزَلَ الرَّئِيسُ مِنَ الصَّارِي وَقَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَمْنَعَ الْمَقْدُورَ. وَاللهِ إِنَّنَا قَدْ وَقَعْنَا فِي مَهْلَكَةٍ عَظِيمَةٍ وَلَمْ يَبْقَ لَنَا مِنْهَا مَخْلَصٌ وَلَا نَجَاةٌ: فَبَكَى جَمِيعُ الرُّكَّابِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَوَدَّعَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا لِفَرَاغِ أَعْمَارِهِمْ وَانْقِطَاعِ رَجَاؤُهُمْ وَمَالَ الْمَرْكَبُ عَلَى ذٰلِكَ الْجَبَلِ فَانْكَسَرَ وَتَفَرَّقَتْ أَلْوَاحُهَا. فَغَرِقَ جَمِيعُ مَا كَانَ فِيهِ وَوَقَعَ التُّجَّارُ فِي الْبَحْرِ فَمِنْهُمْ مَنْ غَرِقَ وَمِنْهُمْ مَنْ تَمَسَّكَ بِذٰلِكَ الْجَبَلِ وَطَلَعَ عَلَيْهِ. وَكُنْتُ أَنَا مِنْ جُمْلَةِ مَنْ طَلَعَ ذٰلِكَ الْجَبَلَ وَإِذَا فِيهِ جَزِيرَةٌ كَبِيرَةٌ عِنْدَهَا كَثِيرٌ مِنَ الْمَرَاكِبِ الْمُكَسَّرَةِ. وَفِيهَا أَرْزَاقٌ كَثِيرَةٌ عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ مِنَ الَّذِي يَطْرَحُهُ الْبَحْرُ مِنَ الْمَرَاكِبِ الَّتِي كُسِّرَتْ وَغَرِقَ رُكَّابُهَا. وَفِيهَا شَيْءٌ كَثِيرٌ يُحِيرُ الْعَقْلَ وَالْفِكْرَ مِنَ الْمَتَاعِ وَالْأَمْوَالِ الَّتِي يُلْقِيهَا الْبَحْرُ عَلَى جَوَانِبِهَا فَعِنْدَ ذٰلِكَ طَلَعْتُ أَعْلَى

تِلْكَ ٱلْجَزِيرَةِ وَمَشَيْتُ فِيهَا غَرَأَيْتُ فِي وَسَطِهَا عَيْنَ مَاءٍ عَذْبٍ جَارٍ خَارِجٍ مِنْ تَحْتِ أَوَّلِ ذٰلِكَ ٱلْجَبَلِ وَدَاخِلٍ فِي آخِرِهِ مِنَ ٱلْجَانِبِ ٱلثَّانِي فَعِنْدَ ذٰلِكَ طَلَعَ جَمِيعُ ٱلرُّكَّابِ عَلَى ذٰلِكَ ٱلْجَبَلِ إِلَى ٱلْجَزِيرَةِ وَٱنْتَشَرُوا فِيهَا وَقَدْ ذَهَلَتْ عُقُولُهُمْ مِنْ ذٰلِكَ وَصَارُوا مِثْلَ ٱلْمَجَانِينِ مِنْ كَثْرَةِ مَا رَأَوْا فِي ٱلْجَزِيرَةِ مِنَ ٱلْأَمْتِعَةِ وَٱلْأَمْوَالِ ٱلَّتِي عَلَى سَاحِلِ ٱلْبَحْرِ وَقَدْ رَأَيْتُ فِي وَسَطِ تِلْكَ ٱلْعَيْنِ شَيْئًا كَثِيرًا مِنْ أَصْنَافِ ٱلْجَوَاهِرِ وَٱلْمَعَادِنِ وَٱلْيَوَاقِيتِ وَٱللَّآلِئِ ٱلْكِبَارِ ٱلْمُلُوكِيَّةِ وَهِيَ مِثْلُ ٱلْحَصَى فِي مَجَارِي ٱلْمَاءِ فِي تِلْكَ ٱلْغِيطَانِ . وَجَمِيعُ أَرْضِ تِلْكَ ٱلْعَيْنِ تَبْرُقُ مِنْ كَثْرَةِ مَا فِيهَا مِنَ ٱلْمَعَادِنِ وَغَيْرِهَا . وَرَأَيْنَا شَيْئًا كَثِيرًا فِي تِلْكَ ٱلْجَزِيرَةِ مِنْ أَغْلَى ٱلْعُودِ ٱلصِّينِيِّ وَٱلْعُودِ ٱلْقَمَارِيِّ . وَفِي تِلْكَ ٱلْجَزِيرَةِ عَيْنٌ نَابِعَةٌ مِنْ صِنْفِ ٱلْعَنْبَرِ ٱلْخَامِ وَهُوَ يَسِيلُ مِثْلَ ٱلشَّمْعِ عَلَى جَانِبِ تِلْكَ ٱلْعَيْنِ مِنْ شِدَّةِ حَرِّ ٱلشَّمْسِ وَيَمْتَدُّ عَلَى سَاحِلِ ٱلْبَحْرِ فَتَطْلُعُ ٱلْحَوَايِشُ مِنَ ٱلْبَحْرِ تَبْلَعُهُ وَتَنْزِلُ بِهِ فِي ٱلْبَحْرِ فَيَحْمِي فِي بُطُونِهَا فَتَقْذِفُهُ مِنْ أَفْوَاهِهَا فِي ٱلْبَحْرِ فَيَجْمُدُ عَلَى وَجْهِ ٱلْمَاءِ . فَعِنْدَ ذٰلِكَ يَتَغَيَّرُ لَوْنُهُ وَأَحْوَالُهُ فَتَقْذِفُهُ ٱلْأَمْوَاجُ إِلَى جَانِبِ ٱلْبَحْرِ فَيَأْخُذُهُ ٱلسَّيَّاحُونَ وَٱلتُّجَّارُ ٱلَّذِينَ يَعْرِفُونَهُ فَيَبِيعُونَهُ . وَأَمَّا ٱلْعَنْبَرُ ٱلْخَامُ ٱلْخَالِصُ مِنَ ٱلْبَلَمِ فَإِنَّهُ يَسِيلُ عَلَى جَانِبِ تِلْكَ ٱلْعَيْنِ وَيَتَجَمَّدُ بِأَرْضِهِ . فَإِذَا طَلَعَتْ عَلَيْهِ ٱلشَّمْسُ يَسِيحُ وَتَبْقَى مِنْهُ رَائِحَةُ ذٰلِكَ ٱلْوَادِي كُلِّهِ مِثْلَ ٱلْمِسْكِ . وَإِذَا زَالَتْ عَنْهُ ٱلشَّمْسُ

يُجْمَدُ . وَذٰلِكَ ٱلْمَكَانُ ٱلَّذِي فِيهِ هٰذَا ٱلْعَنْبَرُ ٱلْخَامُ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى دُخُولِهِ وَلَا يَسْتَطِيعُ سُلُوكَهُ . فَإِنَّ ٱلْجَبَلَ مُحِيطٌ بِتِلْكَ ٱلْجَزِيرَةِ وَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى صُعُودِ ذٰلِكَ ٱلْجَبَلِ ، وَلَمْ نَزَلْ دَائِرِينَ فِي تِلْكَ ٱلْجَزِيرَةِ نَتَفَرَّجُ عَلَى مَا خَلَقَ ٱللهُ تَعَالَى فِيهَا مِنَ ٱلْأَرْزَاقِ وَنَحْنُ مُتَحَيِّرُونَ فِي أَمْرِنَا وَفِيمَا نَرَاهُ وَعِنْدَنَا خَوْفٌ شَدِيدٌ . وَقَدْ جَمَعْنَا عَلَى جَانِبِ ٱلْجَزِيرَةِ شَيْئًا قَلِيلًا مِنَ ٱلزَّادِ فَصِرْنَا نُوَفِّرُهُ وَنَأْكُلُ مِنْهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ أَكْلَةً وَاحِدَةً وَنَحْنُ خَائِفُونَ أَنْ يَفْرَغَ ٱلزَّادُ مِنَّا فَنَمُوتَ كَمَدًا مِنْ شِدَّةِ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ . وَكُلُّ مَنْ مَاتَ مِنَّا نُغَسِّلُهُ وَنُكَفِّنُهُ فِي ثِيَابٍ وَقُمَاشٍ مِنَ ٱلَّذِي يَطْرَحُهُ ٱلْبَحْرُ عَلَى جَانِبِ ٱلْجَزِيرَةِ حَتَّى مَاتَ مِنَّا خَلْقٌ كَثِيرٌ وَلَمْ يَبْقَ مِنَّا إِلَّا جَمَاعَةٌ قَلِيلَةٌ . فَضَعُفْنَا بِوَجَعِ ٱلْبَطْنِ مِنَ ٱلْبَحْرِ وَأَقَمْنَا مُدَّةً قَلِيلَةً فَمَاتَ جَمِيعُ أَصْحَابِي وَرُفَقَائِي وَاحِدٌ بَعْدَ وَاحِدٍ . وَكُلُّ مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ نَدْفِنُهُ . وَبَقِيتُ فِي تِلْكَ ٱلْجَزِيرَةِ وَحْدِي وَبَقِيَ مَعِي زَادٌ قَلِيلٌ بَعْدَ أَنْ كَانَ كَثِيرًا فَبَكَيْتُ عَلَى نَفْسِي وَقُلْتُ : يَا لَيْتَنِي مُتُّ قَبْلَ رُفَقَائِي وَكَانُوا غَسَّلُونِي وَدَفَنُونِي فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْعَظِيمِ . ثُمَّ إِنِّي أَقَمْتُ مُدَّةً يَسِيرَةً وَقُمْتُ حَفَرْتُ لِنَفْسِي حُفْرَةً عَمِيقَةً فِي جَانِبِ تِلْكَ ٱلْجَزِيرَةِ وَقُلْتُ فِي نَفْسِي إِذَا ضَعُفْتُ وَعَلِمْتُ أَنَّ ٱلْمَوْتَ قَدْ أَتَانِي أَرْقُدُ فِي هٰذَا ٱلْقَبْرِ فَأَمُوتُ فِيهِ وَيَبْقَى ٱلرِّيحُ يُسْفِي ٱلرَّمْلَ عَلَيَّ فَيُغَطِّينِي وَأَصِيرُ مَدْفُونًا فِيهِ . وَصِرْتُ أَلُومُ نَفْسِي عَلَى قِلَّةِ عَقْلِي وَخُرُوجِي مِنْ

بِلَادِي وَمَدِينَتِي وَسَفَرِي إِلَى ٱلْبِلَادِ بَعْدَ ٱلَّذِي قَاسَيْتُهُ أَوَّلًا وَثَانِيًا وَثَالِثًا وَرَابِعًا وَخَامِسًا . وَلَا سَفْرَةَ مِنَ ٱلْأَسْفَارِ إِلَّا وَأُقَاسِي أَهْوَالًا وَشَدَائِدَ أَشَقَّ وَأَصْعَبَ مِنَ ٱلْأَهْوَالِ ٱلَّتِي قَبْلَهَا . وَمَا أُصَدِّقُ بِٱلنَّجَاةِ وَٱلسَّلَامَةِ وَأَتُوبُ عَنِ ٱلسَّفَرِ فِي ٱلْبَحْرِ وَعَنْ عَوْدِي إِلَيْهِ . وَلَسْتُ مُحْتَاجًا لِمَالٍ وَعِنْدِي شَيْءٌ كَثِيرٌ . وَٱلَّذِي عِنْدِي لَا أَقْدِرُ أَنْ أُفْنِيَهُ وَلَا أُضِيعَ نِصْفَهُ فِي بَاقِي عُمْرِي . وَعِنْدِي مَا يَكْفِينِي وَزِيَادَةٌ . ثُمَّ إِنِّي تَفَكَّرْتُ فِي نَفْسِي وَقُلْتُ : وَٱللهِ لَا بُدَّ أَنَّ هٰذَا ٱلنَّهْرَ لَهُ أَوَّلٌ وَآخِرٌ وَلَا بُدَّ مِنْ مَكَانٍ يَخْرُجُ مِنْهُ إِلَى ٱلْعُمْرَانِ . وَٱلرَّأْيُ ٱلسَّدِيدُ عِنْدِي أَنِّي أَعْمَلُ لِي فُلْكًا صَغِيرًا عَلَى قَدْرِ مَا أَجْلِسُ فِيهِ وَأَنْزِلُ وَأُلْقِيهِ فِي هٰذَا ٱلنَّهْرِ وَأَسِيرُ بِهِ . فَإِنْ وَجَدْتُ لِي خَلَاصًا أَخْلُصُ وَأَنْجُو بِإِذْنِ ٱللهِ تَعَالَى . وَإِنْ لَمْ أَجِدْ لِي مَخْلَصًا أَمُوتُ دَاخِلَ هٰذَا ٱلنَّهْرِ أَحْسَنَ مِنْ هٰذَا ٱلْمَكَانِ وَصِرْتُ أَتَحَسَّرُ عَلَى نَفْسِي . ثُمَّ إِنِّي قُمْتُ وَسَعَيْتُ فَجَمَعْتُ أَخْشَابًا مِنْ تِلْكَ ٱلْجَزِيرَةِ مِنْ خَشَبِ ٱلْعُودِ ٱلصِّينِيِّ وَٱلْقَمَارِيِّ وَشَدَدْتُهَا عَلَى جَانِبِ ٱلْبَحْرِ بِحِبَالٍ مِنْ حِبَالِ ٱلْمَرَاكِبِ ٱلَّتِي كُسِرَتْ وَجِئْتُ بِأَلْوَاحٍ مُتَسَاوِيَةٍ مِنْ أَلْوَاحِ ٱلْمَرَاكِبِ وَوَضَعْتُهَا فِي ذٰلِكَ ٱلْخَشَبِ وَجَعَلْتُ ذٰلِكَ ٱلْفُلْكَ عَلَى عَرْضِ ذٰلِكَ ٱلنَّهْرِ أَوْ أَقَلَّ مِنْ عَرْضِهِ . وَشَدَدْتُهُ شَدًّا طَيِّبًا مَكِينًا . وَقَدْ أَخَذْتُ مَعِي مِنْ تِلْكَ ٱلْمَعَادِنِ وَٱلْجَوَاهِرِ وَٱلْأَمْوَالِ وَٱللُّؤْلُؤِ ٱلْكَبِيرِ ٱلَّذِي مِثْلُ ٱلْحَصَى وَغَيْرَ ذٰلِكَ مِنَ ٱلَّذِي فِي تِلْكَ ٱلْجَزِيرَةِ وَشَيْئًا مِنَ ٱلْعَنْبَرِ ٱلْخَامِ

ٱلْخَالِصِ ٱلطَّيِّبِ وَوَضَعْتُهُ فِي ذٰلِكَ ٱلْفُلْكِ وَوَضَعْتُ فِيهِ جَمِيعَ مَا جَمَعْتُهُ مِنَ ٱلْجَزِيرَةِ وَأَخَذْتُ مَعِي جَمِيعَ مَا كَانَ بَاقِيًا مِنَ ٱلزَّادِ . ثُمَّ إِنِّي أَلْقَيْتُ ذٰلِكَ ٱلْفُلْكَ فِي هٰذَا ٱلنَّهْرِ وَجَعَلْتُ لَهُ خَشَبَتَيْنِ عَلَى جَنْبَيْهِ مِثْلَ ٱلْمَجَادِيفِ وَعَمِلْتُ بِقَوْلِ بَعْضِ ٱلشُّعَرَاءِ

تَرَحَّلْ عَنْ مَكَانٍ فِيهِ ضَيْمٌ ... وَخَلِّ ٱلدَّارَ تَنْعَى مَنْ بَنَاهَا
فَإِنَّكَ وَاجِدٌ أَرْضًا بِأَرْضٍ ... وَنَفْسُكَ لَمْ تَجِدْ نَفْسًا سِوَاهَا
وَلَا تَجْزَعْ لِحَادِثَةِ ٱللَّيَالِي ... فَكُلُّ مُصِيبَةٍ يَأْتِي ٱنْتِهَاهَا
وَمَنْ كَانَتْ مَنِيَّتُهُ بِأَرْضٍ ... فَلَيْسَ يَمُوتُ فِي أَرْضٍ سِوَاهَا
وَلَا تَبْعَثْ رَسُولَكَ فِي مُهِمٍّ ... فَمَا لِلنَّفْسِ نَاصِحَةٌ سِوَاهَا

وَسِرْتُ بِذٰلِكَ ٱلْفُلْكِ فِي ٱلنَّهْرِ وَأَنَا مُتَفَكِّرٌ فِيمَا يَصِيرُ إِلَيْهِ أَمْرِي . وَلَمْ أَزَلْ سَائِرًا إِلَى ٱلْمَكَانِ ٱلَّذِي يَدْخُلُ فِيهِ ٱلنَّهْرُ تَحْتَ ذٰلِكَ ٱلْجَبَلِ وَدَخَلْتُ ٱلْفُلْكَ فِي ذٰلِكَ ٱلْمَكَانِ وَقَدْ صِرْتُ فِي ظُلْمَةٍ شَدِيدَةٍ تَحْتَ ٱلْجَبَلِ . وَلَمْ يَزَلِ ٱلْفُلْكُ دَاخِلًا بِي مَعَ ٱلْمَاءِ إِلَى ضَيْقٍ تَحْتَ ٱلْجَبَلِ . وَصَارَتْ جَوَانِبُ ٱلْفُلْكِ تَحُكُّ فِي جَوَانِبِ ٱلنَّهْرِ وَرَأْسِي يَحُكُّ فِي سَقْفِ ٱلنَّهْرِ وَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى أَنِّي أَعُودُ مِنْهُ وَقَدْ لُمْتُ نَفْسِي عَلَى مَا فَعَلْتُهُ بِرُوحِي وَقُلْتُ : إِنْ ضَاقَ ٱلْمَكَانُ عَلَى ٱلْفُلْكِ قَلَّ أَنْ يَخْرُجَ مِنْهُ وَلَا يُمْكِنُ عَوْدُهُ فَأَهْلِكُ فِي ٱلْمَكَانِ كَمَدًا بِلَا مَحَالَةٍ . وَقَدِ ٱنْطَرَحْتُ عَلَى وَجْهِي فِي ٱلْفُلْكِ مِنْ ضِيقِ ٱلنَّهْرِ . وَلَمْ أَزَلْ سَائِرًا وَلَا أَعْلَمُ لَيْلًا مِنْ نَهَارٍ بِسَبَبِ ٱلظُّلْمَةِ ٱلَّتِي

أَنَا فِيهَا تَحْتَ ذٰلِكَ ٱلْجَبَلِ مَعَ ٱلْفَزَعِ وَٱلْخَوْفِ عَلَى نَفْسِي مِنَ ٱلْهَلَاكِ . وَلَمْ أَزَلْ عَلَى هٰذِهِ ٱلْحَالَةِ سَائِرًا فِي ذٰلِكَ ٱلنَّهْرِ وَهُوَ يَتَّسِعُ تَارَةً وَيَضِيقُ أُخْرَى . وَلٰكِنَّ ٱلظُّلْمَةَ قَدْ أَتْعَبَتْنِي تَعَبًا شَدِيدًا فَأَخَذَتْنِي سِنَةٌ مِنَ ٱلنَّوْمِ مِنْ شِدَّةِ قَهْرِي فَنِمْتُ عَلَى وَجْهِي فِي ٱلْفُلْكِ . وَلَمْ يَزَلْ سَائِرًا بِي وَأَنَا نَائِمٌ لَا أَدْرِي بِكَثِيرٍ وَلَا قَلِيلٍ ثُمَّ إِنِّي ٱسْتَيْقَظْتُ فَوَجَدْتُ نَفْسِي فِي ٱلنُّورِ . فَفَتَحْتُ عَيْنَيَّ فَرَأَيْتُ مَكَانًا وَاسِعًا وَذٰلِكَ ٱلْفُلْكُ مَرْبُوطٌ عَلَى جَزِيرَةٍ وَحَوْلِي جَمَاعَةٌ مِنَ ٱلْهُنُودِ وَٱلْحَبَشَةِ . فَلَمَّا رَأَوْنِي قُمْتُ نَهَضُوا إِلَيَّ وَكَلَّمُونِي بِلِسَانِهِمْ فَلَمْ أَعْرِفْ مَا يَقُولُونَ . وَبَقِيتُ أَظُنُّ أَنَّهُ حُلْمٌ وَأَنَّ هٰذَا فِي ٱلْمَنَامِ مِنْ شِدَّةِ مَا كُنْتُ فِيهِ مِنَ ٱلضِّيقِ وَٱلْقَهْرِ . فَلَمَّا كَلَّمُونِي وَلَمْ أَعْرِفْ حَدِيثَهُمْ وَلَمْ أَرُدَّ عَلَيْهِمْ جَوَابًا . تَقَدَّمَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنْهُمْ وَقَالَ لِي بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ : ٱلسَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَخَانَا . مَنْ تَكُونُ أَنْتَ وَمِنْ أَيْنَ جِئْتَ . وَمَا سَبَبُ مَجِيئِكَ إِلَى هٰذَا ٱلْمَكَانِ . وَمِنْ أَيْنَ دَخَلْتَ فِي هٰذَا ٱلْمَاءِ . وَأَيُّ بِلَادٍ خَلْفَ هٰذَا ٱلْجَبَلِ لِأَنَّنَا لَا نَعْلَمُ أَنَّ أَحَدًا سَلَكَ مِنْ هُنَاكَ إِلَيْنَا . فَقُلْتُ لَهُ : مَنْ تَكُونُونَ أَنْتُمْ وَأَيُّ أَرْضٍ هٰذِهِ : فَقَالَ لِي : يَا أَخِي نَحْنُ أَصْحَابُ ٱلزَّرْعِ وَٱلْغِيطَانِ وَجِئْنَا لِنَسْقِيَ غِيطَانَنَا وَزَرْعَنَا فَوَجَدْنَاكَ نَائِمًا فِي ٱلْفُلْكِ فَأَمْسَكْنَاهُ وَرَبَطْنَاهُ عِنْدَنَا حَتَّى تَقُومَ عَلَى مَهْلِكَ . فَأَخْبِرْنَا مَا سَبَبُ وُصُولِكَ إِلَى هٰذَا ٱلْمَكَانِ . فَقُلْتُ لَهُ : بِٱللّٰهِ عَلَيْكَ يَا سَيِّدِي ٱئْتِنِي بِشَيْءٍ

مِنَ ٱلطَّعَامِ فَإِنِّي جَائِعٌ وَبَعْدَ ذٰلِكَ ٱسْأَلْنِي عَمَّا تُرِيدُ . فَأَسْرَعَ وَأَتَانِي بِٱلطَّعَامِ فَأَكَلْتُ حَتَّى شَبِعْتُ وَٱرْتَحْتُ وَسَكَنَ رَوْعِي وَٱزْدَادَ شَبَعِي وَرُدَّتْ لِي رُوحِي . فَحَمِدْتُ ٱللهَ تَعَالَى عَلَى كُلِّ حَالٍ وَفَرِحْتُ بِخُرُوجِي مِنْ ذٰلِكَ ٱلنَّهْرِ وَوُصُولِي إِلَيْهِمْ وَأَخْبَرْتُهُمْ بِجَمِيعِ مَا جَرَى لِي مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ وَمَا لَقِيتُهُ فِي ذٰلِكَ ٱلنَّهْرِ وَضِيقِهِ . ثُمَّ إِنَّهُمْ تَكَلَّمُوا مَعَ بَعْضِهِمْ وَقَالُوا : لَا بُدَّ أَنَّنَا نَأْخُذُهُ مَعَنَا وَنَعْرِضُهُ عَلَى مَلِكِنَا لِيُخْبِرَهُ بِمَا جَرَى لَهُ : قَالَ : فَأَخَذُونِي مَعَهُمْ وَحَمَلُوا مَعِي ٱلْفُلْكَ بِجَمِيعِ مَا فِيهِ مِنَ ٱلْمَالِ وَٱلنَّوَالِ وَٱلْجَوَاهِرِ وَٱلْمَعَادِنِ وَٱلْمَصَاغِ . وَقَدْ أَدْخَلُونِي عَلَى مَلِكِهِمْ وَأَخْبَرُوهُ بِمَا جَرَى . فَسَلَّمَ عَلَيَّ وَرَحَّبَ بِي وَسَأَلَنِي عَنْ حَالِي وَمَا ٱتَّفَقَ لِي مِنَ ٱلْأُمُورِ . فَأَخْبَرْتُهُ بِجَمِيعِ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِي وَمَا لَاقَيْتُهُ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ . فَتَعَجَّبَ ٱلْمَلِكُ مِنْ هٰذِهِ ٱلْحِكَايَةِ غَايَةَ ٱلْعَجَبِ وَهَنَّأَنِي بِٱلسَّلَامَةِ . فَعِنْدَ ذٰلِكَ قُمْتُ وَطَلَعْتُ مِنْ ذٰلِكَ ٱلْفُلْكِ شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ ٱلْمَعَادِنِ وَٱلْجَوَاهِرِ وَٱلْعُودِ وَٱلْعَنْبَرِ ٱلْخَامِ وَأَهْدَيْتُهُ إِلَى ٱلْمَلِكِ فَقَبِلَهُ مِنِّي وَأَكْرَمَنِي إِكْرَامًا زَائِدًا وَأَنْزَلَنِي فِي مَكَانٍ عِنْدَهُ وَقَدْ صَاحَبْتُ أَخْيَارَهُمْ وَأَعَزُّونِي مَعَزَّةً عَظِيمَةً وَصِرْتُ لَا أُفَارِقُ دَارَ ٱلْمَلِكِ . وَصَارَ ٱلْوَارِدُونَ إِلَى تِلْكَ ٱلْجَزِيرَةِ يَسْأَلُونَنِي عَنْ أُمُورِ بِلَادِي فَأُخْبِرُهُمْ بِهَا . وَكَذٰلِكَ أَسْأَلُهُمْ عَنْ أُمُورِ بِلَادِهِمْ فَيُخْبِرُونَنِي بِهَا إِلَى أَنْ سَأَلَنِي مَلِكُهُمْ يَوْمًا مِنَ ٱلْأَيَّامِ عَنْ أَحْوَالِ بِلَادِي وَعَنْ أَحْوَالِ حُكْمِ ٱلْخَلِيفَةِ فِي بِلَادِ مَدِينَةِ بَغْدَادَ

فَأَخْبَرْتُهُ بِعَدْلِهِ فِي أَحْكَامِهِ . فَتَعَجَّبَ مِنْ أُمُورِهِ وَقَالَ لِي : وَاللهِ إِنَّ الْخَلِيفَةَ لَهُ أُمُورٌ عَقْلِيَّةٌ وَأَحْوَالٌ مَرْضِيَّةٌ وَأَنْتَ قَدْ حَبَّبْتَنِي فِيهِ وَمُرَادِي أَنْ أُجَهِّزَ لَهُ هَدِيَّةً وَأُرْسِلَهَا مَعَكَ إِلَيْهِ : فَقُلْتُ : سَمْعًا وَطَاعَةً يَا مَوْلَانَا أُوصِلُهَا إِلَيْهِ وَأُخْبِرُهُ أَنَّكَ مُحِبٌّ صَادِقٌ . وَلَمْ أَزَلْ مُقِيمًا عِنْدَ ذَلِكَ الْمَلِكِ وَأَنَا فِي غَايَةِ الْعِزِّ وَالْإِكْرَامِ وَحُسْنِ مَعِيشَةٍ مُدَّةً مِنَ الزَّمَانِ إِلَى أَنْ كُنْتُ جَالِسًا يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ فِي دَارِ الْمَلِكِ فَسَمِعْتُ بِخَبَرِ جَمَاعَةٍ مِنْ تِلْكَ الْمَدِينَةِ أَنَّهُمْ جَهَّزُوا لَهُمْ مَرْكَبًا يُرِيدُونَ السَّفَرَ فِيهِ إِلَى نَوَاحِي مَدِينَةِ الْبَصْرَةِ . فَقُلْتُ فِي نَفْسِي لَيْسَ لِي أَوْفَقُ مِنَ السَّفَرِ مَعَ هَؤُلَاءِ الْجَمَاعَةِ . فَأَسْرَعْتُ مِنْ وَقْتِي وَسَاعَتِي وَقَبَّلْتُ يَدَ ذَلِكَ الْمَلِكِ وَأَعْلَمْتُهُ بِأَنَّ مُرَادِي السَّفَرُ مَعَ الْجَمَاعَةِ فِي الْمَرْكَبِ الَّذِي جَهَّزُوهُ لِأَنِّي اشْتَقْتُ إِلَى أَهْلِي وَبِلَادِي . فَقَالَ لِي الْمَلِكُ : الرَّأْيُ لَكَ وَإِنْ شِئْتَ الْإِقَامَةَ عِنْدَنَا فَعَلَى الرَّأْسِ وَالْعَيْنِ وَقَدْ حَصَلَ لَنَا أُنْسُكَ . فَقُلْتُ : وَاللهِ يَا سَيِّدِي قَدْ غَمَرْتَنِي بِجَمِيلِكَ وَإِحْسَانِكَ وَلَكِنِّي قَدِ اشْتَقْتُ إِلَى أَهْلِي وَبِلَادِي وَعِيَالِي . فَلَمَّا سَمِعَ كَلَامِي أَحْضَرَ التُّجَّارَ الَّذِينَ جَهَّزُوا الْمَرْكَبَ وَأَوْصَاهُمْ عَلَيَّ وَقَدْ وَهَبَ لِي شَيْئًا كَثِيرًا مِنْ عِنْدِهِ وَدَفَعَ عَنِّي أُجْرَةَ الْمَرْكَبِ وَأَرْسَلَ مَعِي هَدِيَّةً عَظِيمَةً إِلَى الْخَلِيفَةِ هَارُونَ الرَّشِيدِ بِمَدِينَةِ بَغْدَادَ . ثُمَّ إِنِّي وَدَّعْتُ جَمِيعَ أَصْحَابِي الَّذِينَ كُنْتُ أَتَرَدَّدُ عَلَيْهِمْ . ثُمَّ نَزَلْتُ ذَلِكَ الْمَرْكَبَ مَعَ التُّجَّارِ وَسِرْنَا وَقَدْ طَابَ لَنَا الرِّيحُ وَالسَّفَرُ

وَنَحْنُ مُتَوَكِّلُونَ عَلَى اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى . وَلَمْ نَزَلْ مُسَافِرِينَ مِنْ بَحْرٍ إِلَى بَحْرٍ وَمِنْ جَزِيرَةٍ إِلَى جَزِيرَةٍ إِلَى أَنْ وَصَلْنَا بِالسَّلَامَةِ بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى إِلَى مَدِينَةِ الْبَصْرَةِ . فَطَلَعْتُ مِنَ الْمَرْكَبِ وَلَمْ أَزَلْ مُقِيمًا بِأَرْضِ الْبَصْرَةِ أَيَّامًا وَلَيَالِيَ حَتَّى جَهَّزْتُ نَفْسِي وَحَمَّلْتُ حُمُولِي وَتَوَجَّهْتُ إِلَى مَدِينَةِ بَغْدَادَ دَارِ السَّلَامِ . فَدَخَلْتُ عَلَى الْخَلِيفَةِ هَارُونَ الرَّشِيدِ وَقَدَّمْتُ إِلَيْهِ تِلْكَ الْهَدِيَّةَ وَأَخْبَرْتُهُ بِجَمِيعِ مَا جَرَى لِي . ثُمَّ خَزَنْتُ جَمِيعَ أَمْوَالِي وَأَمْتِعَتِي وَدَخَلْتُ حَارَتِي وَجَاءَنِي أَهْلِي وَأَصْحَابِي وَفَرَّقْتُ الْهَدَايَا عَلَى جَمِيعِ أَهْلِي وَتَصَدَّقْتُ وَوَهَبْتُ . وَبَعْدَ مُدَّةٍ مِنَ الزَّمَانِ أَرْسَلَ إِلَيَّ الْخَلِيفَةُ فَسَأَلَنِي عَنْ سَبَبِ تِلْكَ الْهَدِيَّةِ وَمِنْ أَيْنَ هِيَ . فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَاللهِ لَا أَعْرِفُ لِلْمَدِينَةِ الَّتِي هِيَ مِنْهَا اسْمًا وَلَا طَرِيقًا . وَلَكِنْ لَمَّا غَرِقَ الْمَرْكَبُ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ طَلَعْتُ عَلَى جَزِيرَةٍ وَقَدْ صَنَعْتُ لِي فُلْكًا وَنَزَلْتُ فِيهِ فِي نَهْرٍ كَانَ فِي وَسَطِ جَزِيرَةٍ . وَأَخْبَرْتُهُ بِمَا جَرَى لِي فِي السَّفْرَةِ وَكَيْفَ كَانَ خَلَاصِي مِنْ ذَلِكَ النَّهْرِ إِلَى تِلْكَ الْمَدِينَةِ وَبِمَا جَرَى لِي فِيهَا وَبِسَبَبِ إِرْسَالِي الْهَدِيَّةَ . فَتَعَجَّبَ الْخَلِيفَةُ مِنْ ذَلِكَ غَايَةَ الْعَجَبِ وَأَمَرَ الْمُؤَرِّخِينَ أَنْ يَكْتُبُوا حِكَايَتِي وَيَجْعَلُوهَا فِي خِزَانَتِهِ لِيَعْتَبِرَ بِهَا كُلُّ مَنْ رَآهَا

حِكَايَةُ عَابِدٍ

زَعَمُوا أَنَّ بَعْضَ الْعُبَّادِ كَانَ يَتَعَبَّدُ فِي بَعْضِ الْجِبَالِ . وَكَانَ

يَأْوِي إِلَى ذٰلِكَ ٱلْجَبَلِ زَوْجٌ مِنَ ٱلْحَمَامِ . وَكَانَ ذٰلِكَ ٱلْعَابِدُ قَدْ قَسَمَ قُوتَهُ نِصْفَيْنِ . وَجَعَلَ نِصْفَهُ لِنَفْسِهِ . وَنِصْفَهُ لِذٰلِكَ ٱلزَّوْجِ ٱلْحَمَامِ . وَدَعَا ٱلْعَابِدُ لَهُمَا بِكَثْرَةِ ٱلنَّسْلِ فَكَثُرَ نَسْلُهُمَا . وَلَمْ يَكُنِ ٱلْحَمَامُ يَأْوِي سِوَى ٱلْجَبَلِ ٱلَّذِي فِيهِ ٱلْعَابِدُ . وَكَانَ ٱلسَّبَبُ فِي ٱجْتِمَاعِ ٱلْحَمَامِ بِٱلْعَابِدِ كَثْرَةَ تَسْبِيحِ ٱلْحَمَامِ . وَقِيلَ : إِنَّ ٱلْحَمَامَ يَقُولُ فِي تَسْبِيحِهِ : سُبْحَانَ خَالِقِ ٱلْخَلْقِ . وَقَاسِمِ ٱلرِّزْقِ . وَبَانِي ٱلسَّمَوَاتِ . وَبَاسِطِ ٱلْأَرَضِينَ : وَلَمْ يَزَلْ ذٰلِكَ ٱلزَّوْجُ ٱلْحَمَامُ فِي أَرْغَدِ عَيْشٍ هُوَ وَنَسْلُهُ حَتَّى مَاتَ ٱلْعَابِدُ . فَتَشَتَّتَ شَمْلُ ٱلْحَمَامِ وَتَفَرَّقَ فِي ٱلْمُدُنِ وَٱلْقُرَى وَٱلْجِبَالِ

حِكَايَةُ ٱلرَّاعِي ٱلْعَابِدِ

ذَكَرُوا أَنَّهُ كَانَ فِي بَعْضِ ٱلْجِبَالِ رَجُلٌ مِنَ ٱلرُّعَاةِ . وَكَانَ صَاحِبَ دِينٍ وَعَقْلٍ وَعِفَّةٍ . وَكَانَ لَهُ أَغْنَامٌ يَرْعَاهَا وَيَنْتَفِعُ بِأَلْبَانِهَا وَأَصْوَافِهَا . وَكَانَ ذٰلِكَ ٱلْجَبَلُ ٱلَّذِي يَأْوِي إِلَيْهِ ٱلرَّاعِي كَثِيرَ ٱلْأَشْجَارِ وَٱلْمَرْعَى وَٱلسِّبَاعِ . وَلَمْ يَكُنْ لِتِلْكَ ٱلْوُحُوشِ قُدْرَةٌ عَلَى ٱلرَّاعِي وَلَا عَلَى غَنَمِهِ . وَلَمْ يَزَلْ مُقِيمًا فِي ٱلْجَبَلِ مُطْمَئِنًّا لَا يُهِمُّهُ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ ٱلدُّنْيَا . لِسَعَادَتِهِ وَإِقْبَالِهِ عَلَى صَلَاتِهِ وَعِبَادَتِهِ . فَقَدَّرَ ٱللّٰهُ أَنَّهُ مَرِضَ مَرَضًا شَدِيدًا فَدَخَلَ ٱلْعَابِدُ فِي كَهْفِ ٱلْجَبَلِ . وَصَارَتِ ٱلْغَنَمُ تَخْرُجُ بِٱلنَّهَارِ إِلَى مَرْعَاهَا وَتَأْوِي بِٱللَّيْلِ إِلَى ٱلْكَهْفِ وَكَانَ قَرِيبًا مِنَ ٱلرَّاعِي قَرْيَةٌ فِيهَا رَجُلٌ مِنَ ٱلصَّالِحِينَ لَمْ يَعْلَمْ

بِمَكَانِهِ . فَرَأَى فِي مَنَامِهِ كَأَنَّ قَائِلًا يَقُولُ لَهُ : إِنَّ بِالْقُرْبِ مِنْكَ فِي مَكَانِ كَذَا رَجُلًا صَالِحًا . فَاذْهَبْ إِلَيْهِ وَكُنْ تَحْتَ طَاعَةِ أَمْرِهِ . فَلَمَّا أَصْبَحَ الصَّبَاحُ تَوَجَّهَ نَحْوَهُ سَائِرًا . فَلَمَّا اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْحَرُّ انْتَهَى إِلَى شَجَرَةٍ عِنْدَهَا عَيْنُ مَاءٍ تَجْرِي . فَاسْتَرَاحَ هُنَاكَ وَجَلَسَ فِي ظِلِّ تِلْكَ الشَّجَرَةِ . فَإِذَا هُوَ بِوُحُوشٍ وَطُيُورٍ أَتَتْ إِلَى تِلْكَ الْعَيْنِ لِتَشْرَبَ مِنْهَا . فَلَمَّا رَأَتِ الْعَابِدَ جَالِسًا نَفَرَتْ مِنْهُ وَرَجَعَتْ وَشَرَدَتْ . فَقَالَ الْعَابِدُ : لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ . إِنِّي لَمْ أَسْتَرِحْ هُنَا إِلَّا ضَرَرًا عَلَى هٰذِهِ الْوُحُوشِ وَالطُّيُورِ . فَقَامَ وَقَالَ مُعَاتِبًا لِنَفْسِهِ : لَقَدْ أَضَرَّ بِهٰذِهِ الْحَيَوَانَاتِ فِي هٰذَا الْيَوْمِ جُلُوسِي فِي هٰذَا الْمَكَانِ . فَمَا الْعُذْرُ بَيْنِي وَبَيْنَ خَالِقِي وَخَالِقِ هٰذِهِ الطُّيُورِ وَالْوُحُوشِ فَإِنِّي كُنْتُ سَبَبًا لِشُرُودِهَا عَنْ شُرْبِهَا وَعَنْ رِزْقِهَا وَمَرْعَاهَا . فَوَاخَجْلَتِي مِنْ رَبِّي يَوْمَ يَقْتَصُّ لِلشَّاةِ الْجَمَّاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ : ثُمَّ بَكَى وَأَنْشَدَ يَقُولُ هٰذِهِ الْأَبْيَاتَ

أَمَا وَاللهِ لَوْ عَلِمَ الْأَنَامُ ... لَمَا خُلِقُوا لَمَا غَفَلُوا وَنَامُوا
فَمَوْتٌ ثُمَّ بَعْثٌ ثُمَّ حَشْرٌ ... وَتَوْبِيخٌ وَأَهْوَالٌ عِظَامُ
وَنَحْنُ إِذَا انْتَهَيْنَا أَوْ أُمِرْنَا ... كَأَهْلِ الْكَهْفِ أَيْقَاظٌ نِيَامُ

ثُمَّ بَكَى عَلَى جُلُوسِهِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ عِنْدَ الْعَيْنِ وَمَنْعِهِ الطُّيُورَ وَالْوُحُوشَ مِنْ شُرْبِهَا . وَوَلَّى سَائِحًا عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أَتَى إِلَى الرَّاعِي فَدَخَلَ إِلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ وَعَانَقَهُ وَبَكَى . فَقَالَ لَهُ

الرَّاعِي: مَا الَّذِي أَتَى بِكَ إِلَى هٰذَا الْمَكَانِ الَّذِي لَمْ يَدْخُلْهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ عَلَيَّ. فَقَالَ لَهُ الْعَابِدُ: إِنِّي رَأَيْتُ فِي مَنَامِي مَنْ يَصِفُ لِي مَكَانَكَ وَيَأْمُرُنِي أَنْ أَسِيرَ إِلَيْكَ وَأُسَلِّمَ عَلَيْكَ. فَأَتَيْتُكَ مُمْتَثِلًا لِمَا أُمِرْتُ بِهِ. فَقَبِلَهُ الرَّاعِي وَطَابَتْ نَفْسُهُ بِصُحْبَتِهِ وَجَلَسَ مَعَهُ فِي الْجَبَلِ يَعْبُدَانِ اللهَ فِي ذٰلِكَ الْغَارِ. فَحَسُنَتْ عِبَادَتُهُمَا وَلَمْ يَزَالَا فِي ذٰلِكَ الْمَكَانِ يَعْبُدَانِ رَبَّهُمَا وَيَتَقَوَّتَانِ مِنْ لُحُومِ الْغَنَمِ وَأَلْبَانِهَا مُتَجَرِّدَيْنِ عَنِ الْمَالِ وَالْبَنِينَ إِلَى أَنْ أَتَاهُمَا الْيَقِينُ. وَهٰذَا آخِرُ حَدِيثِهِمَا

حِكَايَاتُ مَلَاكِ الْمَوْتِ

الْحِكَايَةُ الْأُولَى

ذَكَرُوا أَنَّ مَلِكًا مِنَ الْمُلُوكِ الْمُتَقَدِّمِينَ. أَرَادَ أَنْ يَرْكَبَ يَوْمًا. فِي جُمْلَةِ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ وَأَرْبَابِ دَوْلَتِهِ. وَيُظْهِرَ لِلْخَلَائِقِ عَجَائِبَ زِينَتِهِ. فَأَمَرَ أَصْحَابَهُ وَأُمَرَاءَهُ وَكُبَرَاءَ دَوْلَتِهِ أَنْ يَأْخُذُوا أُهْبَةَ الْخُرُوجِ مَعَهُ. وَأَمَرَ خَازِنَ الثِّيَابِ بِأَنْ يُحْضِرَ لَهُ مِنْ أَفْخَرِ الثِّيَابِ مَا يَصْلُحُ لِلْمَلِكِ فِي زِينَتِهِ. وَأَمَرَ بِإِحْضَارِ خَيْلِهِ الْمَوْصُوفَةِ الْعِتَاقِ الْمَعْرُوفَةِ. فَفَعَلُوا ذٰلِكَ. ثُمَّ إِنَّهُ اخْتَارَ مِنَ الثِّيَابِ مَا أَعْجَبَهُ. وَمِنَ الْخَيْلِ مَا اسْتَحْسَنَهُ. ثُمَّ لَبِسَ الثِّيَابَ وَرَكِبَ الْجَوَادَ. وَسَارَ بِالْمَوْكِبِ. وَالطَّوْقِ الْمُرَصَّعِ بِالْجَوَاهِرِ وَأَصْنَافِ الدُّرِّ وَالْيَوَاقِيتِ. وَجَعَلَ

يَرْكُضُ الْحِصَانَ فِي عَسْكَرِهِ وَيَفْتَخِرُ بِتِيهِهِ وَتَجَبُّرِهِ . فَأَتَاهُ إِبْلِيسُ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى مَنْخَرِهِ وَنَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَفْخَةَ الْكِبْرِ وَالْعُجْبِ فَزَهَا وَقَالَ فِي نَفْسِهِ : مَنْ فِي الْعَالَمِ مِثْلِي : وَطَفِقَ يَتِيهُ بِالْعُجْبِ وَالْكِبْرِ وَيُظْهِرُ الْأُبَّهَةَ . وَيَزْهُو بِالْخُيَلَاءِ وَلَا يَنْظُرُ إِلَى أَحَدٍ مِنْ تِيهِهِ وَكِبْرِهِ . وَعُجْبِهِ وَفَخْرِهِ . فَوَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ رَجُلٌ عَلَيْهِ ثِيَابٌ رَثَّةٌ . فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ . فَقَبَضَ عَلَى عِنَانِ فَرَسِهِ . فَقَالَ لَهُ الْمَلَكُ : ارْفَعْ يَدَكَ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي بِعِنَانِ مَنْ قَدْ أَمْسَكْتَ . فَقَالَ لَهُ : إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً : فَقَالَ : اصْبِرْ حَتَّى أَنْزِلَ وَاذْكُرْ حَاجَتَكَ . فَقَالَ : إِنَّهَا سِرٌّ وَلَا أَقُولُهَا إِلَّا فِي أُذُنِكَ . فَمَالَ بِسَمْعِهِ إِلَيْهِ . فَقَالَ لَهُ : أَنَا مَلَاكُ الْمَوْتِ . وَأُرِيدُ قَبْضَ رُوحِكَ . فَقَالَ : أَمْهِلْنِي بِقَدْرِ مَا أَعُودُ إِلَى بَيْتِي . وَأُوَدِّعُ أَهْلِي وَأَوْلَادِي وَجِيرَانِي وَزَوْجَتِي . فَقَالَ : كَلَّا . لَا تَعُودُ وَلَنْ تَرَاهُمْ أَبَدًا . فَإِنَّهُ قَدْ مَضَى أَجَلُ عُمْرِكَ . فَأَخَذَ رُوحَهُ وَهُوَ عَلَى ظَهْرِ فَرَسِهِ . فَخَرَّ مَيِّتًا

وَمَضَى مَلَاكُ الْمَوْتِ مِنْ هُنَاكَ . فَأَتَى رَجُلًا صَالِحًا قَدْ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ . فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيْهِ . فَقَالَ مَلَاكُ الْمَوْتِ : أَيُّهَا الرَّجُلُ الصَّالِحُ . إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً وَهِيَ سِرٌّ . فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ : اذْكُرْ حَاجَتَكَ فِي أُذُنِي فَقَالَ : أَنَا مَلَاكُ الْمَوْتِ . فَقَالَ الرَّجُلُ : مَرْحَبًا بِكَ . الْحَمْدُ لِلهِ عَلَى مَجِيئِكَ فَإِنِّي كُنْتُ كَثِيرًا أَتَرَقَّبُ وُصُولَكَ إِلَيَّ . وَلَقَدْ طَالَتْ غَيْبَتُكَ عَنِ الْمُشْتَاقِ إِلَى قُدُومِكَ .

فَقَالَ لَهُ مَلَكُ ٱلْمَوْتِ : إِنْ كَانَ لَكَ شُغْلٌ فَٱقْضِهِ . فَقَالَ لَهُ : لَيْسَ لِي شُغْلٌ أَهَمُّ عِنْدِي مِنْ لِقَاءِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ : فَقَالَ : كَيْفَ تُحِبُّ أَنْ أَقْبِضَ رُوحَكَ . فَإِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَقْبِضَهَا كَيْفَ أَرَدْتَ وَٱخْتَرْتَ : فَقَالَ : أَمْهِلْنِي حَتَّى أَسْجُدَ وَأُصَلِّيَ . فَإِذَا سَجَدْتُ وَصَلَّيْتُ فَٱقْبِضْ رُوحِي وَأَنَا سَاجِدٌ . فَقَالَ مَلَكُ ٱلْمَوْتِ : إِنَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَنِي أَنْ لَا أَقْبِضَ رُوحَكَ إِلَّا بِٱخْتِيَارِكَ كَيْفَ أَرَدْتَ . وَأَنَا أَفْعَلُ مَا قُلْتَ . فَقَامَ ٱلرَّجُلُ وَسَجَدَ وَصَلَّى فَقَبَضَ مَلَكُ ٱلْمَوْتِ رُوحَهُ وَهُوَ سَاجِدٌ وَنَقَلَهُ ٱللهُ تَعَالَى إِلَى مَحَلِّ ٱلرَّحْمَةِ وَٱلرِّضْوَانِ وَٱلْمَغْفِرَةِ

أَلْحِكَايَةُ ٱلثَّانِيَةُ

زَعَمُوا أَنَّ مَلِكًا مِنَ ٱلْمُلُوكِ كَانَ قَدْ جَمَعَ مَالًا عَظِيمًا لَا يُحْصَى عَدَدُهُ . وَٱحْتَوَى عَلَى أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ خَلَقَهُ ٱللهُ تَعَالَى فِي ٱلدُّنْيَا لِيُرَفِّهَ نَفْسَهُ حَتَّى إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَفَرَّغَ لِمَا جَمَعَهُ مِنَ ٱلنِّعَمِ ٱلطَّائِلَةِ بَنَى لَهُ قَصْرًا عَالِيًا مُرْتَفِعًا شَاهِقًا يَصْلُحُ لِلْمُلُوكِ وَيَكُونُ بِهِمْ لَائِقًا . ثُمَّ رَكَّبَ عَلَيْهِ بَابَيْنِ مُحْكَمَيْنِ وَرَتَّبَ لَهُ ٱلْغِلْمَانَ وَٱلْأَجْنَادَ وَٱلْبَوَّابِينَ كَمَا أَرَادَ . وَأَمَرَ ٱلطَّبَّاخَ فِي بَعْضِ ٱلْأَيَّامِ أَنْ يَصْنَعَ لَهُ شَيْئًا مِنْ أَطْيَبِ ٱلطَّعَامِ . وَجَمَعَ أَهْلَهُ وَحَشَمَهُ وَأَصْحَابَهُ وَخَدَمَهُ لِيَأْكُلُوا عِنْدَهُ وَيَنَالُوا رِفْدَهُ . وَجَلَسَ عَلَى سَرِيرِ مَمْلَكَتِهِ وَسِيَادَتِهِ . وَٱتَّكَأَ عَلَى وِسَادَتِهِ . وَخَاطَبَ نَفْسَهُ وَقَالَ : يَا نَفْسُ . قَدْ جَمَعْتُ لَكِ نِعَمَ ٱلدُّنْيَا بِأَسْرِهَا . فَٱلْآنَ تَفَرَّغِي وَكُلِي مِنْ هٰذِهِ

النعم مهنأة بالعمر الطويل . والحظ الجزيل . فلم يفرغ مما حدث به نفسه . حتى أتاه رجل من ظاهر القصر عليه ثياب رثة وفي عنقه مخلاة معلقة على هيئة سائل لينال الطعام . فجاء وطرق حلقة باب القصر طرقة عظيمة هائلة . كادت تزلزل القصر وترعج السرير . فخاف الغلمان فوثبوا إلى الباب وصاحوا بالطارق وقالوا له : ويحك ما هذه الفعلة وسوء الأدب . اصبر حتى يأكل الملك ونعطيك مما يفضل . فقال للغلمان : قولوا لصاحبكم يخرج إلي حتى يكلمني فلي إليه حاجة وشغل مهم وأمر ملم . فقالوا : تنح أيها الضعيف من أنت حتى تأمر صاحبنا بالخروج إليك . فقال لهم : عرفوه ذلك . فجاؤوا إليه وعرفوه . فقال : هلا زجرتموه وجردتم عليه ونهرتموه . ثم طرق الباب أعظم من الطرقة الأولى . فنهض الغلمان إليه بالعصي والسلاح وقصدوه ليحاربوه . فصاح بهم صيحة وقال : الزموا أماكنكم . فأنا ملك الموت . فرعبت قلوبهم وذهبت عقولهم وطاشت حلومهم وارتعدت فرائصهم وبطلت عن الحركة جوارحهم . فقال لهم الملك : قولوا له يأخذ بدلا مني وعوضا عني . فقال ملك الموت : لا آخذ بدلا ولا أتيت إلا من أجلك لأفرق بينك وبين النعم التي جمعتها والأموال التي حويتها وخزنتها . فعند ذلك تنفس الصعداء وبكى وقال : لعن الله المال الذي غرني وأضرني ومنعني عن عبادة ربي . وكنت

أَظُنُّ أَنَّهُ يَنْفَعُنِي. فَبَقِيَ ٱلْيَوْمَ حَسْرَةً عَلَيَّ وَوَبَالًا لَدَيَّ. وَهَا أَنَا أَخْرُجُ صِفْرَ ٱلْيَدَيْنِ مِنْهُ وَيَبْقَى لِأَعْدَائِي. (قَالَ) فَأَنْطَقَ ٱللهُ ٱلْمَالَ وَقَالَ: لِأَيِّ سَبَبٍ تَلْعَنُنِي ٱلْعَنْ نَفْسَكَ. فَإِنَّ ٱللهَ تَعَالَى خَلَقَنِي وَإِيَّاكَ مِنْ تُرَابٍ وَجَعَلَنِي فِي يَدِكَ لِتَتَزَوَّدَ مِنِّي لِآخِرَتِكَ وَتَتَصَدَّقَ بِي عَلَى ٱلْفُقَرَاءِ وَٱلْمَسَاكِينِ وَٱلضُّعَفَاءِ. وَلِتَعْمُرَ بِي ٱلْمَسَاجِدَ وَٱلْجُسُورَ وَٱلْقَنَاطِرَ لِأَكُونَ عَوْنًا لَكَ فِي ٱلدَّارِ ٱلْآخِرَةِ. وَأَنْتَ جَمَعْتَنِي وَخَزَنْتَنِي وَفِي هَوَاكَ أَنْفَقْتَنِي وَلَمْ تَشْكُرْ لِخَالِقِي بَلْ كَفَرْتَنِي. فَٱلْآنَ تَرَكْتَنِي لِأَعْدَائِكَ وَأَنْتَ بِحَسْرَتِكَ وَنَدَامَتِكَ. فَأَيُّ ذَنْبٍ لِي حَتَّى تَسُبَّنِي. ثُمَّ إِنَّ مَلَكَ ٱلْمَوْتِ قَبَضَ رُوحَهُ وَهُوَ عَلَى سَرِيرِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْكُلَ ٱلطَّعَامَ. فَخَرَّ مَيِّتًا سَاقِطًا مِنْ فَوْقِ سَرِيرِهِ كَقَوْلِهِ: حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ

ٱلْحِكَايَةُ ٱلثَّانِيَةُ

حُكِيَ أَنَّ مَلِكًا جَبَّارًا مِنْ مُلُوكِ بَنِي إِسْرَائِيلَ. كَانَ فِي بَعْضِ ٱلْأَيَّامِ جَالِسًا عَلَى سَرِيرِ مَمْلَكَتِهِ. فَرَأَى رَجُلًا قَدْ دَخَلَ عَلَيْهِ مِنْ بَابِ ٱلدَّارِ وَلَهُ صُورَةٌ مُنْكَرَةٌ وَهَيْئَةٌ هَائِلَةٌ. فَٱشْمَأَزَّ مِنْ هُجُومِهِ عَلَيْهِ وَفَزِعَ مِنْ هَيْئَتِهِ فَوَثَبَ فِي وَجْهِهِ وَقَالَ: مَنْ أَنْتَ أَيُّهَا ٱلرَّجُلُ. وَمَنْ أَذِنَ لَكَ فِي ٱلدُّخُولِ عَلَيَّ وَأَمَرَكَ بِٱلْمَجِيءِ إِلَى دَارِي. فَقَالَ: أَمَرَنِي صَاحِبُ ٱلدَّارِ. وَأَنَا لَا يَحْجُبُنِي حَاجِبٌ وَلَا أَحْتَاجُ فِي دُخُولِ ٱلْمُلُوكِ إِلَى إِذْنٍ. وَلَا أَرْهَبُ سِيَاسَةَ سُلْطَانٍ وَلَا

كَثْرَةَ أَعْوَانٍ. أَنَا الَّذِي لَا يَقْرَعُنِي جَبَّارٌ. وَلَا لِأَحَدٍ مِنْ قَبْضَتِي فِرَارٌ. أَنَا هَادِمُ اللَّذَّاتِ وَمُفَرِّقُ الْجَمَاعَاتِ. فَلَمَّا سَمِعَ الْمَلِكُ هٰذَا الْكَلَامَ خَرَّ عَلَى وَجْهِهِ وَدَبَّتِ الرِّعْدَةُ فِي بَدَنِهِ وَوَقَعَ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ. فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ: أَنْتَ مَلَكُ الْمَوْتِ. قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: أُقْسِمُ عَلَيْكَ بِاللهِ إِلَّا مَا أَمْهَلْتَنِي يَوْمًا وَاحِدًا لِأَسْتَغْفِرَ مِنْ ذَنْبِي. وَأَطْلُبَ الْعُذْرَ مِنْ رَبِّي وَأَرُدَّ الْأَمْوَالَ الَّتِي فِي خَزَائِنِي لِأَرْبَابِهَا. وَلَا أَتَحَمَّلَ مَشَقَّةَ حِسَابِهَا وَوَيْلَ عِقَابِهَا. فَقَالَ مَلَكُ الْمَوْتِ: هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ. لَا سَبِيلَ لَكَ إِلَى ذٰلِكَ. وَكَيْفَ أُمْهِلُكَ وَأَيَّامُ عُمُرِكَ مَحْسُوبَةٌ. وَأَنْفَاسُكَ مَعْدُودَةٌ وَأَوْقَاتُكَ مَثْبُوتَةٌ مَكْتُوبَةٌ. فَقَالَ أَمْهِلْنِي سَاعَةً. فَقَالَ: إِنَّ السَّاعَةَ فِي الْحِسَابِ وَقَدْ مَضَتْ وَأَنْتَ غَافِلٌ. وَانْقَضَتْ وَأَنْتَ ذَاهِلٌ. وَقَدِ اسْتَوْفَيْتَ أَنْفَاسَكَ. وَلَمْ يَبْقَ لَكَ إِلَّا نَفَسٌ وَاحِدٌ: فَقَالَ: مَنْ يَكُونُ عِنْدِي إِذَا نُقِلْتُ إِلَى لَحْدِي. قَالَ: لَا يَكُونُ عِنْدَكَ إِلَّا عَمَلُكَ. فَقَالَ: مَالِي عَمَلٌ. قَالَ: لَا جَرَمَ إِنَّهُ يَكُونُ مَقِيلُكَ فِي النَّارِ وَمَصِيرُكَ إِلَى غَضَبِ الْجَبَّارِ. ثُمَّ قَبَضَ رُوحَهُ فَخَرَّ سَاقِطًا عَنْ سَرِيرِهِ. وَوَقَعَ إِلَى الْأَرْضِ. فَحَصَلَ الصَّجِيجُ فِي أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ وَارْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ وَعَلَا الصِّيَاحُ وَالْبُكَاءُ. وَلَوْ عَلِمُوا مَا يَصِيرُ إِلَيْهِ مِنْ سُخْطِ رَبِّهِ لَكَانَ بُكَاؤُهُمْ عَلَيْهِ أَكْثَرَ وَعَوِيلُهُمْ أَشَدَّ وَأَوْفَرَ

ذِكْرُ الْمَوْتِ الدَّائِمِ

حُكِيَ أَنَّ إِسْكَنْدَرَ ذَا الْقَرْنَيْنِ اجْتَازَ فِي سَفَرِهِ بِقَوْمٍ ضُعَفَاءَ

لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا مِنْ أَسْبَابِ الدُّنْيَا. وَقَدْ حَفَرُوا قُبُورَ مَوْتَاهُمْ عَلَى أَبْوَابِ دُورِهِمْ. وَكَانُوا فِي كُلِّ وَقْتٍ يَتَعَهَّدُونَ تِلْكَ الْقُبُورِ وَيَكْنُسُونَ التُّرَابَ عَنْهَا وَيُنَظِّفُونَهَا وَيَزُورُونَهَا وَيَعْبُدُونَ اللهَ تَعَالَى فِيهَا وَلَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا الْحَشِيشُ وَنَبَاتُ الْأَرْضِ. فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ إِسْكَنْدَرُ ذُو الْقَرْنَيْنِ رَجُلًا يَسْتَدْعِي مَلِكَهُمْ إِلَيْهِ فَلَمْ يُجِبْهُ وَقَالَ: مَالِي إِلَيْهِ حَاجَةٌ. فَسَارَ ذُو الْقَرْنَيْنِ إِلَيْهِ وَقَالَ: كَيْفَ حَالُكُمْ وَمَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ. فَإِنِّي لَا أَرَى لَكُمْ شَيْئًا مِنْ ذَهَبٍ وَلَا مِنْ فِضَّةٍ وَلَا أَجِدُ عِنْدَكُمْ شَيْئًا مِنْ نَعِيمِ الدُّنْيَا. فَقَالَ لَهُ: إِنَّ نَعِيمَ الدُّنْيَا لَا يَشْبَعُ مِنْهُ أَحَدٌ. فَقَالَ لَهُ إِسْكَنْدَرُ: لِمَ حَفَرْتُمُ الْقُبُورَ عَلَى أَبْوَابِكُمْ. فَقَالَ: لِتَكُونَ نُصْبَ أَعْيُنِنَا. فَنَنْظُرُ إِلَيْهَا وَنُجَدِّدُ ذِكْرَ الْمَوْتِ وَلَا نَنْسَى الْآخِرَةَ وَيَذْهَبُ حُبُّ الدُّنْيَا مِنْ قُلُوبِنَا. فَلَا نَشْتَغِلُ بِهَا عَنْ عِبَادَةِ رَبِّنَا تَعَالَى. فَقَالَ إِسْكَنْدَرُ: كَيْفَ تَأْكُلُونَ الْحَشِيشَ. قَالَ: لِأَنَّا نَكْرَهُ أَنْ نَجْعَلَ فِي بُطُونِنَا قُبُورَ الْحَيَوَانَاتِ. وَلِأَنَّ لَذَّةَ الطَّعَامِ لَا تَتَجَاوَزُ الْحَلْقَ. ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ فَأَخْرَجَ قِحْفًا مِنْ رَأْسِ آدَمِيٍّ فَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْ إِسْكَنْدَرَ وَقَالَ لَهُ: يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ. أَتَعْلَمُ مَنْ كَانَ صَاحِبَ هٰذَا. قَالَ: لَا. قَالَ: كَانَ صَاحِبُهُ مَلِكًا مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا. فَكَانَ يَظْلِمُ رَعِيَّتَهُ وَيَجُورُ عَلَيْهِمْ وَعَلَى الضُّعَفَاءِ وَيَسْتَفْرِغُ زَمَانَهُ فِي جَمْعِ حُطَامِ الدُّنْيَا. فَقَبَضَ اللهُ رُوحَهُ وَجَعَلَ النَّارَ مَقَرَّهُ وَهٰذَا رَأْسُهُ. ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ وَوَضَعَ قِحْفًا آخَرَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَالَ لَهُ: أَتَعْرِفُ هٰذَا

قَالَ: لَا. قَالَ هٰذَا كَانَ مَلِكًا مِنْ مُلُوكِ ٱلْأَرْضِ وَكَانَ عَادِلًا فِي رَعِيَّتِهِ. شَفُوقًا عَلَى أَهْلِ وَلَايَتِهِ وَمُلْكِهِ. فَقَبَضَ ٱللهُ رُوحَهُ وَأَسْكَنَهُ جَنَّتَهُ وَرَفَعَ دَرَجَتَهُ. وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِ ذِي ٱلْقَرْنَيْنِ وَقَالَ: تُرَى أَنْتَ أَيُّ هٰذَيْنِ ٱلرَّأْسَيْنِ. فَبَكَى ذُو ٱلْقَرْنَيْنِ بُكَاءً شَدِيدًا وَضَمَّهُ إِلَى صَدْرِهِ وَقَالَ لَهُ: إِنْ أَنْتَ رَغِبْتَ فِي صُحْبَتِي. سَلَّمْتُ إِلَيْكَ وِزَارَتِي وَقَاسَمْتُكَ فِي مَمْلَكَتِي. فَقَالَ ٱلرَّجُلُ: هَيْهَاتِ هَيْهَاتِ. مَا لِي رَغْبَةٌ فِي هٰذَا. فَقَالَ لَهُ إِسْكَنْدَرُ. وَلِمَ ذٰلِكَ. قَالَ: لِأَنَّ ٱلْخَلْقَ كُلَّهُمْ أَعْدَاؤُكَ بِسَبَبِ ٱلْمَالِ وَٱلْمُلْكِ ٱلَّذِي أُعْطِيتَهُ. وَجَمِيعُهُمْ أَصْدِقَائِي فِي ٱلْحَقِيقَةِ بِسَبَبِ ٱلْقَنَاعَةِ وَٱلصَّعْلَكَةِ. لِأَنَّنِي لَيْسَ لِي مُلْكٌ وَلَا طَمَعٌ فِي ٱلدُّنْيَا. وَلَا لِي إِلَيْهَا طَلَبٌ. وَلَا فِيهَا أَدَبٌ. وَلَيْسَ لِي إِلَّا ٱلْقَنَاعَةُ حَسَبٌ. فَضَمَّهُ إِسْكَنْدَرُ إِلَى صَدْرِهِ وَقَبَّلَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَٱنْصَرَفَ

نُخَبٌ

مِمَّا كَتَبَهُ بَعْضُ ٱلْعُلَمَاءِ

فِي ٱلْجُودِ وَٱلْكَرَمِ وَٱلْمُكَافَأَةِ وَغَيْرِ ذٰلِكَ

فِي طَلِبَةِ أَعْمَيَيْنِ

حُكِيَ أَنَّ رَجُلَيْنِ أَعْمَيَيْنِ كَانَا يَجْلِسَانِ عَلَى طَرِيقِ أُمِّ جَعْفَرٍ.

وَكَانَتْ مَوْصُوفَةً بِالْكَرَمِ. وَكَانَ أَحَدُهُمَا ذَا عِيَالٍ وَأَهْلٍ وَكَانَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي مِنْ فَضْلِكَ الْوَاسِعِ. وَكَانَ الْآخَرُ عَزَبًا لَا أَهْلَ لَهُ وَكَانَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي مِنْ فَضْلِ أُمِّ جَعْفَرٍ. فَصَارَتْ تُرْسِلُ لِلطَّالِبِ مِنْ فَضْلِ اللهِ دِرْهَمَيْنِ وَتُرْسِلُ لِطَالِبِ فَضْلِهَا رَغِيفَيْنِ بَيْنَهُمَا دَجَاجَةٌ مَشْوِيَّةٌ فِي بَطْنِهَا عَشَرَةُ دَنَانِيرَ لَمْ تُعْلِمْهُ بِهَا. فَكَانَ يَكْرَهُ ذٰلِكَ وَيَقُولُ لِلْآخَرِ: خُذْ هٰذَيْنِ الرَّغِيفَيْنِ وَالدَّجَاجَةَ وَأَعْطِنِي الدِّرْهَمَيْنِ فَيَفْعَلُ ذٰلِكَ. فَمَضَى عَلَى ذٰلِكَ شَهْرٌ ثُمَّ أَرْسَلَتْ أُمُّ جَعْفَرٍ تَقُولُ: قُولُوا لِطَالِبِ فَضْلِنَا أَمَا أَغْنَاكَ عَطَاؤُنَا. فَقَالَ لَهُمْ: قُولُوا لَهَا مَا أَعْطَيْتِهِ. فَقَالَتْ: ثَلَاثَمِائَةِ دِينَارٍ. فَقَالَ: لَا وَاللهِ بَلْ كَانَتْ تُرْسِلُ لِي دَجَاجَةً وَرَغِيفَيْنِ كُلَّ يَوْمٍ وَكُنْتُ أَبِيعُهَا لِصَاحِبِي بِدِرْهَمَيْنِ. فَقَالَتْ أُمُّ جَعْفَرٍ: صَدَقَ الرَّجُلُ. إِنَّهُ طَلَبَ مِنْ فَضْلِ اللهِ فَأَغْنَاهُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَلَمْ يَقْصِدْ غِنَاهُ. وَالْآخَرُ طَلَبَ مِنْ فَضْلِنَا فَرَحِمَهُ اللهُ

(نوادر القليوبي)

فِي قِطٍّ يَقُوتُ قِطًّا

حَكَى ابْنُ خَلِّكَانَ وَغَيْرُهُ فِي تَرْجَمَةِ الْإِمَامِ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ بَابَشَاذَ النَّحْوِيِّ. أَنَّهُ كَانَ يَوْمًا عَلَى سَطْحِ جَامِعِ مِصْرَ يَأْكُلُ شَيْئًا وَعِنْدَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ. فَحَضَرَهُمْ قِطٌّ فَرَمَوْا لَهُ لُقْمَةً فِي فِيهِ وَغَابَ عَنْهُمْ. ثُمَّ عَادَ إِلَيْهِمْ فَرَمَوْا لَهُ لُقْمَةً ثَانِيَةً فَأَخَذَهَا وَذَهَبَ. ثُمَّ عَادَ فَرَمَوْا لَهُ شَيْئًا فَأَخَذَهُ وَذَهَبَ. ثُمَّ عَادَ فَفَعَلَ ذٰلِكَ مِرَارًا كَثِيرَةً وَهُمْ يَرْمُونَ لَهُ وَهُوَ

يأخذ ويغيب ثم يعود من فوره فتعجبوا منه . فتبعوه فإذا هو يأخذ ذلك الطعام ويدخل به إلى خربة فيها شبه البيت الخراب وفي سطح ذلك البيت قط أعمى . فإذا هو يضع الطعام بين يديه فتعجبوا من ذلك . فقال الشيخ ابن باشاذ : إذا كان هذا حيوانا أخرس قد سخر الله له هذا القط وهو يقوم بكفايته ولم يحرمه الرزق فكيف يضيع مثلي . ثم قطع الشيخ علائقه وترك خدمة السلطان ولزم بيته وترك جميع أشغاله توكلا على الله تعالى إلى أن مات

(حياة الحيوان للدميري)

في جود ملك

قيل إن الملك خسرو بن بروز كان يحب أكل السمك وكان يوما جالسا في المنظرة وشيرين عنده فجاء صياد ومعه سمكة كبيرة وأهداها لخسرو ووضعها بين يديه فأمر له بأربعة آلاف درهم . فقالت شيرين : بئس ما صنعت فقال الملك : لم . فقالت : لأنك إذا أعطيت بعد هذا لأحد من حشمك هذا القدر قال : قد أعطاني مثل عطية الصياد . فقال : لقد صدقت . ولكن يقبح بالملوك أن يرجعوا في هباتهم وقد فات الأمر . فقالت شيرين : أنا أدبر هذا الحال . فقال وكيف ذلك فقالت : تدعو الصياد وتقول له هذه السمكة ذكر هي أم أنثى . فإن قال ذكر فقل : إنما طلبت أنثى . وإن قال أنثى فقل : إنما طلبت ذكرا . فنودي

الصَّيَّادُ فَعَادَ . وَكَانَ الصَّيَّادُ ذَا ذَكَاءٍ وَفِطْنَةٍ . فَقَالَ لَهُ خِسْرُو : هٰذِهِ السَّمَكَةُ ذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى . فَقَبَّلَ الصَّيَّادُ الْأَرْضَ وَقَالَ لَهُ : هٰذِهِ السَّمَكَةُ خُنْثَى لَا ذَكَرٌ وَلَا أُنْثَى . فَضَحِكَ خِسْرُو مِنْ كَلَامِهِ وَأَمَرَ لَهُ بِأَرْبَعَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ . فَمَضَى الصَّيَّادُ إِلَى الْخَازِنِ وَقَبَضَ مِنْهُ ثَمَانِيَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ وَوَضَعَهَا فِي جِرَابٍ كَانَ مَعَهُ . وَحَمَلَهَا عَلَى عُنُقِهِ وَهَمَّ بِالْخُرُوجِ فَوَقَعَ مِنَ الْجِرَابِ دِرْهَمٌ وَاحِدٌ . فَوَضَعَ الصَّيَّادُ الْجِرَابَ عَنْ كَاهِلِهِ وَانْحَنَى عَلَى الدِّرْهَمِ فَأَخَذَهُ وَالْمَلِكُ وَشِيرِينُ يَنْظُرَانِ إِلَيْهِ . فَقَالَتْ شِيرِينُ لِخِسْرُو : أَرَأَيْتَ خِسَّةَ هٰذَا الرَّجُلِ وَسَفَالَتَهُ . سَقَطَ مِنْهُ دِرْهَمٌ وَاحِدٌ فَأَلْقَى عَنْ كَاهِلِهِ ثَمَانِيَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ وَانْحَنَى عَلَى الدِّرْهَمِ فَأَخَذَهُ وَلَمْ يَسْهُلْ عَلَيْهِ أَنْ يَتْرُكَهُ لِيَأْخُذَهُ غُلَامٌ مِنْ غِلْمَانِ الْمَلِكِ . فَحَرَدَ خِسْرُو مِنْ ذٰلِكَ وَقَالَ : صَدَقْتِ يَا شِيرِينُ . ثُمَّ أَمَرَ بِإِعَادَةِ الصَّيَّادِ وَقَالَ لَهُ : يَا سَاقِطَ الْهِمَّةِ لَسْتَ بِإِنْسَانٍ وَضَعْتَ هٰذَا الْمَالَ عَنْ عُنُقِكَ لِأَجْلِ دِرْهَمٍ وَاحِدٍ وَأَسِفْتَ أَنْ تَتْرُكَهُ فِي مَكَانِهِ . فَقَبَّلَ الصَّيَّادُ الْأَرْضَ وَقَالَ : أَطَالَ اللّٰهُ بَقَاءَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنِّي لَمْ أَرْفَعْ ذٰلِكَ الدِّرْهَمَ لِخَطَرِهِ عِنْدِي . وَإِنَّمَا رَفَعْتُهُ عَنِ الْأَرْضِ لِأَنَّ عَلَى وَجْهِهِ صُورَةَ الْمَلِكِ وَعَلَى الْوَجْهِ الْآخَرِ اسْمَ الْمَلِكِ . فَخَشِيتُ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ يَمْنَعُ عَلَيْهِ قَدَمَيْهِ فَيَكُونُ ذٰلِكَ اسْتِخْفَافًا بِاسْمِ الْمَلِكِ وَأَكُونُ أَنَا الْمُؤَاخَذَ بِهٰذَا . فَعَجِبَ خِسْرُو مِنْ كَلَامِهِ وَاسْتَحْسَنَ مَا ذَكَرَهُ فَأَمَرَ لَهُ بِأَرْبَعَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ . فَعَادَ الصَّيَّادُ وَمَعَهُ اثْنَا

عَشَرَ أَلْفَ دِرْهَمٍ . وَأَمَرَ خِسْرُو مُنَادِيًا يُنَادِي لَا يَتَدَبَّرْ أَحَدٌ بِرَأْيِ النِّسَاءِ فَإِنَّهُ مَنْ تَدَبَّرَ بِرَأْيِهِنَّ وَاعْتَمَدَ بِأَمْرِهِنَّ خَسِرَ دِرْهَمَهُ

(التبر المسبوك للغزالي)

فِي جُودِ مَعْنِ بْنُ زَائِدَةَ

وَمِنْ أَحْسَنِ مَا يُحْكَى فِي الْجُودِ وَالْكَرَمِ مَا حَكَاهُ مَرْوَانُ ابْنُ أَبِي حَفْصَةَ الشَّاعِرُ قَالَ : أَخْبَرَنِي مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ مُتَوَلٍّ بِلَادَ الْيَمَنِ أَنَّ الْمَنْصُورَ وَجَّهَ فِي طَلَبِي وَجَعَلَ لِمَنْ يَحْمِلُنِي إِلَيْهِ مَالًا . (قَالَ) فَاضْطُرِرْتُ لِشِدَّةِ الطَّلَبِ إِلَى أَنْ تَعَرَّضْتُ لِلشَّمْسِ حَتَّى لَوَّحَتْ وَجْهِي وَخَفَّفْتُ عَارِضِي وَلَبِسْتُ جُبَّةَ صُوفٍ وَرَكِبْتُ جَمَلًا وَخَرَجْتُ مُتَوَجِّهًا إِلَى الْبَادِيَةِ لِأُقِيمَ بِهَا . (قَالَ) فَلَمَّا خَرَجْتُ مِنْ بَابِ حَرْبٍ وَهُوَ أَحَدُ أَبْوَابِ بَغْدَادَ تَبِعَنِي أَسْوَدُ مُقَلَّدٌ بِسَيْفٍ حَتَّى إِذَا غِبْتُ عَنِ الْحَرَسِ قَبَضَ عَلَى خِطَامِ الْجَمَلِ فَأَنَاخَهُ وَقَبَضَ عَلَى يَدِي . فَقُلْتُ لَهُ : وَمَا بِكَ . قَالَ : أَنْتَ طَلَبُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَقُلْتُ : وَمَنْ أَنَا حَتَّى أُطْلَبَ . فَقَالَ : أَنْتَ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ . فَقُلْتُ لَهُ : يَا هٰذَا اتَّقِ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ وَأَيْنَ أَنَا مِنْ مَعْنٍ . فَقَالَ : دَعْ هٰذَا فَإِنِّي لَأَعْرِفُ بِكَ مِنْكَ . فَلَمَّا رَأَيْتُ مِنْهُ الْجِدَّ قُلْتُ لَهُ : هٰذَا عِقْدُ جَوْهَرٍ فَقَدْ حَمَلْتُهُ مَعِي بِأَضْعَافِ مَا جَعَلَهُ الْمَنْصُورُ لِمَنْ يَجِيئُهُ بِي . فَخُذْهُ وَلَا تَكُنْ سَبَبًا لِسَفْكِ دَمِي . قَالَ : هَاتِهِ . فَأَخْرَجْتُهُ إِلَيْهِ فَنَظَرَ فِيهِ سَاعَةً وَقَالَ : صَدَقْتَ فِي قِيمَتِهِ وَلَسْتُ قَابِلَهُ حَتَّى أَسْأَلَكَ عَنْ شَيْءٍ فَإِنْ صَدَقْتَنِي

أَطْلَقْتُكَ . فَقُلْتُ : قُلْ . قَالَ : إِنَّ النَّاسَ قَدْ وَصَفُوكَ بِالْجُودِ . فَأَخْبِرْنِي هَلْ وَهَبْتَ مَالَكَ كُلَّهُ . قُلْتُ : لَا . قَالَ : فَنِصْفَهُ . قُلْتُ : لَا . قَالَ : فَثُلُثَهُ . قُلْتُ : لَا . حَتَّى بَلَغَ الْعُشْرَ فَاسْتَحْيَيْتُ وَقُلْتُ : أَظُنُّ أَنِّي قَدْ فَعَلْتُ هٰذَا . قَالَ : وَمَا ذَاكَ بِعَظِيمٍ . أَنَا رَجُلٌ وَرِزْقِي مِنْ أَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ كُلَّ شَهْرٍ عِشْرُونَ دِرْهَمًا وَهٰذَا الْجَوْهَرُ قِيمَتُهُ أُلُوفُ دَنَانِيرَ قَدْ وَهَبْتُهُ لَكَ وَوَهَبْتُكَ لِنَفْسِكَ وَلِجُودِكَ الْمَأْثُورِ بَيْنَ النَّاسِ . وَاعْلَمْ أَنَّ فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا مَنْ هُوَ أَجْوَدُ مِنْكَ فَلَا تُعْجِبْكَ نَفْسُكَ وَلْتَحْقِرْ بَعْدَ هٰذَا كُلَّ جُودٍ فَعَلْتَهُ وَلَا تَتَوَقَّفْ عَنْ مَكْرُمَةٍ . ثُمَّ رَمَى الْعَقْدَ فِي حِجْرِي وَتَرَكَ خِطَامَ الْجَمَلِ وَوَلَّى مُنْصَرِفًا . فَقُلْتُ : يَا هٰذَا لَقَدْ فَضَحْتَنِي وَلَسَفْكُ دَمِي عَلَيَّ أَهْوَنُ مِمَّا فَعَلْتَ فَخُذْ مَا دَفَعْتَهُ لَكَ فَإِنِّي غَنِيٌّ عَنْهُ . فَضَحِكَ وَقَالَ : أَرَدْتَ أَنْ تُكَذِّبَنِي فِي مَقَالِي هٰذَا . وَاللّٰهِ لَا أَخَذْتُهُ وَلَا آخُذُ لِمَعْرُوفٍ ثَمَنًا أَبَدًا . وَمَضَى لِسَبِيلِهِ . ثُمَّ طَلَبْتُهُ بَعْدَ أَنْ أَمِنْتُ وَبَذَلْتُ لِمَنْ يَجِيءُ بِهِ مَا شَاءَ فَمَا عَرَفْتُ لَهُ خَبَرًا

(ثمرات الاوراق للحموي)

فِي الْمُكَافَأَةِ

مِمَّا جَاءَ فِي الْمُكَافَأَةِ مَا حُكِيَ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ قَالَ : كُنْتُ يَوْمًا عِنْدَ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ الْبَرْمَكِيِّ وَقَدْ خَلَا فِي مَجْلِسِهِ لِإِحْكَامِ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِ الرَّشِيدِ . فَبَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِ الْحَوَائِجِ فَقَضَاهَا لَهُمْ . ثُمَّ تَوَجَّهُوا لِشَأْنِهِمْ فَكَانَ

آخرهم قياماً أحمد بن أبي خالد الأحول. فنظر يحيى إليه والتفت إلى الفضل ابنه وقال: يا بني إن لأبيك مع أب هذا الفتى حديثاً. فإذا فرغت من شغلي هذا فذكرني أحدثك. فلما فرغ من شغله وطعم قال له ابنه الفضل: أعزك الله يا أبي أمرتني أن أذكرك حديث أبي خالد الأحول. قال: نعم يا بني. لما قدم أبوك من العراق أيام المهدي كان فقيراً لا يملك شيئاً. فاشتد بي الأمر إلى أن قال لي من في منزلي: إنا كتمنا حالنا وزاد ضررنا ولنا اليوم ثلاثة أيام ما عندنا شيء نقتات به. قال: فبكيت يا بني لذلك بكاء شديداً. وبقيت ولهان حيران مطرقاً مفكراً. ثم تذكرت منديلاً كان عندي فقلت لهم: ما حال المنديل. فقالوا: هو باق عندنا. فقلت: ادفعوه إلي. فأخذته ودفعته إلى بعض أصحابي وقلت له: بعه بما تيسر. فباعه بسبعة عشر درهماً. فدفعتها إلى أهلي وقلت: أنفقوها إلى أن يرزق الله غيرها. ثم بكرت من الغد إلى باب أبي خالد وهو يومئذ وزير المهدي. فإذا الناس وقوف على داره ينتظرون خروجه فخرج عليهم راكباً. فلما رآني سلم علي وقال: كيف حالك. فقلت: يا أبا خالد ما حال رجل يبيع من منزله بالأمس منديلاً بسبعة عشر درهماً. فنظر إلي نظراً شديداً وما أجابني جواباً. فرجعت إلى أهلي كسير القلب وأخبرتهم بما اتفق لي مع أبي خالد. فقالوا: بئس والله ما فعلت. توجهت إلى

رَجُلٍ كَانَ يَرْتَضِيكَ لِأَمْرٍ جَلِيلٍ فَكَشَفْتَ لَهُ سِرَّكَ وَأَطْلَعْتَهُ عَلَى مَكْنُونِ أَمْرِكَ . فَأَزْرَيْتَ عِنْدَهُ بِنَفْسِكَ وَصَغَّرْتَ عِنْدَهُ مَنْزِلَتَكَ بَعْدَ أَنْ كُنْتَ عِنْدَهُ جَلِيلًا . فَمَا يَرَاكَ بَعْدَ ٱلْيَوْمِ إِلَّا بِهٰذِهِ ٱلْعَيْنِ . فَقُلْتُ : قَدْ قَضَى ٱلْأَمْرُ ٱلْآنَ بِمَا لَا يُمْكِنُ ٱسْتِدْرَاكُهُ . فَلَمَّا كَانَ مِنَ ٱلْغَدِ بَكَّرْتُ إِلَى بَابِ ٱلْخَلِيفَةِ . فَلَمَّا بَلَغْتُ ٱلْبَابَ ٱسْتَقْبَلَنِي رَجُلٌ فَقَالَ لِي : قَدْ ذُكِرَتِ ٱلسَّاعَةَ بِبَابِ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ . فَلَمْ أَلْتَفِتْ لِقَوْلِهِ . فَٱسْتَقْبَلَنِي آخَرُ فَقَالَ لِي كَمَقَالَةِ ٱلْأَوَّلِ . ثُمَّ ٱسْتَقْبَلَنِي حَاجِبُ أَبِي خَالِدٍ فَقَالَ لِي : أَيْنَ تَكُونُ قَدْ أَمَرَنِي أَبُو خَالِدٍ بِإِجْلَاسِكَ إِلَى أَنْ يَخْرُجَ مِنْ عِنْدِ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ فَجَلَسْتُ حَتَّى خَرَجَ . فَلَمَّا رَآنِي دَعَانِي وَأَمَرَ لِي بِمَرْكُوبٍ فَرَكِبْتُ وَسِرْتُ مَعَهُ إِلَى مَنْزِلِهِ فَلَمَّا نَزَلَ قَالَ : عَلَيَّ بِفُلَانٍ وَفُلَانٍ ٱلْخَيَّاطَيْنِ فَأُحْضِرَا . فَقَالَ لَهُمَا : أَلَمْ تَشْتَرِيَا مِنِّي غَلَّاتِ ٱلسَّوَادِ بِثَمَانِيَةَ عَشَرَ أَلْفَ أَلْفَ دِرْهَمٍ قَالَا : نَعَمْ . قَالَ : أَلَمْ أَشْتَرِطْ عَلَيْكُمَا شَرِكَةَ رَجُلٍ مَعَكُمَا قَالَا : بَلَى . قَالَ : هُوَ هٰذَا ٱلرَّجُلُ ٱلَّذِي ٱشْتَرَطْتُ شَرِكَتَهُ لَكُمَا ثُمَّ قَالَ لِي : قُمْ مَعَهُمَا . فَلَمَّا خَرَجْنَا قَالَا لِي : ٱدْخُلْ مَعَنَا بَعْضَ ٱلْمَسَاجِدِ حَتَّى نُكَلِّمَكَ فِي أَمْرٍ يَكُونُ لَكَ فِيهِ ٱلرِّبْحُ ٱلْهَنِيءُ . فَدَخَلْنَا مَسْجِدًا فَقَالَا لِي : إِنَّكَ تَحْتَاجُ فِي هٰذَا ٱلْأَمْرِ إِلَى وُكَلَاءَ وَأُمَنَاءَ وَكَيَّالِينَ وَأَعْوَانٍ وَمُؤَنٍ لَمْ تَقْدِرْ مِنْهَا عَلَى شَيْءٍ . فَهَلْ لَكَ أَنْ تَبِيعَنَا شِرْكَتَكَ بِمَالٍ نُعَجِّلُهُ لَكَ فَتَنْتَفِعَ بِهِ وَيَسْقُطَ عَنْكَ ٱلتَّعَبُ وَٱلْكُلَفُ . فَقُلْتُ لَهُمَا : وَكَمْ

تَبْذُلَانِ لِي . فَقَالَا : مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ . فَقُلْتُ : لَا أَفْعَلُ فَمَا زَالَا يَزِيدَانِي وَأَنَا لَا أَرْضَى إِلَى أَنْ قَالَا لِي : ثَلَاثَمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَلَا زِيَادَةَ عِنْدَنَا عَلَى هٰذَا . فَقُلْتُ : حَتَّى أُشَاوِرَ أَبَا خَالِدٍ . قَالَا : ذٰلِكَ لَكَ . فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ وَأَخْبَرْتُهُ فَدَعَا بِهِمَا وَقَالَ لَهُمَا : هَلْ وَافَقْتُمَاهُ عَلَى مَا ذَكَرَ . قَالَا : نَعَمْ . قَالَ : اُذْهَبَا فَقَبِّضَاهُ ٱلْمَالَ ٱلسَّاعَةَ . ثُمَّ قَالَ لِي : أَصْلِحْ أَمْرَكَ وَتَهَيَّأْ فَقَدْ قَلَّدْتُكَ ٱلْعَمَلَ . فَأَصْلَحْتُ شَأْنِي وَقَلَّدَنِي مَا وَعَدَنِي بِهِ . فَمَا زِلْتُ فِي زِيَادَةٍ حَتَّى صَارَ أَمْرِي إِلَى مَا صَارَ . ثُمَّ قَالَ لِوَلَدِهِ ٱلْفَضْلِ : يَا بُنَيَّ فَمَا تَقُولُ فِي ٱبْنِ مَنْ فَعَلَ بِأَبِيكَ هٰذَا ٱلْفِعْلَ وَمَا جَزَاؤُهُ . قَالَ : حَقٌّ لَعَمْرِي وَجَبَ عَلَيْكَ لَهُ . فَقَالَ : وَٱللّٰهِ يَا وَلَدِي مَا أَجِدُ لَهُ مُكَافَأَةً غَيْرَ أَنِّي أَعْزِلُ نَفْسِي وَأُوَلِّيهِ . فَفَعَلَ ذٰلِكَ . وَهٰكَذَا تَكُونُ ٱلْمُكَافَأَةُ (للابشيهي)

ٱلصَّانِعُ وَصَانِعُ ٱلْخَلِيفَةِ

حُكِيَ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَبْنَاءِ ٱلنَّاسِ كَانَتْ لَهُ يَدٌ فِي صِنَاعَةِ ٱلصِّيَاغَةِ وَكَانَ أَوْحَدَ أَهْلِ زَمَانِهِ . فَسَاءَ حَالُهُ وَٱفْتَقَرَ بَعْدَ غِنَاهُ فَكَرِهَ ٱلْإِقَامَةَ فِي بَلَدِهِ فَٱنْتَقَلَ إِلَى بَلَدٍ آخَرَ فَسَأَلَ عَنْ سُوقِ ٱلصَّاغَةِ فَوَجَدَ دُكَّانًا لِمُعَلِّمِ ٱلسَّلْطَنَةِ وَتَحْتَ يَدِهِ صُنَّاعٌ كَثِيرٌ يَعْمَلُونَ ٱلْأَشْغَالَ لِلسَّلْطَنَةِ وَلَهُ سَعَادَةٌ ظَاهِرَةٌ مَا بَيْنَ مَمَالِيكَ وَخَدَمٍ وَقُمَاشٍ وَغَيْرِ ذٰلِكَ . فَتَوَصَّلَ ٱلصَّائِغُ ٱلْغَرِيبُ إِلَى أَنْ بَقِيَ مِنْ أَحَدِ ٱلصُّنَّاعِ ٱلَّذِينَ فِي دُكَّانِ هٰذَا ٱلْمُعَلِّمِ . وَأَقَامَ يَعْمَلُ عِنْدَهُ مُدَّةً وَكُلَّمَا فَرَغَ

النهار دفع له درهمين من فضة وتكون أجرة عمله تساوي عشرة دراهم فيكسب عليه ثمانية دراهم في كل يوم . فاتفق أن الملك طلب المعلم وناوله فردة سوار من ذهب مرصعة بفصوص في غاية من الحسن قد عملت في غير بلاده كانت في يد إحدى حظاياه فانكسرت . فقال له : الحمها . فأخذها المعلم وقد اضطرب عليه في عملها . فلما أخذها وأراها للصناع الذين عنده وعند غيره فما قال له أحد إنه يقدر على عملها . فازداد المعلم لذلك غما ومضت مدة وهي عنده لا يعلم ما يصنع . فاشتد الملك على إحضارها وقال : هذا المعلم نال من جهتنا هذه النعمة العظيمة ولا يحسن أن يلحم سوارا . فلما رأى الصانع الغريب شدة ما نال المعلم قال في نفسه : هذا وقت المروءات أعملها ولا أواخذه بخله علي وعدم إنصافه ولعله يحسن إلي بعد ذلك . فحط يده في درج المعلم وأخذها وفك جواهرها وسبكها . ثم صاغها كما كانت ونظم عليها جواهرها فعادت أحسن مما كانت . فلما رآها المعلم فرح فرحا شديدا . ثم مضى بها إلى الملك فلما رآها استحسنها وادعى المعلم أنها صنعته . فأحسن إليه وخلع عليه خلعة سنية . فجاء وجلس مكانه فبقي الصانع يرجو مكافأته عما عامله به فما التفت إليه المعلم . ولما كان النهار ما زاده على الدرهمين شيئا . فما مضت إلا أيام قلائل وإذا الملك اختار أن يعمل زوجي أساور على تلك الصورة فطلب

ٱلْمُعَلِّمَ وَرَسَمَ لَهُ بِكُلِّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ وَأَكَّدَ عَلَيْهِ فِي تَحْسِينِ ٱلصِّفَةِ وَسُرْعَةِ ٱلْعَمَلِ. فَجَاءَ إِلَى ٱلصَّانِعِ وَأَخْبَرَهُ بِمَا قَالَ ٱلْمَلِكُ. فَٱمْتَثَلَ مَرْسُومَهُ وَلَمْ يَزَلْ مُنْتَصِبًا إِلَى أَنْ عَمِلَ ٱلزَّوْجَيْنِ وَهُوَ لَا يَزِيدُهُ شَيْئًا عَلَى ٱلدِّرْهَمَيْنِ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَا يَشْكُرُهُ وَلَا يَعِدُهُ بِخَيْرٍ وَلَا يَتَجَمَّلُ مَعَهُ. فَرَأَى ٱلْمَصْلَحَةَ أَنْ يَنْقُشَ عَلَى زَوْجٍ مِنْهُمَا أَبْيَاتًا يَشْرَحُ فِيهَا حَالَهُ لِيَقِفَ عَلَيْهَا ٱلْمَلِكُ. فَنَقَشَ فِي بَاطِنِ أَحَدِهِمَا هٰذِهِ ٱلْأَبْيَاتَ نَقْشًا خَفِيًّا يَقُولُ:

مَصَائِبُ ٱلدَّهْرِ كُفِّي ... إِنْ لَمْ تَكُفِّي فَعَنِّي
خَرَجْتُ أَطْلُبُ رِزْقِي ... وَجَدْتُ رِزْقِي تُوَفِّي
فَلَا بِرِزْقِيَ أَحْظَى ... وَلَا بِصَنْعَةِ كَفِّي
كَمْ جَاهِلٍ فِي ٱلثُّرَيَّا ... وَعَالِمٍ مُتَخَفِّي

(قَالَ) وَعَزَمَ ٱلصَّانِعُ عَلَى أَنَّهُ إِنْ ظَهَرَتِ ٱلْأَبْيَاتُ لِلْمُعَلِّمِ شَرَحَ لَهُ مَا عِنْدَهُ وَإِنْ غُمَّ عَلَيْهِ وَلَمْ يَرَهَا كَانَ ذٰلِكَ سَبَبَ تَوَصُّلِهِ إِلَى ٱلْمَلِكِ. ثُمَّ لَفَّهُمَا فِي قُطْنٍ وَنَاوَلَهُمَا لِلْمُعَلِّمِ فَرَأَى ظَاهِرَهُمَا وَلَمْ يَرَ بَاطِنَهُمَا لِجَهْلِهِ بِٱلصَّنْعَةِ وَلِمَا سَبَقَ لَهُ فِي ٱلْقَضَاءِ. فَأَخَذَهُمَا ٱلْمُعَلِّمُ وَمَضَى بِهِمَا فَرِحًا إِلَى ٱلْمَلِكِ وَقَدَّمَهُمَا إِلَيْهِ. فَلَمْ يَشُكَّ فِي أَنَّهُمَا صَنْعَتُهُ فَخَلَعَ عَلَيْهِ وَشَكَرَهُ. ثُمَّ جَاءَ فَجَلَسَ مَكَانَهُ وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى ٱلصَّانِعِ وَمَا زَادَهُ فِي آخِرِ ٱلنَّهَارِ شَيْئًا عَلَى ٱلدِّرْهَمَيْنِ. فَلَمَّا كَانَ ٱلْيَوْمُ ٱلثَّانِي خَلَا خَاطِرُ ٱلْمَلِكِ فَٱسْتَحْضَرَ ٱلْحُظَّةَ ٱلَّتِي عَمِلَ لَهَا ٱلسِّوَارَيْنِ ٱلذَّهَبَ.

فَحضرت وهما في يديها فأخذهما ليعيد نظره فيهما وفي حسن صنعتهما . فقرأ الأبيات فتعجب وقال : هذا شرح حال صانعهما والمعلم يكذب . فغضب عند ذلك وأمر بإحضار المعلم . فلما حضر قال له : من عمل هذين السوارين . قال : أنا أيها الملك . قال : فما سبب نقش هذه الأبيات . قال : لم يكن عليهما أبيات . قال : كذبت ثم أراه النقش وقال : إن لم تصدقني الحق لأضربن عنقك . فصدقه الحق فأمر الملك بإحضار الصانع . فلما حضر سأله عن حاله فحكى له قصته وما جرى له مع المعلم . فرسم الملك بعزل المعلم وأن تسلب نعمته وتعطى للصانع وأن يكون عوضا عنه في الخدمة . ثم خلع عليه خلعة سنية وصار مقدما سعيدا . فلما نال هذه الدرجة وتمكن عند الملك تلطف به حتى رضي عن المعلم الأول وصارا شريكين ومكثا على ذلك إلى آخر العمر

إحسان كريم إلى عدوه

حكي أنه كان بين غسان بن عباد وبين علي بن موسى عداوة عظيمة وكان علي بن موسى ضامنا أعمال خراج كضياع وغيره فبقيت عليه بقية مقدار أربعين ألف دينار . فألح عليه المأمون بطلبها وشدد بها إلى أن قال لعلي بن صالح حاجبه : أمهله ثلاثة أيام فإن أحضر المال وإلا فاضربه بالسياط حتى يدفع المال أو يتلف . فأنصرف علي بن موسى من دار المأمون

وقد ارتاع وهو لا يعرف وجهاً يتجه إليه . فقال له كاتبه : إذا عرّجت على غسان بن عباد وعرّفته خبرك رجوت أن يعينك على أمرك . فقال له : إن بيني وبينه من العداوة ما عرفت . فقال له : نعم ولكن الرجل أريحي كريم لا تمنعه العداوة التي بينكما عن فعل المعروف الذي هو من شيم الكرام . فقام علي بن موسى ومضى إلى أن جاء ودخل مع كاتبه على غسان بن عباد . فلما رآه غسان قام إليه وتلقاه جميلاً ووفاه حقه في الخدمة وقال له : دع الأمر الذي بيني وبينك على حاله ولكن دخولك إلى داري توجب حرمته بلوغ ما رجوته مني فاذكر إن كان لك حاجة . فقص كاتبه عليه القصة . فقال له غسان : أرجو أن يكفيك الله تعالى صعوبة أمرك ولم يزد على ذلك شيئاً . فقام علي بن موسى من عنده وهو نادم على قصده غسان ويئس من أمره وقال لكاتبه : ما أفدتني بالدخول على غسان سوى تعجيل الشماتة والهوان . فلم يصل علي بن موسى إلى داره حتى حضر إليه كاتب غسان ومعه البغال وعليها المال فتقدم علي بن موسى وتسلمه وبات فرحاً مسروراً . وعند الصباح بكّر إلى دار أمير المؤمنين ليدفع المال فوجد غسان قد سبقه هناك ودخل على المأمون وقال له : يا أمير المؤمنين إن لعلي بن موسى بحضرتك حرمة وخدمة وسابق أصل وقد لحقه من الخسران في ضمانه ما تعارفه الناس وقد توعدته من

ٱلضَّرْبِ بِٱلسِّيَاطِ مَا أَطَارَ عَقْلَهُ وَأَذْهَبَ لُبَّهُ . فَإِنْ رَأَى أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَجْزِيَنِي مِنْ حُسْنِ كَرَمِهِ بِبَعْضِ مَا عَلَيْهِ فَهِيَ صَنِيعَةٌ لِي مِنْ إِحْسَانِهِ . وَلَمْ يَزَلْ غَسَّانُ يَتَلَطَّفُ بِٱلْمَأْمُونِ حَتَّى حَطَّ عَنْهُ نِصْفَ مَا عَلَيْهِ وَٱقْتَصَرَ مِنْهُ بِٱلنِّصْفِ عِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ . فَقَالَ غَسَّانُ لِلْمَأْمُونِ : سَمْعًا وَطَاعَةً وَلٰكِنْ عَلَى أَنْ يُجَدِّدَ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَهُ ٱلضَّمَانَ وَيَخْلَعَ عَلَيْهِ لِكَيْ تَقْوَى نَفْسُهُ وَيَعْرِفَ بِهَا مَكَانَ ٱلرِّضَا عَلَيْهِ مِنْ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَبْقَاهُ ٱللهُ . فَأَجَابَ ٱلْمَأْمُونُ إِلَى ذٰلِكَ . فَقَالَ لَهُ غَسَّانُ : إِنْ شَاءَ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ فَلْتُحْمَلِ ٱلدَّوَاةُ إِلَى حَضْرَتِهِ لِتَوْقِيعِ مَا سَمَحَ بِهِ فِي مَا قَالَ . قَالَ : أَفْعَلْ . فَحُمِلَتِ ٱلدَّوَاةُ إِلَى ٱلْمَأْمُونِ وَقَدَّمَهَا غَسَّانُ لَهُ فَوَقَّعَ حِينَئِذٍ لِعَلِيِّ بْنِ مُوسَى . وَخَرَجَ عَلِيُّ بْنُ مُوسَى وَٱلْخِلَعُ عَلَى كَتِفَيْهِ وَٱلتَّوْقِيعُ بِيَدِهِ . فَلَمَّا حَضَرَ إِلَى دَارِهِ حَمَلَ مِنَ ٱلْمَالِ عِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ وَأَرْسَلَهَا إِلَى غَسَّانَ وَشَكَرَهُ عَلَى جَمِيلِ فِعْلِهِ . فَقَالَ غَسَّانُ لِكَاتِبِهِ : وَٱللهِ مَا شَفَعْتُ بِهِ عِنْدَ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِلَّا لِتَتَوَفَّرَ عَلَيْهِ ٱلْعِشْرُونَ أَلْفَ دِينَارٍ وَيَنْتَفِعَ بِهَا هُوَ فَٱمْضِ بِهَا إِلَيْهِ وَرُدَّهَا لَهُ فَلَسْتُ وَٱللهِ آخِذَهَا فَهِيَ لَهُ . فَلَمَّا رَجَعَ ٱلْكَاتِبُ إِلَى عَلِيِّ بْنِ مُوسَى مَوْلَاهُ وَبَلَّغَهُ مَا قَالَ عَرَفَ عِنْدَ ذٰلِكَ قَدْرَ مَا فَعَلَهُ غَسَّانُ مِنَ ٱلْجَمِيلِ . وَلَمْ يَزَلْ يَخْدُمُهُ وَيُوَقِّرُهُ إِلَى آخِرِ ٱلْعُمْرِ

ٱلْأَصْمَعِيُّ وَرَجُلٌ سَخِيٌّ

حَكَى ٱلْأَصْمَعِيُّ قَالَ : قَصَدْتُ فِي بَعْضِ ٱلْأَيَّامِ رَجُلًا كُنْتُ

آتيه أحيانًا كثيرةً لكرمه وجوده. فلمَّا أتيتُ داره وجدتُ على بابه بوَّابًا فمنعني من الدُّخول إليه وقال لي: والله يا أصمعيُّ ما أرقّني على بابه لأمنع مثلك إلَّا لرقَّة حاله وقصور يده وما هو فيه من الضِّيق. فقلتُ له: أريدُ أن أكتبَ له رُقعةً أوصلها إليه. فقال: سمعًا وطاعةً. فأحضر لي قِرطاسًا وقلمًا ودواةً فأخذتُ وكتبتُ له شعرًا:

إذا كان الكريمُ له حجابُ ... فما فضلُ الكريمِ على اللَّئيمِ

ثمَّ طويتُ الرُّقعةَ ودفعتُها إلى الحاجبِ وقلتُ له: أوصلْ هذه الرُّقعةَ إليه. ففعلَ ومضى بالرُّقعةِ قليلًا. ثمَّ عادَ إليَّ بالرُّقعةِ عينِها وقد كتبَ تحتَ شعري جوابًا شعرًا:

إذا كان الكريمُ قليلَ مالٍ ... تحجَّبَ بالحجابِ عن الغريمِ

ومع الرُّقعةِ صُرَّةٌ فيها خمسمائةِ دينارٍ. فتعجَّبتُ من سخائه مع قلَّةِ ما بيده فقلتُ في نفسي: والله لأتحفنَّ هارونَ الرَّشيدَ بهذا الخبرِ. فانطلقتُ حتَّى أتيتُ قصرَ الخلافةِ فاستأذنتُ ودخلتُ فسلَّمتُ عليه بالخلافةِ. فلمَّا رآني قال لي: من أينَ يا أصمعيُّ. قلتُ: من عندِ رجلٍ من أكرمِ الأحياءِ بعدَ أميرِ المؤمنينَ. قال: ومَن هو. فدفعتُ له الرُّقعةَ والصُّرَّةَ وسردتُ عليه الخبرَ. فلمَّا رأى الصُّرَّةَ قال: هذه من بيتِ مالي ولا بدَّ لي من الرَّجلِ. فقلتُ: والله يا أميرَ المؤمنينَ إنِّي أستحي أن أكونَ سببَ روعِه

بإرسالك إليه . فقال : لا يغمك ذلك . ثم التفت إلى بعض خاصته وقال له : امض مع الأصمعي فإذا أراك دارا فادخل وقل لصاحبه : أجب أمير المؤمنين وليكن دعاؤك له بلطافة من غير أن تزعجه . قال الأصمعي : فمضينا ودعونا الرجل فجاء ودخل على أمير المؤمنين وسلم بالخلافة . فقال له هارون الرشيد ألست أنت الذي وقفت لنا بالأمس وشكوت لنا رقة حالك وقلت إنك في ضيق شديد من الاحتياج فرحمناك ووهبنا لك هذه الصرة تصلح بها حالك وقد قصدك الأصمعي ببيت من الشعر فدفعتها له . فقال : نعم يا أمير المؤمنين والله ما كذبت في ما شكوته لأمير المؤمنين من رقة حالي وشدة احتياجي ولكني استحييت من الله تعالى أن أعيد قاصدي إلا كما أعادني أمير المؤمنين . فقال هارون الرشيد : لله در بطن أتاك فما ولدت العرب أكرم منك . ثم بالغ بإكرامه وخلع عليه وجعله من خاصته

إكرام ثلاثة أصدقاء مخلصين بعضهم بعضا

نقل عن الواقدي قال : كان لي صديقان أحدهما هاشمي وكنا في الصداقة كنفس واحدة . فنالني ضيقة شديدة وقد حضر العيد . فقالت لي امرأتي : يا مولاي أما نحن فقد نصبر على البؤس والشدة وأما صبياننا هؤلاء فقد تقطع قلبي عليهم حزنا

وَرَحْمَةً لِأَنَّهُمْ يَرَوْنَ صِبْيَانَ جِيرَانِنَا وَمَعَارِفِنَا وَقَدْ تَزَيَّنُوا فِي ٱلْعِيدِ وَهُمْ فَرِحُونَ . فَلَا بَأْسَ إِذَا ٱحْتَلْنَا فِي مَا يُمْكِنُنَا أَنْ نَصْرِفَهُ فِي كُسْوَتِهِمْ . فَرَأَيْتُ كَلَامَهَا صَوَابًا وَقَدْ قَطَّعَتْ فُؤَادِي مِنْ هٰذَا ٱلْحَدِيثِ . فَفَكَّرْتُ فِي ٱلْحِيلَةِ وَكَتَبْتُ إِلَى صَدِيقِي ٱلْهَاشِمِيِّ أَسْأَلُهُ ٱلتَّوْسِعَةَ عَلَيَّ بِمَا يُمْكِنُهُ وَيَحْضُرُهُ . فَوَجَّهَ إِلَيَّ كِيسًا فِيهِ أَلْفُ دِرْهَمٍ . فَمَا ٱسْتَقَرَّ قَرَارُهُ حَتَّى كَتَبَ لِي صَدِيقِي ٱلْآخَرُ يَشْكُو إِلَيَّ مِثْلَمَا شَكَوْتُ أَنَا إِلَى صَدِيقِي ٱلْهَاشِمِيِّ . فَوَجَّهْتُ إِلَيْهِ بِٱلْكِيسِ عَلَى حَالِهِ وَخَرَجْتُ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ وَأَنَا مُسْتَحْيٍ مِنِ ٱمْرَأَتِي . فَلَمَّا دَخَلْتُ عَلَيْهَا وَقَدْ عَلِمَتْ بِمَا فَعَلْتُ لَمْ تُعَنِّفْنِي . فَبَيْنَمَا أَنَا كَذٰلِكَ إِذْ دَخَلَ عَلَيَّ صَدِيقِي ٱلْهَاشِمِيُّ وَمَعَهُ ٱلْكِيسُ وَهُوَ بَاقٍ بِخَتْمِهِ فَقَالَ : أَصْدُقْنِي عَمَّا فَعَلْتَهُ بِمَا وَجَّهْتُ بِهِ إِلَيْكَ . فَأَخْبَرْتُهُ بِٱلْحِكَايَةِ عَلَى حَقِيقَتِهَا . فَقَالَ : إِنَّكَ أَرْسَلْتَ تَطْلُبُ مِنِّي ٱلتَّوْسِعَةَ وَأَنَا وَٱللهِ ثُمَّ وَٱللهِ لَا أَمْلِكُ شَيْئًا سِوَى هٰذَا ٱلْكِيسِ ٱلَّذِي بَعَثْتُ بِهِ إِلَيْكَ . ثُمَّ إِنِّي بَعْدَمَا أَرْسَلْتُهُ لَكَ كَتَبْتُ إِلَى صَدِيقِنَا أَسْأَلُهُ ٱلْمُوَاسَاةَ إِنْ كَانَ يُمْكِنُهُ فَوَجَّهَ إِلَيَّ ٱلْكِيسَ بِذَاتِهِ وَهُوَ بِخَتْمِي وَهَا أَنَا ذَا أَتَيْتُ بِهِ إِلَيْكَ . وَبِحَيْثُ إِنَّنَا كُلَّنَا فِي ضِيقٍ وَلَا يُوجَدُ عِنْدَ أَحَدِنَا غَيْرُ هٰذَا ٱلْكِيسِ فَهَلُمَّ نَقْتَسِمْهُ . ثُمَّ إِنَّهُ فَتَحَهُ وَأَخْرَجَ مِنْهُ مِئَةَ دِرْهَمٍ لِلْمَرْأَةِ وَفَرَّقَ عَلَى كُلٍّ مِنَّا أَنَا وَصَدِيقِي ثَلَاثَ مِئَةِ دِرْهَمٍ وَأَخَذَ هُوَ مِثْلَنَا ثَلَاثَ مِئَةٍ . وَبَلَغَ ٱلْمَأْمُونَ ذٰلِكَ فَأَرْسَلَ ٱسْتَدْعَانِي وَسَأَلَنِي عَنِ ٱلْقَضِيَّةِ فَشَرَحْتُهَا لَهُ كَمَا

هِيَ فَاسْتَدْعَى صَدِيقِي وَأَمَرَ لِكُلٍّ مِنَّا بِأَلْفَيْ دِينَارٍ وَلِامْرَأَتِي بِأَلْفِ دِينَارٍ

(لابن خلكان)

فِي تَقْدِيمِ الْإِكْرَامِ لِأَهْلِهِ

مِنْ غِزَارَةِ حِفْظِ ذِي الْوِزَارَتَيْنِ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ عَبْدُونَ مَا حَدَّثَ الْوَزِيرُ الْأَجَلُّ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْوَزِيرِ أَبِي مَرْوَانَ عَبْدِ الْمَلِكِ ابْنِ أَبِي الْعَلَاءِ زُهْرِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ زُهْرٍ. وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ هٰذَا قَدْ مَاتَ عَنْ سِنٍّ عَالِيَةٍ نَيِّفٍ عَلَى الثَّمَانِينَ قَالَ: بَيْنَا أَنَا قَاعِدٌ فِي دِهْلِيزِ دَارِنَا وَعِنْدِي رَجُلٌ نَاسِخٌ أَمَرْتُهُ أَنْ يَكْتُبَ لِي كِتَابَ الْأَغَانِيِّ. فَجَاءَ النَّاسِخُ بِالْكَرَارِيسِ الَّتِي كَتَبَهَا. فَقُلْتُ لَهُ: أَيْنَ الْأَصْلُ الَّذِي كَتَبْتَ مِنْهُ لِأُقَابِلَ مَعَكَ بِهِ. قَالَ: مَا أَتَيْتُ بِهِ مَعِي. فَبَيْنَا أَنَا مَعَهُ فِي ذٰلِكَ إِذْ دَخَلَ الدِّهْلِيزَ عَلَيْنَا رَجُلٌ بَذُّ الْهَيْئَةِ عَلَيْهِ ثِيَابٌ غَلِيظَةٌ أَكْثَرُهَا صُوفٌ. وَعَلَى رَأْسِهِ عِمَامَةٌ قَدْ لَاثَهَا مِنْ غَيْرِ إِتْقَانٍ لَهَا. فَحَسِبْتُهُ لَمَّا رَأَيْتُهُ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْبَادِيَةِ فَسَلَّمَ وَقَعَدَ وَقَالَ لِي: يَا بُنَيَّ اسْتَأْذِنْ لِي عَلَى الْوَزِيرِ أَبِي مَرْوَانَ. فَقُلْتُ لَهُ: هُوَ نَائِمٌ. هٰذَا بَعْدَ أَنْ تَكَلَّفْتُ جَوَابَهُ غَايَةَ التَّكَلُّفِ حَمَلَنِي عَلَى ذٰلِكَ تَرْوَةُ الصِّبَا وَمَا رَأَيْتُ مِنْ خُشُونَةِ هَيْئَةِ الرَّجُلِ. ثُمَّ سَكَتَ عَنِّي سَاعَةً وَقَالَ: مَا هٰذَا الْكِتَابُ الَّذِي بِأَيْدِيكُمَا. فَقُلْتُ لَهُ: مَا سُؤَالُكَ عَنْهُ. قَالَ: أُحِبُّ أَنْ أَعْرِفَ اسْمَهُ فَإِنِّي كُنْتُ أَعْرِفُ أَسْمَاءَ الْكُتُبِ. فَقُلْتُ: هُوَ كِتَابُ الْأَغَانِيِّ. فَقَالَ: إِلَى أَيْنَ بَلَغَ الْكَاتِبُ مِنْهُ. قُلْتُ: بَلَغَ مَوْضِعَ كَذَا

وجعلت أتحدث معه على طريق السخرية به والضحك على قالبه. فقال: وما لكاتبك لا يكتب. قلت: طلبت منه الأصل الذي يكتب منه لأعارض به هذه الأوراق فقال: لم أجئ به معي. فقال: يا بني خذ كراريسك وعارض. قلت: بماذا وأين الأصل. قال: كنت أحفظ هذا الكتاب في مدة صباي. قال: فتبسمت من قوله فلما رأى تبسمي. قال: يا بني أمسك علي. قال: فأمسكت عليه وجعل يقرأ. فوالله ما أخطأ واوا ولا فاء قرأ هكذا نحوا من كراستين. فأخذني العجب ثم أخذت له في وسط السفر وآخره فرأيت حفظه في ذلك كله سواء فاشتد عجبي وقمت مسرعا حتى دخلت على أبي فأخبرته بالخبر ووصفت له الرجل. فقام كما هو من فوره وكان ملتفا برداء ليس عليه قميص. وخرج حاسر الرأس حافي القدمين لا يرفق على نفسه وأنا بين يديه وهو يوسعني لوما حتى ترامى على الرجل وعانقه وجعل يقبل رأسه ويديه ويقول: يا مولاي اعذرني فوالله ما أعلمني هذا الخلف إلا الساعة وجعل يسبني والرجل يخفض عليه ويقول: ما عرفني. وأبي يقول: هبه ما عرفك فما عذره في حسن الأدب. ثم أدخله الدار وأكرم مجلسه وخلا به فتحدثا طويلا. ثم خرج الرجل وأبي بين يديه حافيا حتى بلغ الباب. وأمر بدابته التي يركبها فأسرجت وحلف عليه ليركبنها ثم لا ترجع إليه أبدا. فلما انفصل قلت لأبي: من

هٰذا الرَّجُلُ الَّذِي عَظَّمْتَهُ هٰذَا التَّعْظِيمَ . قَالَ لِي : اُسْكُتْ وَيْحَكَ . هٰذَا أَدِيبُ الْأَنْدَلُسِ وَإِمَامُهَا وَسَيِّدُهَا فِي عِلْمِ الْآدَابِ . هٰذَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْمَجِيدِ بْنُ عَبْدُونَ . أَيْسَرُ مَحْفُوظَاتِهِ كِتَابُ الْأَغَانِيِّ وَمَا حِفْظُهُ فِي ذَكَاءِ خَاطِرِهِ وَجُودَةِ قَرِيحَتِهِ . (محيي الدين المراكشي)

فِي وَضْعِ الْمَعْرُوفِ فِي مَوْضِعِهِ وَالِاصْطِفَاءِ بَعْدَ الْخِبْرَةِ

قَالَ دَبْشَلِيمُ الْمَلِكُ لِبَيْدَبَا الْفَيْلَسُوفِ اضْرِبْ لِي مَثَلًا فِي شَأْنِ الَّذِي يَضَعُ الْمَعْرُوفَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ وَيَرْجُو الشُّكْرَ عَلَيْهِ . قَالَ الْفَيْلَسُوفُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّ طَبَائِعَ الْخَلْقِ مُخْتَلِفَةٌ وَلَيْسَ مِمَّا خَلَقَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا مِمَّا يَمْشِي عَلَى أَرْبَعِ قَوَائِمَ أَوْ عَلَى رِجْلَيْنِ أَوْ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْنِ شَيْءٌ هُوَ أَفْضَلُ مِنَ الْإِنْسَانِ . وَلٰكِنْ مِنَ النَّاسِ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ . وَقَدْ يَكُونُ فِي بَعْضِ الْبَهَائِمِ وَالسِّبَاعِ وَالطَّيْرِ مَا هُوَ أَوْفَى مِنْهُ ذِمَّةً وَأَشَدُّ مُحَامَاةً عَلَى حُرْمَةٍ وَأَشْكَرُ لِلْمَعْرُوفِ وَأَقْوَمُ بِهِ . وَحِينَئِذٍ يَجِبُ عَلَى ذَوِي الْعَقْلِ مِنَ الْمُلُوكِ وَغَيْرِهِمْ أَنْ يَضَعُوا مَعْرُوفَهُمْ مَوَاضِعَهُ وَلَا يُضَيِّعُوهُ عِنْدَ مَنْ لَا يَحْتَمِلُهُ وَلَا يَقُومُ بِشُكْرِهِ . وَلَا يَصْطَفُوا أَحَدًا إِلَّا بَعْدَ الْخِبْرَةِ بِطَرَائِقِهِ وَالْمَعْرِفَةِ بِوَفَائِهِ وَمَوَدَّتِهِ وَشُكْرِهِ وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَخْتَصُّوا بِذٰلِكَ قَرِيبًا لِقَرَابَتِهِ إِذَا كَانَ غَيْرَ مُحْتَمِلٍ لِلصَّنِيعَةِ وَلَا أَنْ يَمْنَعُوا مَعْرُوفَهُمْ وَرِفْدَهُمْ لِلْبَعِيدِ إِذَا كَانَ يَفِيهِمْ بِنَفْسِهِ وَمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ . لِأَنَّهُ يَكُونُ حِينَئِذٍ عَارِفًا بِحَقِّ مَا اصْطُنِعَ إِلَيْهِ مُؤَدِّيًا لِشُكْرِ مَا أُنْعِمَ عَلَيْهِ مَحْمُودًا بِالنُّصْحِ مَعْرُوفًا بِالْخَيْرِ صَدُوقًا

عَارِفًا مُؤْثِرًا لِحَمِيدِ ٱلْفِعَالِ وَٱلْقَوْلِ . وَكَذٰلِكَ كُلُّ مَنْ عُرِفَ بِٱلْخِصَالِ ٱلْمَحْمُودَةِ وَوُثِقَ مِنْهُ بِهَا كَانَ لِلْمَعْرُوفِ مَوْضِعًا وَلِتَقْرِيبِهِ وَٱصْطِنَاعِهِ أَهْلًا . فَإِنَّ ٱلطَّبِيبَ ٱلرَّفِيقَ ٱلْعَاقِلَ لَا يَقْدِرُ عَلَى مُدَاوَاةِ ٱلْمَرِيضِ إِلَّا بَعْدَ ٱلنَّظَرِ إِلَيْهِ وَٱلْجَسِّ لِعُرُوقِهِ وَمَعْرِفَةِ طَبِيعَتِهِ وَسَبَبِ عِلَّتِهِ . فَإِذَا عَرَفَ ذٰلِكَ كُلَّهُ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ أَقْدَمَ عَلَى مُدَاوَاتِهِ . فَكَذٰلِكَ ٱلْعَاقِلُ لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَصْطَفِيَ أَحَدًا وَلَا يَسْتَخْلِصَهُ إِلَّا بَعْدَ ٱلْخِبْرَةِ . فَإِنَّ مَنْ أَقْدَمَ عَلَى مَشْهُورِ ٱلْعَدَالَةِ مِنْ غَيْرِ ٱخْتِبَارٍ كَانَ مُخَاطِرًا فِي ذٰلِكَ وَمُشْرِفًا مِنْهُ عَلَى هَلَاكٍ وَفَسَادٍ . وَمَعَ ذٰلِكَ رُبَّمَا صَنَعَ ٱلْإِنْسَانُ ٱلْمَعْرُوفَ مَعَ ٱلضَّعِيفِ ٱلَّذِي لَمْ يُجَرِّبْ شُكْرَهُ وَلَمْ يَعْرِفْ حَالَهُ فِي طَبَائِعِهِ فَيَقُومُ بِشُكْرِ ذٰلِكَ وَيُكَافِئُ عَلَيْهِ أَحْسَنَ ٱلْمُكَافَأَةِ . وَرُبَّمَا تَحَذَّرَ ٱلْعَاقِلُ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَمْ يَأْمَنْ عَلَى نَفْسِهِ أَحَدًا مِنْهُمْ . وَقَدْ يَأْخُذُ ٱبْنَ عِرْسٍ فَيُدْخِلُهُ فِي كُمِّهِ وَيُخْرِجُهُ مِنَ ٱلْأُخْرَى كَٱلَّذِي يَحْمِلُ ٱلطَّائِرَ عَلَى يَدِهِ فَإِذَا صَادَ شَيْئًا ٱنْتَفَعَ بِهِ وَأَطْعَمَهُ مِنْهُ . وَقَدْ قِيلَ : لَا يَنْبَغِي لِذِي ٱلْعَقْلِ أَنْ يَحْتَقِرَ صَغِيرًا وَلَا كَبِيرًا مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا مِنَ ٱلْبَهَائِمِ . وَلٰكِنَّهُ جَدِيرٌ بِأَنْ يَبْلُوَهُمْ وَيَكُونَ مَا يَصْنَعُ إِلَيْهِمْ عَلَى قَدْرِ مَا يَرَى مِنْهُمْ وَقَدْ مَضَتْ فِي ذٰلِكَ أَمْثَالٌ ضَرَبَهَا ٱلْحُكَمَاءُ (كليلة ودمنة)

ٱلْحَيَّةُ وَٱلْإِنْسَانُ

ذُكِرَ أَنَّ وَاحِدًا مِنَ ٱلْأَكْيَاسِ طَلَبَ ٱلْعُزْلَةَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَلَازَمَ ٱنْقِطَاعَهُ وَٱنْقَطَعَ عَنِ ٱلْجُمُعَةِ وَٱلْجَمَاعَةِ . وَٱشْتَغَلَ لِإِقَامَةِ أَوَدِهِ بِٱلزِّرَاعَةِ .

وَٱنْعَزَلَ فِي ذَيْلِ جَبَلٍ . وَصَاحَبَ حَيَّةً كَانَتْ تَأْنَسُ إِلَيْهِ بِكَلَامِهِ . وَتَأْكُلُ مِنْ فَضَلَاتِ طَعَامِهِ . فَتَرَقَّتْ بَيْنَهُمَا ٱلْمُعَاهَدَةُ إِلَى أَنْ بَلَغَتْ إِلَى ٱلْمُعَاقَدَةِ . بِأَنْ تَكُونَ صَادِقَةً خَالِيَةً عَنِ ٱلْمُذَاقَةِ . وَلَا تَكُونَ كَصُحْبَةِ أَبْنَاءِ ٱلزَّمَانِ . تَكْرَعُ مِنَ ٱلْغَدْرِ فِي غُدْرَانٍ . وَلَا مَشُوبَةً بِنِفَاقٍ . وَلَا مَدْخُولَةً بِرِيَاءٍ وَشِقَاقٍ . وَأَنْ تَنْعَقِدَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوَدَّةُ وَٱلْإِخَاءُ . فِي حَالَتَيِ ٱلشِّدَّةِ وَٱلرَّخَاءِ . فَمَرَّا عَلَى هٰذَا مُدَّةً وَكُلٌّ حَافِظٌ عَهْدَهُ مُرَاعٍ صُحْبَتَهُ وَوِدَّهُ . وَكَانَ ٱلرَّجُلُ إِذَا عَنَّتْ لَهُ قَضِيَّةٌ عَرَضَهَا عَلَى ٱلْحَيَّةِ وَٱسْتَشَارَهَا وَأَخَذَ أَخْبَارَهَا . وَتَخْرُجُ هِيَ إِلَيْهِ . وَتَتَرَامَى عَلَى رِجْلَيْهِ . فَفِي بَعْضِ ٱلْأَيَّامِ . وَعَامٍ مِنَ ٱلْأَعْوَامِ . وَقَعَ بَرْدٌ شَدِيدٌ . وَثَلْجٌ وَجَلِيدٌ . فَرَأَى ٱلْحَيَّةَ وَقَدْ سَقَطَتْ قُوَاهَا . وَخَمِدَتْ أَعْضَاهَا . وَوَقَعَتْ فِي شَرِّ حَالٍ . وَبَرْدٍ وَوَبَالٍ . فَحَمَلَتْهُ ٱلشَّفَقَةُ وَٱلصَّدَاقَةُ وَٱلْعَهْدُ ٱلَّذِي أَحْكَمَا وِثَاقَهُ عَلَى أَنْ آوَاهَا وَحَمَلَهَا فِي مِخْلَاةِ حِمَارِهِ وَأَدْنَاهَا وَوَضَعَ ٱلْمِخْلَاةَ فِي رَأْسِ ٱلْبَهِيمِ . وَتَوَجَّهَ لِضَرُورَةِ ذٰلِكَ ٱلْهَهِيمِ . فَحَسَّتِ ٱلْحَيَّةُ بِنَفَسِ أَبِي زِيَادٍ . وَتَحَرَّكَ عِرْقُ ٱلْعُدْوَانِ ٱلْقَدِيمِ وَعَادَ . وَفَعَلَ خُبْثُهَا خَاصِّيَّتَهُ ٱلْمَأْلُوفَةَ . وَلَعِبَ سُمُّهَا سُمِّيَّتَهُ ٱلْمَعْرُوفَةَ . مُتَّبِعًا حَدِيثَهُ . حَرَامٌ عَلَى ٱلنَّفْسِ ٱلْخَبِيثَةِ . أَنْ تَخْرُجَ مِنَ ٱلدُّنْيَا حَتَّى تُسِيءَ إِلَى مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا . فَعَضَّتِ ٱلْحَيَّةُ شَفَةَ ٱلْحِمَارِ وَبَرَدَ مَكَانُهُ مِنْ حَرِّهَا . وَهَرَبَتِ ٱلْحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا . وَإِنَّمَا أَوْرَدْتُ هٰذَا ٱلْمَثَلَ لِتَعْلَمُوا يَا ذَوِي ٱلْإِفْضَالِ أَنَّ مَنْ صَحِبَ ٱلْأَشْرَارَ . وَرَغِبَ

فِي مَوَدَّةِ ٱلْفُجَّارِ. لَا يَأْمَنُ ٱلْعِثَارَ. وَلَا يَسْلَمُ مِنَ ٱلْأَنْكَادِ وَٱلْبَوَارِ

(فاكهة الخلفاء لابن عربشاه)

كِسْرَى وَٱلْمُتَحَاكِمَانِ

حُكِيَ أَنَّ ٱلْمَلِكَ كِسْرَى كَانَ أَعْدَلَ ٱلْمُلُوكِ قِيلَ: إِنَّ رَجُلًا ٱشْتَرَى دَارًا مِنْ رَجُلٍ آخَرَ فَوَجَدَ ٱلْمُشْتَرِي فِيهَا كَنْزًا فَمَضَى إِلَى ٱلْبَائِعِ وَأَخْبَرَهُ بِهِ فَقَالَ لَهُ ٱلْبَائِعُ: إِنَّمَا بِعْتُكَ دَارًا لَا أَعْرِفُ فِيهَا كَنْزًا وَإِنْ كَانَ فِيهَا كَنْزٌ فَهُوَ لَكَ. فَقَالَ ٱلْمُشْتَرِي: لَا بُدَّ أَنْ تَأْخُذَهُ فَإِنَّهُ لَيْسَ دَاخِلًا فِيمَا ٱشْتَرَيْتُ. فَطَالَ ٱلْجِدَالُ بَيْنَهُمَا فَتَحَاكَمَا إِلَى ٱلْمَلِكِ كِسْرَى. فَلَمَّا وَقَفَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَذَكَرَا لَهُ أَمْرَ ٱلْكَنْزِ أَطْرَقَ مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ لَهُمَا: هَلْ لَكُمَا أَوْلَادٌ. فَقَالَا: نَعَمْ. فَقَالَ كِسْرَى لَهُمَا: أَنْفِقَا ذٰلِكَ ٱلْكَنْزَ فِي مَصَالِحِهِمْ. فَفَعَلَا ذٰلِكَ (للقليوبي)

أَلْمَجُوسِيَّانِ وَٱلنَّارِ

حُكِيَ أَنَّهُ كَانَ فِي زَمَنِ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ مَجُوسِيَّانِ يَعْبُدَانِ ٱلنَّارَ. فَقَالَ ٱلْأَصْغَرُ لِأَخِيهِ ٱلْأَكْبَرِ: أَيُّهَا ٱلْأَخُ إِنَّكَ عَبَدْتَ هٰذِهِ ٱلنَّارَ ثَلَاثًا وَسَبْعِينَ سَنَةً وَأَنَا عَبَدْتُهَا خَمْسًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً فَتَعَالَ نَنْظُرْ هَلْ تُحْرِقُنَا كَمَا تُحْرِقُ غَيْرَنَا مِمَّنْ لَمْ يَعْبُدْهَا. فَإِنْ لَمْ تُحْرِقْنَا عَبَدْنَاهَا وَإِلَّا فَلَا. فَأَوْقَدَ نَارًا ثُمَّ قَالَ ٱلْأَصْغَرُ لِأَخِيهِ: هَلْ تَضَعُ يَدَكَ قَبْلِي أَمْ أَنَا قَبْلَكَ. فَقَالَ لَهُ: ضَعْ أَنْتَ فَوَضَعَ ٱلْأَصْغَرُ يَدَهُ فَحُرِقَتْ إِصْبَعُهُ فَنَزَعَ يَدَهُ وَقَالَ: آهِ أَعْبُدُكِ كَذَا وَكَذَا سَنَةً وَأَنْتِ

تُؤْذِيَنِي ثُمَّ قَالَ: يَا أَخِي تَعَالَ نَعْبُدُ مَنْ لَوْ أَذْنَبْنَا وَتَرَكْنَاهُ خَمْسَمِائَةِ سَنَةٍ لَتَجَاوَزَ عَنَّا بِطَاعَةِ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ وَاسْتِغْفَارِ مَرَّةٍ وَاحِدَةٍ. فَأَجَابَهُ أَخُوهُ إِلَى ذٰلِكَ (للقليوبي)

فِي حِيلَةِ قَائِدِ جَيْشٍ

مِنْ عَجَائِبِ مَا حُكِيَ أَنَّ بَعْضَ السَّلَاطِينِ غَضِبَ عَلَى صَاحِبِ طَبَرِسْتَانَ. فَبَذَلَ الطَّبَرِيُّ جُهْدَهُ فِي إِزَالَةِ ذٰلِكَ فَمَا أَمْكَنَهُ. فَبَعَثَ السُّلْطَانُ إِلَيْهِ جَيْشًا كَثِيفًا. فَعَلِمَ الطَّبَرِيُّ أَنَّ الْجَيْشَ لَا يَنْزِلُونَ إِلَّا بِغَيْضَةٍ مُعَيَّنَةٍ تَحْتَ جَبَلٍ. فَأَمَرَ بِقَطْعِ أَشْجَارِ تِلْكَ الْغَيْضَةِ وَتَرَكَهَا كَمَا كَانَتْ قَائِمَةً. وَسَتَرَ مَوْضِعَ الْقَطْعِ بِالتُّرَابِ. فَلَمَّا وَصَلَ الْجَيْشُ وَنَزَلُوا بِهَا كَمَنَ الطَّبَرِيُّ هُوَ وَأَصْحَابُهُ خَلْفَ ذٰلِكَ الْجَبَلِ. وَشَدَّ الْجَيْشُ دَوَابَّهُمْ فِي أَشْجَارِ تِلْكَ الْغَيْضَةِ وَكَانَتْ كُلُّهَا مَقْطُوعَةً. فَخَرَجَ عَلَيْهِمُ الطَّبَرِيُّ بِأَصْحَابِهِ وَصَاحَ بِهِمْ فَنَفَرَتِ الدَّوَابُّ وَتَسَاقَطَتِ الْأَشْجَارُ لِأَنَّ الدَّوَابَّ جَرَّتْهَا. فَوَلَّى الْجُنْدُ هَارِبِينَ فَزِعِينَ لَا يَلْوِي أَحَدٌ إِلَى أَحَدٍ وَتَبِعَهُمُ الطَّبَرِيُّ بِالْقَتْلِ وَالْأَسْرِ فَنَجَا أَقَلُّهُمْ وَتَلِفَ أَكْثَرُهُمْ. فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى السُّلْطَانِ سَأَلَهُمْ عَنْ شَأْنِهِمْ فَقَالُوا: نَزَلْنَا بِالْمَوْضِعِ الْفُلَانِيِّ وَأَتَانَا فِي جُنْحِ اللَّيْلِ جُنْدٌ مِنَ الشَّيَاطِينِ تَضْرِبُنَا بِالْأَشْجَارِ الطَّوِيلَةِ. فَلَمْ يَجْسُرْ أَحَدٌ مِنَ الْمُتَوَمِّينَ بَعْدَ ذٰلِكَ الْمَشْيَ إِلَى طَبَرِسْتَانَ (للقزويني)

فِي ٱلصَّبْرِ وَٱلْمُرُوَّةِ

يُرْوَى عَنْ بَعْضِ ٱلْكُرَمَاءِ أَنَّهُ ٱسْتَدْعَى جَمَاعَةً إِلَى بُسْتَانٍ لَهُ. وَعَمِلَ لَهُمْ سَمَاعًا. وَكَانَ لَهُ وَلَدٌ مِنْ أَحْسَنِ ٱلنَّاسِ وَجْهًا وَأَكْمَلِهِمْ ظَرْفًا وَأَتَمِّهِمْ أَدَبًا وَلُطْفًا. فَكَانَ فِي أَوَّلِ ٱلنَّهَارِ يَخْدُمُ ٱلْجَمَاعَةَ وَيُؤَانِسُهُمْ. فَٱتَّفَقَ أَنَّهُ طَلَعَ إِلَى أَعْلَى مَكَانٍ فِي ٱلدَّارِ فَوَقَعَ مَيِّتًا. فَأَرَادَتْ أُمُّهُ وَجَوَارِيهِ أَنْ يُظْهِرْنَ ٱلْبُكَاءَ عَلَيْهِ. فَطَلَعَ وَالِدُهُ إِلَيْهِنَّ. وَحَلَفَ أَنْ لَا يَتَكَلَّمَ أَحَدٌ مِنْهُنَّ حَتَّى يَنْصَرِفَ ٱلْقَوْمُ. فَإِنَّ ذٰلِكَ يُنَغِّصُ عَلَيْهِمْ عُرْسَهُمْ وَلَذَّتَهُ. فَٱمْتَثَلُوا مَا أَشَارَ بِهِ. وَعَادَ إِلَى ٱلْقَوْمِ فَحَضَرَ ٱلسَّمَاعَ وَأَظْهَرَ ٱلْمَسَرَّةَ وَٱلْأُنْسَ بِهِمْ. فَجَعَلَ ٱلْجَمَاعَةُ يَتَفَقَّدُونَ ٱلشَّابَّ وَيَسْأَلُونَ عَنْهُ. فَيَقُولُ وَالِدُهُ: لَعَلَّهُ قَدْ نَامَ. فَأَدْرَكَهُمُ ٱللَّيْلُ. وَبَاتُوا فِي ٱلسَّمَاعِ لَا يَشْعُرُونَ بِمَا صَارَ مِنْ قَضَاءِ ٱللهِ. فَلَمَّا أَصْبَحُوا قَدَّمَ لَهُمُ ٱلْغَدَاءَ فَأَكَلُوا وَأَرَادُوا ٱلِٱنْصِرَافَ. فَقَالَ: لَعَلَّكُمْ تَحْضُرُونَ جِنَازَةَ وَلَدِي فَإِنَّهُ قَدْ مَاتَ ٱلْبَارِحَةَ. وَقَصَّ عَلَيْهِمِ ٱلْقِصَّةَ. فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱسْتَعْظَمَ مُرُوَّتَهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِجَمِيلِ صَبْرِهِ وَعِظَمِ كَرَمِهِ

(تزيين الاسواق)

مَوْتُ ٱلْمُتَنَبِّي

قِيلَ إِنَّ أَبَا ٱلطَّيِّبِ ٱلْمُتَنَبِّي كَانَ رَاجِعًا مِنْ بِلَادِ فَارِسَ إِلَى بَغْدَادَ بِجَائِزَةٍ أَجَازَهُ بِهَا عَضُدُ ٱلدَّوْلَةِ وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ ٱلْفُرْسَانِ.

فخرج عليه قطّاع الطريق فهرب المتنبي منهم . فقال له غلامه : أتهرب وأنت القائل في شعرك :

الخيل والليل والبيداء تعرفني
والضرب والحرب والقرطاس والقلم

فكرّ راجعاً فقتل في سنة ٣٥٤ فكان ذلك البيت سبباً لقتله

(للقليوبي)

الحريري والغلام

يحكى عن الحريري أنه كان بشع المنظر رثّ الهيئة . فجلس غلامه يوماً في خلوة وأراد أن يتعلّم النظم فأول ما نظم نصف بيت وهو : وجه الحريري وجه قرد . فسمعه الحريري فقال : والضرورة أحوجتنا إليه . فخجل الغلام من سيده وسكت . ثم اجتمع الحريري مع الخليفة وأخبره بذلك . فقال له لأيّ شيء لم تصبر حتى يكمله . فقال : رأيته افتخني بقرد فخشيت أن يكملني بكلب فكملته له

(للنواجي)

فهرسة

الجزء الأوّل

من امثال لقمان الحكيم

	وجه
اسد وثوران	٣
غزال	٣
اسد وثعلب	٣
اسد وانسان	٤
غزال واسد	٥
غزال وثعلب	٥
ارنب ولبوة	٥
امرأة ودجاجة	٦
بعوضة وثور	٦
بستاني	٦
انسان وفرس	٧
انسان وخنزير	٧
سلحفاة وارنب	٨
ذيب	٨
العوسج	٨
صبي	٩
صبي وعقرب	٩
حمامة	١٠
حداد وكلب	١٠
البطن والرجلان	١١
الشمس والريح	١١
ديكان	١١
ذياب	١٢
الوز والخطاف	١٢
بنة وضوء كوكب	١٣

نخب

من الكتاب المعروف بالف ليلة وليلة

صفحة

حكاية الملك جليعاد وابنهُ ١٣
حكاية السنور والفار ١٦
حكاية الناسك وما جرى لهُ ٢١
حكاية السمك وما جرى لهم ٢٥
حكاية الغراب والحية ٢٨
حكاية حمار الوحش والثعلب ٢٩
حكاية ابن الملك السائح ٣٢
حكاية الغراب ٣٦
حكاية الحاوي واولاده وزوجته واهل بيته ٣٨
حكاية العنكبوت والريح ٤١
حكاية الطيور والوحوش مع ابن ادم ٥٥
حكاية الطيور ٦٨
الدُّرَّاج والسلاحف ٧٢
الثعالب والذئب ٧٥
السندباد الحمَّال ٧٧
حكاية عابد ٩٤
حكاية الراعي العابد ٩٣

حكاية ملاك الموت

الحكاية الاولى ٩٤
الحكاية الثانية ٩٦
الحكاية الثالثة ٩٨
ذكر الموت الدائم ٩٩

نخبٌ

ممّا كتبهُ بعض العلماء في الجود والكرم والمكافاة وغير ذلك

	صفحة
في طلبتي اعميين	١٠١
في قط يقوت قطاً	١٠٢
في جود ملكٍ	١٠٣
في جود معن بن زائدة	١٠٥
في المكافاة	١٠٦
الصانع وصائغ الخليفة	١٠٩
احسان كريم الى عدوّهِ	١١٢
الاصمعي ورجل سخي	١١٤
اكرام ثلاثة اصدقاء مخلصين بعضهم بعضاً	١١٦
في تقديم الاكرام لاهلهِ	١١٨
في وضع المعروف في موضعهِ والاصطفاء بعد الخبرة	١٢٠
الحيّة والانسان	١٢١
كسرى والمتحاكمان	١٢٣
المجوسيان والنار	١٢٣
في حياة قائد جيشٍ	١٢٤
في الصبر والمروءة	١٢٥
موت المتنبي	١٢٥
الحريري والغلام	١٢٦

COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES
0051637758

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE
CU01120557

STAX